

# السيد آدم

مكتبة بغداد

مؤلف : بات فرانك

ترجمة : الدكتور محمود عكاش

مراجعة : الدكتور عبد الرحمن بدي

# السيد آدم

( الطبعة الثانية )

تأليف : بانى فرانك  
ترجمة : الدكتور ثورث عكاشه  
مراجعة : الدكتور عبدالرحمن بدوى

المؤسسة المصرية العامة للتأليف والانباء والنشر  
الدار المصرية للتأليف والترجمة



## الفصل الأول

أحسب أنه نيط بي أن أروى هذه القصة بتمامها ، لأنى كنت أول من استحدث خبرها ، ثم عشت بعد ذلك معها حتى عرفت السيد آدم حق المعرفة .

اسمى هو استيفن ريكاتور اسمث . وقبل أن أشارك فى أهم قصة فى الدنيا كنت محررا للأبناء المثيرة فى مكتب وكالة « الأسوشيتد برس » بنيويورك ، واختصت بأبناء حفلات تدشين السفن ، والألعاب الرياضية ، واجتماعات الاحتجاجات فى قاعة البلدية ، وما أشبه ذلك — ومسكنى فى الطابق الأرضى بمنزل تشيد بالحجر الأسمر فى الشارع العاشر الغربى . وحتى الآن لا أزال متزوجا ، وهو أمر يثير الدهشة فى نفسى !

لقد استحدثت خبر هذه القصة عرضا وبالصدفة ، وهذه هى الطريقة التى يحصل بها المرء عادة على معظم الأبناء الخطيرة . ومعظم الذين يفوزون بجائزة بولتزر سعداء الحظ فى لعبة قذف النرد .

بدأت القصة فى الليلة التى كنت فيها أعطى أبناء الاجتماع الصهيونى الذى عقد فى الحديقة . فلما تمت الموافقة بالاجماع على القرار الأخير ، خرجت من الحديقة مسرعا متوجها الى توتس شور . ولم أكن قد ذهبت الى هناك أبدا ، بسبب ركبتى المتملخة والسيدة البدينة . أما السيدة البدينة فما كانت تلوح لى عند مدخل الشارع الثامن حتى آخذ فى التهرب والانصراف ، وتتخلى عنى ركبتى المتملخة . ولولا هذه السيدة الشبيهة بدبابة متوسطة الحجم لما عرف العالم طوال أسابيع ، بل وربما لعدة أشهر ، ماذا حدث له .

أرسلت صرخة ، وسقطت على أحد الأبنية ، هنالك ففرت السيدة  
البيدنة فاها ، وتملكتها السرعة وخرجت من هناك . وعرفت أنها ظنت أنى  
قد اتابنتى نوبة .

وفى الجانب الآخر من الشارع الممتد من الحديقة كان يقوم مستشفى  
لعموم الأمراض فى موضع ملائم لاستقبال ضحايا ألعاب الهوكى ومباريات  
رعاة البقر والمصارعة والملاكمة . وكان بين رجاله نسر من خيرة الجراحين  
فى المدينة . وكانوا راضين عن هذا العمل ، لأنهم لم يكونوا يعرفون من  
سيقدم الى حجرة الطوارئ المجاورة . وكما قال الدكتور طومسون :  
« ان هذا المستشفى يشبه مستشفى ميدان + مستشفى ولادة » .



كان الطبيب طومسون أول من وقعت عليه عيناى بعد أن عبرت  
الطريق الى المستشفى حَجَلًا ، وكان رجلا ودودا ألوفا ضخما كالفيل  
ذا يدين سمراوين قصيرتين مكنترتين ، سبق أن رأته فى ايطاليا خلال  
الحملة المعروفة بالخط القوطى بين الحلفاء وألمانيا النازية ، وهو يشرف على  
مستشفى القيادة العامة على مشارف فلورنسا ، وتذكرت اللحظات التى

كنت أتطلع اليه خلالها في اعجاب وهو يسعف الجرحى وكيف كان يضغط يديه القويتين في رفق على جراح الجنود الأمريكيين الذين تعفروا بالتراب وتلطخوا بالطين وكأنه الأم تلمس في حنان ورقة وجه رضيعها ، وقد أخذ يعالج ركبتى بيديه هاتين ، فاذا بي أحس وخزا ممضا لم يلبث أن توقف وعدت معافى كما كنت أقدر . وأخذ يحذرني قائلا : ترفق بنفسك ولا تهول حين يزحمك المرور فتضطرب وتنخلع ركبتك ..

فقلت له : « أعلم ذلك . ولكن تعال معي الآن الى نادى شور وتناول قهحين من الخمر » .

فاعتذر قائلا :

لا أستطيع ! فعن نواجه مشكلة كبرى : هناك سر غامض قد اجتمع له اليوم أطباء المستشفى جميعا وتدارسوا الأمر فيما بينهم وقتلوه بحثا وقلبوه على جميع وجوهه ثم وكلوا الى تعرف أسبابه .  
— ترى ما هذه المشكلة ؟ هكذا سألته .

فترث طومسون هنيهة ثم قال :

— لن ترانى ضنينا عليك بأخبارها على شريطة أن تعدنى بالا تذياعها الآن ، اذ لم يحن الوقت بعد لذلك . أيدور بخلدك أن الناس لم يعودوا يوصون بحجز أسرة ، في قسم الولادة ؟

— لم يعودوا يوصون ... ! ان هذا لشيء غريب .. !

— بل أغرب مما تتصور . ومما يزيدنى حيرة أن المستشفيات في السنوات القليلة الأخيرة لم تكن تتفق وعدد السكان ، هذا الى أن الأمر قد ازداد سوءا منذ نهاية الحرب . فما هو بغائب عنك أن نسبة المواليد قد كثرت كثرة خيالية وبتنا نخال أن كل فرد في الولايات المتحدة قد فرغ

لشئ واحد وأصبح لا هم له الا أن ينجب أطفالا . وكان الناس يوصون على الأسرة قبل الوضع بثمانية أشهر فاذا بنا الآن لا نرى أثرا لذلك .  
— وأنى لهم أن يعرفوا على التحقيق موعد الوضع ؟  
— ان القطع بذلك عسير ، وليست المسألة الا مسألة تقدير . وهاك مثلا عن أهل برودواى .

\* \* \*

وأخذ طومسون ينقب فى الدفتر الكبير المفكك الصفحات على مكتبه ثم بدرنى قائلا :  
— لا شئ البتة .  
— أتعنى أن الناس سوف لا ينجبون بعد اليوم ؟  
— كلا ، وكل ما أقطع به هو أن الناس لم يعودوا يوصون بحجز أسرة فى قسم الولادة بعد اليوم الثانى والعشرين من يونية .  
وألقيت على هذا السجل نظرة فاحصة فاذا بى أرى عشرين اسما والى جانبها عناوينها وأرقام التليفونات وأسماء الأطباء المشرفين على رعاية الأمهات ، والمبالغ المدفوعة عن أيام مايو وأيام يونية الى الثانى والعشرين منه ، ثم لا شئ بعد هذا اليوم تماما كما قال لى طومسون .  
فالتفت اليه وأنا أشير بأصبعى الى اليوم الحادى والعشرين من يونيه وقلت مازحا :

— ألا ترى أن السيدة « دوتى فير » ستصبح أما . يا له من نصر صحفى يحفزنى الى أن أسبق به الزميل « ونشل » فأنشره .  
— خل عنك المزاح . فالأمر جد خطير .  
— يا لها من أمور سخيفة قد جاوزت كل حد ، بل ما أبعدها عن العقل والصواب ! أتصدق ان مؤسسة علاجية كهذه أصبحت لا تعتمد

الا على قدر ضئيل من المال لا يعدو بضعة قروش . ولعل السبب في ذلك هو توقف الناس عن حجز أسرة للوضع فيها خمسة أشهر مقدما . في الحق أن المستشفيات ليست في مجموعها غير شركات وأسمية تبتز أموال الناس وهذا هو ما يحفزني الى عدم الثقة بها . وما من شك في أن الناس قد برموا بأمرها ورفضوا الخضوع لسطوتها وجبروتها وأطماعها فعدوا العزم على ألا يسعوا اليها بأقدامهم وعلى ألا يولد لهم بها طفل . ولتذكر أن الناس — منذ نحو قرن بل والى عهد قريب — ألفوا أن تتم الولادة في بيوتهم وأن يرى أطفالهم نور الحياة بين ذويهم .  
وحك طومسون أنه ثم قال :

— لو أن مستشفيات أخرى كثيرة بنيت حديثا فاستعت لكثرة من الوافدين هنا وهناك ، أو لو أن وباء الدوستاريا انتشر فطوى الشباب الغض ، لكان لنا في هذا أو ذاك سبب ما نقرر به هذا الأمر المشكل . ولكن الواقع غير هذا يا ستيفن فلقد درج آباء العصر في هذه الأيام ، على أن يبادروا الى الاتصال بالمستشفيات لحجز أماكن لعرائسهن قبل انقضاء شهر العسل .

وحاولت جاهدا أن أهديء من روعه فقلت :

— هون عليك يا صاحبي ، وسوف ألقاك غدا ، وأكبر الظن أنك سوف تجد أن واحدة من هؤلاء المجندات اللاتي أرسلن للعمل معكن حديثا قد نسيت فتركت قوائم الحجز في أحد أدراجها .

وتركته . غير أنني لم أقصد الى النادي مخافة أن يزل لساني فأذيع شيئا من القصة على مسمع من تلك الجبهة الكبيرة من الزملاء المحررين والصحفيين ، العاكفين على شربهم وثرثرتهم . وكم من صديق تحدث بينهم في صراحة عن قصة أو خبر أو حادث وهو يزمع نشره في صحيفة يوم الأحد،



فاذا به يفاجأ — كما هي العادة — بنشره في صحيفة أخرى تخرج يوم السبت .

من أجل ذلك آثرت السلامة وذهبت الى محطة المترو الأرضى فى الشارع الثامن وعدت الى مسكنى مع منتصف الليل .

كانت نار المدفأة قد تفتت خلال قطعة الخشب وبقيت جدرانها أكثر تماسكا من وسطها الهش الذى أخذ يتصاعد منه لهب أزرق باهت يوشك أن يخمد . وأبصرت زوجتى مارج مستلقية على الأريكة وقد شبكت ساقها الطويلتين وعقدت يديها على بطنها وغطت وجهها بصحيفة لتحجب النور عن عينيها وطلعتنى العناوين الرئيسية فى رأس الصحيفة تشير بعبارة صغيرة موجزة الى القتال الدائر فى فلسطين والصين وبورما



وسوريا ، والى انه قد آن الأوان لتذوق طعم السلام . غير ان الأخبار لم تشغلنى عن العناية بزوجتى فمشيت على أطراف أصابعى مخافة أن أقطع عليها سباتها وانحنيت لأقبل شعرها ، فاذا بها تلقى الصحيفة جانبا وتطرف بعينها ، فعرفت انها لم تكن نائمة وقبلت فاها قبله تنم عن حب ، فقد كنت من هؤلاء الأزواج القدامى الذين يؤثرون العيش فى كنف زوجة ينعمون بحبها وهواها . واذا هى تصيح بى متسائلة :

— ما وراءك ؟ وأى شىء حملك على العودة مبكرا هكذا ؟

فأجبتها في مداورة : لست أعد اللحظة التي أقضيها بعيدا عنك من لحظات عمري .

— انك تبدو الليلة عاشقا متيماً ، ولولا ذلك لما عدت الآن من الحانة .

كانت تحدثني وهي ترنو الىّ محمقة متألمة . وأنا أعجب للمرأة كيف تكتشف زوجها بعد عشرة أربعة أعوام .

ثم أردفت تقول في حزم :

لا — ليس الأمر كما تزعم . بل أراك على وشك أن تفضي الىّ بحديث .

لقد تبينت أمري . تبينت أني أخفي عنها نبأ خطيرا . وألحت علىّ فلم يسعني الا أن أفضي اليها بكل شيء وأقص عليها حديث الطبيب طومسون وحديث مستشفى ، حتى اذا ما فرغت من كلامي صاحت بي :

— ألا ترى معي أن الوقت قد حان لكي ننجب ولدا ، فها هي ذى الحرب انتهت ، والأحوال استقرت ، وأصبح في المستشفيات متسع . ولنا من هذا كلا ما يحملنا على تكوين أسرة .. ثم انك لم تعد بعد شابا .

— اننى لم أجاوز الثامنة والثلاثين .

— اذن فقد أوشكت أن تبلغ أوسط العمر . وكم خطر لى أنه كان يلزم أن يكون لنا الآن ولد .

فقلت لها :

— لا تتركى الأمر الى غيره . لماذا لا ترضين عن المستشفى الذى يعمل به الطبيب طومسون ؟

— ليس فى الأمر شيء . وكل ما هنالك أن النساء أصبحن يملن الى مستشفيات أخرى غير هذه أما عن نفسى فليس أحب الىّ من أن ألد

بمستشفى الاپسكوپال ، حيث أنعم بغرفة فسيحة مزودة بمذياع ، على أن تقوم الى جانبي ممرضة خاصة ، تلزمني من قبل أن ألد بأيام ثلاثة .. ما أغفلنا حين لم نسهم في مشروع العلاج الجماعي في دور الشفاء !  
قلت لها في لهجة أردت بها السخرية :

— لعلك قد أنسيت أن انجاب طفل يقتضى اجتماع رجل بامرأة ؟  
وقبلتني ثانية وهى تهمس فى أذنى :

— كم أنا سعيدة أيها الحبيب اذ عدت الى الليلة مبكرا !

\* \* \*

ويقبل أسبوع جديد ، وتقد الى مطار « لاجورديا » أفواج متتابعة من حكام عسكريين ذوى أمجاد ورؤساء حكومات ، وملوك تركوا عروشهم ، وقواد سابقين . ويوكل الى أن أظفر من هؤلاء جميعا بأحاديث ، فأشغل بهم ، وينسينى ذلك حديث طومسون وحديث مشكلته .

ثم قادتني قدامى يوما الى مستشفى الاپسكوپال وتذكرت ايثار مارج لها على غيرها ، فدخلتها عجلا ولقيت فى المكتب فتاة حمراء الشعر فسألتها عما اذا كان من اليسير حجز مكان بقسم الولادة فى العشرين من يونيه .. وراجعت الفتاة سجلها ثم هزت رأسها باسمة وهى تقول :

— يؤسفنى يا سيدى ألا نجد سريرا خاليا فى هذا اليوم من شهر يونيه ، غير انه اذا كان بوسعك الانتظار ... عندها ...

ولم أدها تمضى فى حديثها بل قطعته عليها وأنا أحس أمعائى تتلوى فى جوفى وتتكور ، وقلت لها :

— أتعنين أنه سوف تكون بالمستشفى أسرة خالية فى الثانى والعشرين من يونيه .

— الواقع أن أحدا لم يطلب الينا حجز سرير فى قسم الولادة لذلك اليوم .

وعبت صاحبة الشعر الأحمر ثم قالت :

— ان هذا الغريب ، غريب حقا ! ومما أعجب له أشد العجب أنى لم  
ألحظ ذلك من قبل .

فشكرت لها وغادرت المكان . غير أنى لمحتها وأنا فى طريقي المغطى  
بالصقيع تتكلم فى التليفون وما يزال وجهها عابسا .

ومضيت الى مكتبى لا ألقى على شىء ، وهناك تحدثت الى خمس  
مستشفيات أخرى ثم تسللت الى غرفة بوجى رئيس التحرير دون أن يرانى  
أحد . وما من شك فى انى كنت أرعد رعبا ، وما اخالنى الا كنت مكفهر  
الوجه من فرط الفزع وسوء الطالع ، فما كادت عيننا بوجى تقعان على  
حتى صاح دهشا :

— بالله الا حدثتنى عما بك !

فارتيمت على مقعد جلدى أمام مكتبة ، وأنا أضعف من أن أسيطر  
على أعصابى ، وكم حاولت أن أشعل لفافة من التبغ دون أن أفلح من شدة  
اضطرابى . ولقد فطن بوجى لما كان فقام وأشعل لى اللفافة وأخذ يستمع  
الىّ وأنا أفاجئه قائلا :

— انه لأخطر حدث فى العالم .. ألق الى بالك .. أخطر حدث فى  
العالم .

— بم تهرف أيها الرجل ؟

— لن يحدث انجاب بعد اليوم .. لن ترى طفلا بعد الحادى  
والعشرين من يونيه .

\* \* \*

وكان بوجى رجلا حنكته التجارب ، صبورا حكيما سديد الرأى .  
وحسبك دليلا على هذا انه بقى رئيسا لتحرير « النيويورك » منذ تولى

« تافت » ادارتها . وكم وقعت أحداث تاريخية هائلة فمرت تحت سمعه وتحت بصره وانسابت تلك الأحداث الجسام من بين أصابعه الرقيقة العجوز انسياب الماء قد أسلمت له قيادها . من أجل هذا لم يدهش ، ولم يغلبه التأثر حين وقع بصره على صحفى صغير مثلى ، هذه الضيق والخور وانهارت قوته وعلت الكآبة وجهه وتملكه الذهول فأخذ يهدىء من روعى . وطلب الى في رفق وهو يشجعنى أن أقص عليه قصتى ، فبدأت بحديث ركبتى ثم أخذت فى سرد الوقائع . وحين فرغت تلبث هنيهة وهو يمسح بكفه رأسه الأصلع ، ويسر بأصابعه الرفيعة خلف أذنيه ، على عادته حين يريد أن يوقظ عقله ويعمل فكره وقال بعد لآى :

— لاشك فى أنها قصة بالغة الخطورة . وما أخال العالم مر بمثلها منذ كان ، غير ان علينا أن نتدبر الأمر قبل أن نحمل تبعه نشر شىء عنه وأرى ألا تكتب شيئاً يتصل به فتلفت الأنظار اليه ، فقد لا تكون المسألة غير صدفة لها غرابتها البالغة ، وأخشى ما أخشاه أن يكون الأمر كذلك .  
فقلت : لعمري انه أمر يحفز الى التشاؤم حقا .

ودار بوجى بكرسيه ذى المسند العالى حتى أصبح فى مواجهة النافذة ، فأخذ يلقي ببصره على ابراج المدينة الشامخة ، وقد كستها شمس الشتاء لونا من التبر رقيقا ، ويبدو أنه كان يرمى ببصره الى ما هو أبعد وأعمق ، ثم قال :

— لو أن الله أمدنى بقوة من عنده ، ورأيت أن أسلب الجنس البشرى قدرته الخفية على الانجاب ما وجدت لذلك وقتاً أنسب من الوقت الذى نعيش فيه الآن .

واتفقنا على بذل كل ما أستطيع من جهد والقيام بدراسة مستوعبة مستخدمين فى ذلك التليفون طارحين جانبا الوسائل الأخرى التى تمدنا

بالأخبار كالرسائل والبرقيات مخافة أن يتحرك القلق في نفوس الناس ويفلت من أيدينا الزمام .

وجمعت بين يدي الكثير من دفاتر التليفونات لأتعرف أرقام المستشفيات في أكثر من عشرين مدينة من المدن الكبرى . وبدأت أول ما بدأت بمستشفى بوسطن ورأيت ألا أكشف عن مكاني ، وألا أشير إلى مقصدي وآثرت أن أكتفي بأني رجل أو شك أن أصبح أبا .

ولقد وجدت في مستشفى بوسطن كما وجدت في مستشفيات نيويورك أسرة ، غير أنها كانت مشغولة إلى اليوم الحادي والعشرين من يونيو وسرعان ما أحسست الراحة عندما أنهوا إلى أن ثمة قلة من الطلبات لحجز أسرة للأسبوع الأخير من يونيو .

وأخبرت بوجي بما فعلت فإذا هو يقول لي محذرا :

— لا أرى في ذلك شيئا من الخطورة وقد يكون مبعثه سوء تقدير ، تورط فيه أحد أطباء بوسطن ، ومن اليسير وقوع مثل ذلك .  
وتحدثت إلى مستشفى في مانشيستر وثنان في فيلادلفيا وثالث في ميامي ورابع في نيو أورليانس ، وحين يئست تحولت إلى الغرب إلى سان فرانسيسكو ؛ فإذا بي أجد الحال هي هي كما وجدت هنا ، فتحدثت إلى شيكاغو وسانت لويس وأوماها ، ثم عدت إلى الجنوب استوثق من بعض المدن الصغيرة . وإذا غاية ما انتهى إليه علمي أن نسبة المواليد في شهر يولييه لن تكون إلا صفرا .

وخيل إلى أن هذا حدث لن يقع إلا في الولايات المتحدة وحدها ، من أجل ذلك طلب إلى بوجي أن أتحدث إلى مونتريال في كندا ثم إلى المكسيك وبوينوس آيريس وريودي جانيرو وأمريكا الجنوبية ، وقد فعلت ما طلب إلى ولم أعثر على جديد في الأمر .

انتصف الليل وأحسنا مس الجوع . وكان من العتب أن نبقى جائعين فأرسلنا في طلب بعض الشطائر والقهوة . وبعد ذلك أخذت أتعرف نصيب هذا الخبر من نصف العالم الغربي بلدا بلدا فإذا بالنتائج هناك لا تختلف عنها هنا .

وقلت لبوجي :

— ما أظننا مفيدين شيئا من الحديث الى المدن ، ولنا مع المستشفيات فسحة . ومن الخير أن نتحدث الى أطباء الولادة فهم أسبق من غيرهم علما بهذا الأمر .

فأجاب بوجي : لا خير ، كلم طبيبا منهم .

وتبينت من لهجته أنه قد انتهى الى شيء ما .

وسرى ضباب الليل في المدينة يغطيها بملاءة كثيفة ، وصك سمعى أنين واذا هو صادر عن سفينة تشق مجراها عبر المحيط الى أوربا وقد بقى بوجي ساهما مكانه مصوبا النظر اليها ، يكاد يريق عينيه ينفذ في غلالة الليل الفاحمة ماضيا في اثر شيء مجهول .

وكنت لا أعرف غير طيبة واحدة للولادة كانت صديقة لزوجتى مارج وكانت تدعى مارية أوستنهايمر وتقيم في أحد منعطفات الشارع الخامس . وفيما كنت أحرك قرص التليفون لأتحدث اليها وقع بصرى على بوجي وهو يكتب برقية ليعث بها الى خارج البلاد .

ولقد تبينت أن الطيبة مارية أوستنهايمر كانت لا تزال ساهرة ، وأحسست ضجة في غرفتها أدركت منها أنها أقامت حفلا خاصا في بيتها دعت اليه بعض الأصدقاء فصحت قائلا :

— لك عندى نبأ خطير يا مارية ، وكم أود لو ظفرت منك بجواب صريح كل الصراحة .

— أجل كانت عندي ، ولقد جاءت اليّ وحدها كما انصرفت وحدها .  
بإلله عليك لا تتغاب ولا تجعل للشك سبيلا الى نفسك .

— لا . لا — ومن تعنين ؟ أتعنين مارج ؟ ليس الأمر كما تخالين . ان  
ما أحب أن أسألك عنه هو أمر وثيق الصلة بعملك .

— ان كنت على وشك أن تخبرني أن مارج حامل ، فلن أكتنك  
سروري بهذا ودهشتي له ، فانها الوحيدة التي ستنجب طفلا .

وتبينت في صوتها الاضطراب والانعغال والتأثر .

— هذا ما أردت أن أتحدث اليك فيه ، وما طلبتك حين طلبتك

الا لأتحدث اليك عن هذه المشكلة : انقطاع النسل .

وساد السكون ، فلم أعد أسمع للضيوف الذين كانوا مستسلمين  
لثرتهم ضجة ولا حديثا وكان لم يكن هناك حفل ، فعرفت أنها قد أغلقت  
الباب بينها وبينهم ، ثم عادت تتحدث اليّ وتسألني :

— وما عندك أنت عن هذا ؟

— أعلم أن ليس ثمة من يحجز سريرا ما في قسم الولادة بعد الثاني  
والعشرين من يونيه ، لا في مستشفيات أمريكا وحدها بل في مستشفيات  
العالم كله .

وكانت لحظة صمت خلت مارية معها وقعت مغشية عليها ، غير أنها  
ما لبثت أن خرجت عن صمتها وعادت تقول :

— لقد خلتنى ياستيفن بادىء ذى بدء أننى — وحدى — المعنية بهذا  
الأمر ، وأننى — بالذات — المقصودة به ، وأن شائعات غير بريئة أطلقها نفر  
من الحاقدين علىّ بين من يقصدنى فانصرفن عني ، وانك لتعلم يا ستيفن  
الكثير عن خبرتى وتجاربي في عملى وميدانى . ولقد وقتت فجأة على تلك  
الحقيقة المرة حين وجدتهن قد انقطعن عني تماما فلم يعدن يلقيننى قبل



الوضع بمدة تتيح لى أن أعنى بهن وأتولى أمرهن وأوجهن حسبما تسلى  
على مهنتى .

— غير أنك لا تستقبلين من هؤلاء القاصدات غير القليل فى كل شهر ،  
انهن لن يزرنك الا مرة واحدة ، أليس كذلك ؟

— هذا صحيح . وان من أشق الأمور على نفسى أن أجدنى مضطرة  
الى أن أشكو الى زميل لى ما أصابنى فى عملى ، وما أحسه من جراء  
ذلك . فأثرت السكوت وانطويت على نفسى ، ومضت فترة قصيرة زارنى  
بعدها زميلى الطبيب بلاندى ، وله شهرته التى طبقت آفاق وستشستر  
فوجدته يعانى ما أعانى واذا نحن عن غير قصد يطالع أحدنا الآخر بما عنده  
ويكشف له عن شكواه ، ثم تحدثنا الى ستة آخرين من خيرة أطباء الولادة  
فى حى « مانهاتان » فاذا الحال هى الحال . لهذا قر الرأى على أن نعقد  
مؤتمرا جامعا فى الأسبوع المقبل لننظر فى الأمر .

قلت لها وأنا مشغول الفكر بتلك القصة أحوك خيوطها فى رأسى ،  
وكنت كلما قلبت الأمر عدت السبق الصحفى بالقياس اليه شيئا تافها  
لا يتفق وهذه الحقيقة التى انتهينا اليها .

— لا تديعى يا مارية هذا السر .

-- احفظ عليك سرك وسنلتقى بعد لناقش الأمر معا .

وفى هدوء وضعت السماعة ، ونظرت الى بوجى أقول :

— ان العالم يقترب من نهايته أيها الصديق . وما اخاله الا بالنها .

— قد لا يكون العالم كله ، وقد يكون ذلك مقصورا على النصف

الغربى .

ثم دفع الى برقية كتب فيها رموزا لمراسلينا فى هذا الجزء من العالم  
يطلب منهم أن يستوثقوا فى دقة من كل تخلف طارىء على نسبة الموالييد

فيما بين شهرى يونيه ويوليه وأن يبعثوا اليه باجابه عاجله ، على أن يكون هذا سرا ، خاصا بهم لا يجاوزهم الى غيرهم . وختم البرقيه بامضائه ثم قال معقبا :

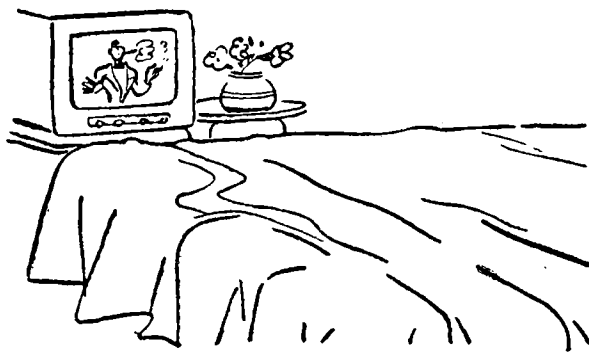
-- سترسل هذه البرقيه وشيكا الى رجالنا : بات مورين فى باريس ، وبوتز نورجارد فى روما ، وفرانك أوبرين فى استانبول ، وجولد برج فى بودابست وايدى جيلمور فى موسكو ، ثم الى مكتبنا فى لندن طبعاً .  
— سيظنوننا قد فقدنا عقولنا .

— أجل ! دعهم وما يخالون الى أن يتبينوا الحقيقه .  
ثم أردف قائلاً : وعندها سيصيهم الخوف الذى أصابنى وأصابك ؛ ولما كانت اجاباتهم لن تصلنا الا مع الغد فمن الخير أن تعود الى بيتك حيث تنتظر زوجتك ذات الشعر الأحمر ولتنعم بقسط كبير من النوم . فما أظنك ستغمض جفنيك بعد ذلك طيله أسبوع أو أكثر .

\* \* \*

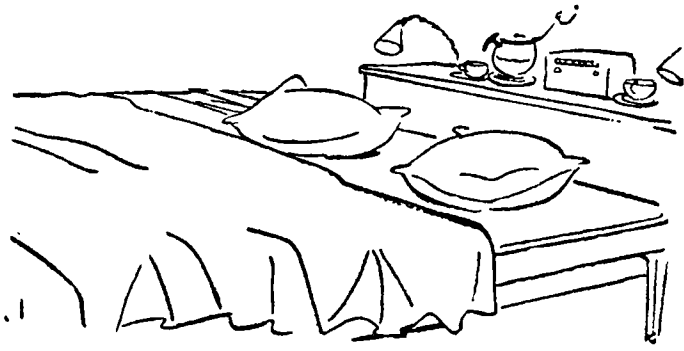
أفضى الى زميل من أمهر مخبرينا الصحفيين بحديث ممتع عن الزوجات فقسمن قسمين : قسما لا علم له بما يخفى الأزواج من أسرار ، وقسما لا تفوته كبيرة ولا صغيرة عن أزواجهن ، وكانت زوجى مارج من هذا القسم الثانى فقد درجت على ألا أكتمها شيئاً ولا أخفى عنها سرا . غير أنى فى ليلتى هذه خالفت سنتى فلم أنبس بنت شفه وتجملت بالصمت ، ولم أذكر لمارج شيئاً حتى أنعم بقسط ولو قليل من النوم .

هذا الى ما كنت أخشاه عليها من قسوة الاحساس بالخيبه ان أفضيت اليها باقطاع الأمل فى انجاب طفل ، زد على ذلك أنى كنت مهموم القلب وقد أحسست مع مرارة التعب مرارة الخواء فتناولت كثيرا من الخمر قبل أن آوى الى فراشى .



ومع الصباح جاءتني مارج بالقهوة وأنا في فراشى ، وهو مالم آلفه منها من قبل ، وأخذت تسألني عن حالي وعن مبعث ما أعانى من متاعب وهموم ، وما اذا كنت أحس مرضاً ؟ فطمأنتها أنى بخير ، وذكرت لها أنى لا أشكو شيئاً ، وكل ما هنالك أنى أحب أن أمضى عجلاً الى مكتبى . غير أنها عادت تسألنى عما ألم بى وعما أضيق به . فقلت أنى بخير والحمد لله وأخفيت رأسى تحت الغطاء ، ورجعت الى منتصف الفراش ، وكنت أعد أننا نملك أضخم فراش مزدوج فى نيويورك معد لحياة الاسترخاء ، يحيط به رف وضعنا عليه المذياع بجانب ما نحتاجه من أدوات ، وكان الى جانب الفراش مكتبة صغيرة والى الجانب الآخر ثلاجة وبار . والطريف أن صديقاً لنا وصف غرفة نومنا وصفا يشيننا اذ قال : انها يعوزها الذوق الجميل وينقصها الوقار والحياء . غير أنا لم نبال بما قال فلقد كانت محط اعجابنا ومراح أنسنا وسرورنا . من أجل هذا أطلق عليها اسم خاص تمليه الحال ويناسب المقام وهو « ساحة سميث » فقد كانت الغرفة التى تضم كل ما نحن فى حاجة اليه وتجمع ما رخص وغلا وتقضى فيها أهناً الأوقات .

وقالت مارج : لا تخف عنى شيئاً ، فلا بد أنك قامرت وخسرت تقودك كلها ، أو أنك تعاني من مشكلة حدثت فى صحيفتك .



فأكدت لها أن ليس ثمة شيء من هذا كله .  
فسألت : ألا زلت مشغول البال بحديث المستشفى الذي حدثتني عنه  
في الأسبوع الماضي ؟  
فلم أجبها على سؤالها . غير أنني أيقنت أنها عرفت كل شيء .  
ثم قالت :  
— كنت أحس القلق من جراء ذلك ، دون أن أدري لذلك سببا .  
— الحق أنا لم تنته الى شيء بعد .  
ثم ودعتها بقبلة على ثغرها أبعث بها الاطمئنان في حنايا قلبها .  
غير أنني لم أر وجهها من قبل مثل رؤيتي له الآن ؛ فلقد رأيته منتعفا  
ورأيت عينيها خامدتين لا يتألق فيهما وهج الحياة ولا تشعان ببريقهما  
ولم يكن هذا عهدي بها من قبل .  
وأحسست وأنا في طريقي الى المدينة أن صلتي بالحياة قد انقطعت ،  
واني قد غدوت وحيدا منقطع الصلة بالناس وبالوجود لا أجد أثرا لما  
حولي ، غير ضجة مدينة نيويورك التي أحسها كل صباح ، ولا يحرك  
الناس مني ساكنا في غدوهم ورواحهم .  
وجدت على مكتب بوجي برقيات مكدسة عرفت محتواها قبل أن آخذ

منها واحدة وأقرأها . فمذ رأيت وضع كنفه ولاحظت صمته وسكونه  
عرفت أن رجالنا لم يخرجوا في اجاباتهم عما كان : لن يولد أطفال بعد  
الأسبوع الأخير من يونيه .

وبدأ التحرى الرسمى فى لندن وفى باريس تحوطه سرية بالغة ، وتحدث  
الى بوجى قائلا : وصلتنا اجابات من كل مكان عدا موسكو !

وفىما هو منهمك فى الحديث دخل علينا ساع حدث يحمل برقية فاذا  
فيها : عاجل جدا .. الاسوشيتدبرس .. نيويورك . بوجى قلقت الحكومة  
السوفييتية القلق كله لتحرىاتى . أصبحت مهددا بالطرده لتشجيعى محاولة  
الاطلاع على الأسرار العليا للدولة .

فقال بوجى : حسبنا هذا .

فقلت : قد غدا العالم كله على علم بهذا الأمر المشكل . غير أن كل دولة  
تسعى فى أن تحتفظ به سرا من الأسرار فلا تديعه .

— لا لوم ولا تثريب على عالم غدا كمرىض بالسرطان ، يهوله أن  
يسلم بدائه أو أن يؤمن بحاله ومآله ولو فيما بينه وبين نفسه ، لن يمنع  
هذا من أن يذاع السريوما . وعلى أية حال فلن تتخلف الوكالة عن القيام  
بتلك المهمة ، اذا دعت الى ذلك ضرورة ما . ولنبدأ بمكتبنا فى واشنطن  
فنجمع الأقوال والتصريحات الرسمية التى صدرت عن الحكومة . ثم أن  
هناك واجبا ثانيا وهو الاتصال بالمؤسسة الامريكية الطبية ... ولكن لماذا ؟  
— أجل لماذا ؟

— ما من شك أن ثمة أسبابا علمية ..

واعتمد بوجى على مكتبه بمرفقيه المغطين بقطعتين باليتين من الجلد  
وظفح يمسح رأسه فيما وراء أذنيه كعادته ليقده زناد فكره ثم قال :  
— لقد بقيت الليل كله أذكر كلمة القائد فارل وأتدبرها ، تلك الكلمة

التي قالها اثر انفجار القنبلة الذرية الأولى في نيومكسيكو : « لقد كان الانفجار نذيرا من السماء ، بأن يوم القيامة قد أوف . فلقد أحسنا جميعا نحن المخلوقات الضعيفة الهينة أننا قد عدونا طورنا حين أخذنا نلهو ونعبث بتلك القوى الطبيعية الخارقة التي يسيطر عليها الله وحده » .

— ولقد كان حقا ما قيل أثر قنبلة هيروشيما : لقد بلغت الانسانية شأوا غدت به قادرة على أن تمحو نفسها بيديها .

وعلى حين غفلة طرأت لى فكرة غريبة دفعتنى الى أن أسأل :

— أتذكر متى كان انفجار المسيسيبي ؟ ألم يكن فى شهر سبتمبر ؟

واعتدل بوجى فى جلسته وقال :

— نعم ، انه مبعث هذا ... لقد كان الانفجار فى الحادى والعشرين

من سبتمبر أى منذ تسعة أشهر .



## الفصل الثاني

ما من شك في أن الناس جميعا لا يزالون يذكرون اليوم الحادى والعشرين من شهر سبتمبر حين وقع انفجار مروع في مدينة بورفيل على نهر المسيسيبي ، تلك المدينة التي أقيمت وسط الولايات وسميت باسم عالم<sup>(١)</sup> من علماء الذرة ، ولقد كان هذا الانفجار أشد عنفا من انفجار «هيروشيما» و « ناجازاكي » فقد أخذ يدمر مدينة « بورفيل » ويدمر معها مدنا غيرها كثيرة ، وشوهد وهجه — الذى ملأ القلوب هلعا — في شيكاغو شمالا وخليج المكسيك جنوبا ، وأحسته ولاية سانت لويس هزة أرضية ، على حين باتت نيواورليانس لا تطيق لفح حرارته .

حدث هذا الانفجار دون أن يدري أحد له سببا ، وقضى على الحرث والنسل ولم ينج منه حى ، وبادرت الدوائر العليا في واشنطن تقول : إن مؤسسة بورفيل كانت معنية باتساج مادة « البلوتونيوم » المتميزة برقم يو ٢٣٥ ، وغيرها من المواد الفريدة ذات الاشعاع القوى ، وهى على هذا أكثر المؤسسات المشابهة انتاجا لهذه المواد في ولايات أوك ريدج ، وتنسى هـ وهاتفورد ، وواشنطن .

وفى اثر هذا الانفجار توقفت الولايات المتحدة عن صنع القنابل الذرية واستشعرت الدول الأخرى الخوف فلم تمض فى تلك السبيل ، وأخذ مولوتوف يعيب على النظام الرأسمالى جسعه الذى جر الى ذلك الانفجار، ثم طمأن الشعب الروسى مؤكدا أن ليس ثمة ما يدعو الى اقامة مصانع

(١) وهونيلزبور Niels Bohr

للتفجير على أرض الاتحاد السوفيتي . وفي الأرجنتين خلف العلماء الموالون للفاشية تجاربهم الخاصة ، والتفتوا الى علمى النبات والأسماك يدرسونهما . ولم تلق هيئة الامم المتحدة جهدا ما فى استجابة أعضائها الى تحريم استعمال القنبلة الذرية سلاحا فتاكا فى الحروب ، وأن لم يحل ذلك دون أن تشب حروب هنا وهناك وأن يستعر أوارها فى جهات متفرقة من العالم . هذا الى أن الناس لم يعودوا يذكرون ذهاب ولاية الميسيبى ، اذ كانوا يعدونها أكثر الولايات تخلفا ، وأن اختيرت للفداء احدى الولايات الثمانية والاربعين فلتكن ولاية الميسيبى كبش الفداء عن هذا الوطن .

وكان قد أسند الىّ بعد هذا الانفجار أن أجمع الأحاديث من علماء الذرة فى نيويورك أينما كانوا ، لتعرف الاسباب التى نجم عنها هذا الانفجار ، والنتائج المترتبة عليه . وأذكر أن العلماء أجمعوا على أن خطر الانفجار لن يجاوز دائرة قطرها بضع مئات من الاميال ، غير أنى كنت أحس فى قرارة نفسى أنهم كانوا يخفون شيئا يمنعهم الخوف من التصريح به . وكنت كلما سألتهم عما اذا كانت أشعة جاما تصيب بالعقم من يتعرض لها ، لاذوا بالصمت ، أو اصطنعوا المراوغة لباقة وحيلة قائلين : أن أشعة جاما اذا انبعثت من مواد مشعة بذاتها لا تلبث غير حين قصير .

وخطر لى أن ألقى نفرا من هؤلاء العلماء ، وأخترت الأستاذ « فلक्स پل » الأستاذ بجامعة كولومبيا ، فقد كنت أعده نمطا فريدا بين العلماء العاكفين على الذرة وأنه يملك أن يحدثنا بالكثير عن مأساة الميسيبى ان خرج عن صمته .

وكان « پل » رجلا ضئيل الجسم قميئا ضيق ما بين المنكبين ، لا تكاد ساقاه تقويان على حمله ، وما أن تقع عليه عينك حتى تخال أن هذا الجسم الضعيف ينوء بحمل ذاك الرأس الضخم وأنه أعجز من أن يحمله ولو الى



حين . والطريف أنه حين يقف على قدميه كان أشبه ما يكون بصورة  
كاريكاتورية لأستاذ جامعي ، وحين يجلس الى مكتبه الضخم يبدو بجسمه  
الضئيل مهيب الطلعة وكأنه قاض يتبوأ كرسى العدالة في المحكمة العليا  
للمرة الأولى وقد اعتدل في جلسته لتتنقل الصحف صورته في هذا اللقاء  
الأول .

ولقد قابلته في حجرة مكتبه وما أن دخلت عليه حتى ابتدرني قائلاً :

— أخالك لا تزال مشغول الفكر بحادث المسيبي ؟

— ليس الأمر كما تظن ، فلم أعد أشغل بالمسيبي وحده بل بالعالم  
أجمع ، فمن البيّن أن انفجار المسيبي كاد يودي بالجنس البشرى كما  
كاد يصل به الى نهايته .

وتكلف « بل » الابتسام ، أو قل انه ترك لنفسه أن تبتسم ، غير أنني  
أحسست في أعماقي — وللمحررين نبض دائم بالمشاعر والأحاسيس والا  
فهم أبعد عن أن يكونوا صحفيين ومحررين — انه يعاني قلقاً نفسياً  
شديداً .

وقلت وأنا أبحث في جيبي عن لفافة من التبغ متظاهرا بعدم المبالاة :  
يبدو أن انفجار المسيبي قد أصاب الجنس البشرى بالعمق . وهنا أذكر  
حقيقة أذهلتني في الأستاذ بل ، ذلك أنه لم يبد عليه أثر ما لهذه الفاجعة  
فلقد قال : حقا ان هذا لقول غريب ، أما بالنسبة لى فلم أتته بعد الى أن  
الجنس البشرى مقبل على نهايته لأن عمقا أصابه .

— هذا لأنك اليوم لا تعرف ما ستطالعك به الصحف في غد .

— أحقا ما تقول ؟ أستحلفك بالله الا زدتنى بيانا .

— نعم . لقد عم العمق العالم كله ... أنا ... وأنت .

وأدار الأستاذ بل برأسه على عنقه الرفيع الذي غضنه الكبر وحملق في وجهي برهة ، ثم خفض عينيه وقال :

— وما صلة هذا العقم الذي تزعم وجوده بفاجعة المسيسي ؟  
— منذ تلك الفاجعة لم يتشكل جنين في رحم امرأة على وجه البسيطة ، هذا ما انتهى اليه علمنا وبحثنا .

— ولكن هذا الذي تزعمونه ؛ لا يسنده دليل علمي .

وفجأة خيّل اليّ أن الأستاذ بل لم يعد ينزل من نفسى منزلته الأولى فلقد كنت أنظر اليه قبل اليوم نظرة ا كبار وتقدير ، نظرتي الى عالم من علمائنا الأفاضل البارزين الذين توصلوا الى معرفة الطاقة التي تمد الشمس بقوتها ، كما قال الرئيس . وهاأنذا أحس فجأة بالنفور منه ، لا أراني منفردا بهذا الاحساس بل أعتقد أن كثيرين مثلي ينفرون منه ويضمرون له الكراهية . ودنوت منه ووضعت يدي على مكتبه ، ثم ازددت منه دنوا حتى كاد وجهي يلمس وجهه وقلت له :

— قد يعوز هذا الأمر دليله العلمي يا أستاذ بل ، وقد لا يكون هذا الدليل غير استنتاج عرضي ...

وعلق بصري بعنقه الشبيه بعنق الديك الرومي ومضيت أقول :

— من المؤكد أن هذه الحقيقة سوف تسوق الى الاعدام كل العلماء المستغلين بالذرة .

ورأيت أنني قد نجحت في أن أزلزل كيان الأستاذ بل وأن أخرجه عن رباطة جأشه ؛ فاذا هو يبدو كما يبدو الطاعنون في السن خشية على الحياة ويقول :

— هل لك في أن تجلس وتقول لي ماذا تريد . واني لأرجو ألا تتحجم اسمي في هذا الأمر .

— ولكنك لم تعارض عندما وضعوا اسمك على رأس قائمة العلماء الذين كرمتهم الدولة فنالوا الشرف والتقدير على ما كان لهم من فضل سبق في صنع القنبلة الذرية .

فأوماً برأسه موافقا ثم قال في بطنه :

— حقا ما تقول ، بل انه الحق الخالص ، غير أن الشرف والتقدير لا يعفیان من اللوم ، ولقد كنا نحوط أنفسنا بما يكتفل أمننا وسلامتنا ويحفظ أرواح هيئتنا العاملة . وعلى الرغم من هذا ظل الخطر قائما لا يبرح .

وعند هذا كان الأستاذ بل قد خرج عن هدوئه وطرح عنه رزاقته المعهودة ورأيته ينظر الى مجموعة من الأوراق المنسقة فوق مكتبه . وأتيح لى أن أقرأ عليها هذه العبارة : سرى جدا . ثم أخذ يقول : منذ أن وقع هذا الانفجار بدأت أفكر في الأضرار التي تحدث عن تلك الأشعة الغامضة التي لا نعرف عنها الا القليل . ولقد أوجزت ذلك لمجلس البحوث القومي .

— ترى الى أية نتيجة انتهيت ؟

— ان مثل هذا الانفجار تبعث عنه اشعاعات طاقية لا تلبث أن تعم العالم في سرعة الضوء ، وليست هذه من اشعاعات « جاما » أو « بيتا » أو « ألفا » وذراتها وانما هي من الاشعاعات الأخرى ذات الصور الغامضة واني لعلى يقين من أن لهذا النوع من الاشعاعات أضرارا خطيرة ، وليس في مقدوري أن أعرف المدى الذي تبلغه هذه الأضرار .

فقلت له :

— غير أنا قد انتهينا الى حال نستطيع معها أن ندرك شيئا عن مدى

هذه الأضرار .

— حقا انا ندرک الآن كل هذا ... ( ثم أخذ يسأل ) ولكن قل لى :  
آكان لهذا الانفجار أثر فى الاناث ؟  
فقلت مجيبا :

— ان التقصى لما ينته بعده ، وقد خلص الاطباء الذين بحثوا الأمر  
الى أن الرجال جميعا أصيبوا بالعقم . ويؤكد أكثر الأطباء أن النساء كلهن  
على وجه التقريب لا زلن قدرات على افراز البويضات ، وأنه لم يطرأ تلف  
على قنوات فالوب عندهن .  
فقال بل :

— ما أعجب الجسم البشرى ! ان فيه من العناصر الكيميائية ما تزيد فى  
غموضها على مغاليق العلوم الطبيعية . أقول هذا لسبب له وجاهته : فعلى  
الرغم من أن الأشعة فى جملتها تصيب بأذاها الجنسين معا فثمة أنواع منها  
تخص الذكور دون الاناث . وانى لأجد هذه الأشعة التى نعانى منها الآن  
شيئا جديدا لا عهد لنا به من قبل .  
— لا أخال هذا شيئا له خطره .

— الحق أن هذه نظرة هامة لتلك الظاهرة وان كانت لا تعدو فى  
أهميتها مجال البحث النظرى .  
فقلت له وأنا أنهض :

— سيكون لكل شىء من الآن فى تقديرنا قيمته من الوجهة النظرية .  
ثم انصرفت تاركا الأستاذ پل يتخبط فى حيرة وارتباك .

\*\*\*

وفى تلك الليلة بدأت محطات الاذاعة تذيع النبأ على أمواج الأثير .  
وكان لذلك أثره المروع فى أنحاء العالم جميعها . وعلى الرغم من أنى حشدت  
كل تلك العبارات العديدة للأوصاف الرائعة التى دأبت هولود على

استخدامها وحاولت أن أوّلف بينها وأجعل من كل زوجين اثنين مثلما فعل نوح بحيواناته على ظهر سفينته ، على الرغم من هذا فلقد وجدتنى عاجزا عن أن أسجل وصفا للأحداث التي بدأت منذ تلك الليلة ومضت تجرى في مجالها .

ولقد شغل بوجى بالقصة وأخذ يوليها عناية لا تقل عن عنايته بأمر هام كالاتخابات العامة التي تجرى في البلاد مثلا . وسهرت الى جواره مكبا على العمل الى مطلع الفجر . وهكذا لم تكن القصة في ظاهرها وفيما يصحبها من جهد ومشاق تختلف كثيرا عن معركة من معارك الانتخاب ، فلقد اتقسم العالم كله معها الى فريقين : الفريق الذي آمن بصدقها والفريق الذي عدّها وهما من الأوهام .

وتتابعت البرقيات ترد الينا من العالم الخارجى وتحمل قصصا غريبا عن أحداث كثيرة نبتت وتنوعت عن القصة الأساسية .

ففى بوسطن هب أسقف من الأساقفة المعروفين من نومه مذعورا على أصوات باعة الصحف وهم يصيحون مرددين النبا وأخذ يجهر : ان هى الا خدعة دينية . وفى بلتيمور وقف زميل له لا يقل عنه شهرة يقول : انه كان يتوقع نتيجة كهذه ، وأنه لن يدهش اذا ما أنفجر العالم وحل به الفناء خلال ثمان وأربعين ساعة . وفى لندن جلس ملك الانجليز يتحدث الى شعبه فى الاذاعة البريطانية مؤكدا لشعوب الامبراطورية أن حكومة جلالاته سوف تظل كما هى معنية بالأمر ، وأنها الى جانب ما تقوم به من استقصاء قد بدأت فى اتخاذ خطواتها الايجابية اللازمة . وعم الاضطراب باريس وازدحمت شوارعها بالمظاهرات ، وليس فى هذا ما يثير العجب ، فما تكاد باريس تخلو من الاضطرابات . وكنت لا تحس الا الصمت فى موسكو ، فلم تنبس موسكو بمنت شفة . وأخذ رئيس الجمهورية فى أمريكا يحث الشعب الأمريكى

على أن يلزم الهدوء والسكينة . وأمطرت جماعة من السيدات الحائقات بيت الأستاذ بل في « مورننج سايد هايتس » بوابل من الحجارة . وسرت اشاعات مريبة في فيينا وبودابست وفرنكفورت ومدريد وبرن معا تردد أن هذا الأمر المعضل من مكر العلماء اليهود .

ومن الخير أن أقص ما وقع في منزلي . فلقد عدت اليه مع مشرق الشمس وقبل أن تطالعنا الصحف في الصباح ، فوجدت مارج قابعة في ركن منه ، وحين نظرت الي منفضة التبغ التي كانت الي جوارها عرفت أنها أمضت الليل كله بجانب المذياع تستمع الي الأنباء المثيرة . وكانت اذاعة نيويورك لا تزال تواصل برنامجها وترسل ألحانا راقصة هادئة ممتعة . فخلعت ملابسي وألقيت بسروالي وقميصي على مسند أحد كراسي الحجرة ، ثم وقفت الي المرأة الكبيرة أتطلع الي جسمي فاحصا ، فاذا بي أدهش لبطني الضخم المتكور ، واذا بي أسائل نفسي : كيف نما البطن وتكرش في حين أنني لا ألزم نفسي في حياتي اليومية بنهج معين كما لا أتناول وجباتي في أوقاتها ، وجلست أستمع الي المذياع ، وما انتهت الأغاني حتى أخذت المذيعة تتحدث في نعمتها الرتيبة المقتضية والمعروفة للمذيعين والمذيعات عند الانتقال المفاجيء خلال البرنامج ، قائلة : يتوقف البرنامج لنذيع خبرا هاما جاءنا الساعة : دعا الجراح العام جورج جيل بواشنجتون الي عقد مؤتمر في أوائل الاسبوع المقبل يمثل نخبة من علماء الطبيعة وصفوة من علماء العاصمة ليتدارسوا معا الخطة الناجعة الفعالة لاعادة الاخصاب القومي في جميع أنحاء البلاد .. .. (١) .

ولقد رأيت مارج عندها تخطو نحوي منفعلة حتى اذا ما دنت مني صاحت في طيش : حلت بك اللعنة ... حلت بك اللعنة .

(١) حذفنا هنا أغنية وفقرة صغيرة .

— كم أنا آسف يا حبيبتى ! فما من شك فى أنها أخبار تشير وتحرك  
الشجن . وان التعب يهدنى الآن بعد عمل متصل طيلة يومى .  
واعتمدت مارج على مرفقيها ودلكت عينيها ثم مضت تقول غاضبة :  
— أجل انها لأخبار مثيرة . أولا تراها أنت كذلك ؟ أنت أنت أيها  
العنّين .

ولم أنبس ببنت شفه ، وقد رأيت مارج تفقد أعصابها للمرة الأولى  
ولقد راعنى منها هذا السلوك الممقوت . وبدأت أعرف أن الأمر أشد حرجا  
مما قدرت وقدر بوجى ... وعادت مارج توجه الى شتائمها وسبابها مرردة :  
— انت خصى ... نعم خصى .  
وسألتها منكرا :

— أراضية أنت يا مارج عما تقولين ؟ !  
واستوت مارج فى جلستها على الفراش وكانت ترتدى منامة حريرية  
حمراء من حرير المظلات الذى جئتها به خلسة من مستودع جنود المظلات  
البريطانيين عندما هبطت فى ميغارا باليونان . وتساءلت « أتتيح لشقراء أن  
تألق فى منامة حمراء مزدانة بشرائط المظلات البيضاء ، وترسل شعرها  
الذهبي منسقا على رأسها الدقيق ، ثم تحرك دموع الغضب فى عينيها .  
ان أمامك امرأة جديرة بالحب لو كانت راضية النفس ، مقبلة عليك لكن  
ها هى ذى شاردة نافرة » .  
وقالت لى : —

— ستنام وحدك على هذا الفراش !  
— وما ذنبى فى ذلك يا حبيبتى ؟  
— ذنبك ... ألم تعرف بعد جريرتك ، أعمدت من قبل الى أن يكون  
لنا معا أولاد ؟ وهل حاولت هذا من قبل أن تقع الطامة ؟





— وجريرة من هذه ؟ انها جريرة من قال أن العالم غير جدير بأن ينبج أطفالا .

— كان ذلك عام ١٩٤٣ حين لم يكن العالم غير جدير بانجاب أطفال .  
— أو لم تكن هذه هي رغبتك أنت أيضا ؟ والآن حدثيني : هل أنا الذى أحدثت انفجار الميسيبى ؟ وهل سنقضى بعد هذا الانفجار زهرة حياتنا أو ما بقى لنا من عمر لا تربطنا عاطفة أو لسنا جديرين بأن نحيا على ود خالص متبادل ووفاء كامل ؟

— استمع الى يا ستيف ، وانى لأعلم مرارة ما سأقوله لك ، وهل هي الا بعض حيلكم معاشر الرجال ، ولا تخالن أنا عنها مغضيات ، وسنجزيكم عنها جزاء وفاقا من عذاب حتى آخر رمق من حياتكم .  
وما وجدتنى فى حاجة لأن أجيها ، وملت الى غرفة النوم . وأنىء لرجل أن يأخذ فى اقناع امرأة تصيح قائلة : ما لرجل أن يدرك أبدا ما تجيش به نفوسنا من ألم ، فغاية ظننا أن حياتنا الى نهاية ، وليس ثمة ما يغيرنا بأن نحيا من أجله .

\* \* \*

وأدركت بعد ذلك صدق تقدير مارج ، فلقد أخذ يتزايد عدد النساء المنتحرات ، الى أن حدثت معجزة السيد آدم . ومضت الحياة فى دورتها رويدا رويدا هادئة مستأنية رتيبة وكأنها ساعة دقيقة لن تملأ ثانية ، تحسب الزمن بحركتها المنتظمة الى أن يحين الوقت المعلوم التى تنقطع فيه حركتها وتقف جامدة .

ولى الشتاء وأقبل الربيع ، ولم تطالعنا الحياة بجديد ، فهذا معرض الفنون يقام فى ميدان واشنجنون على عادته وهما هم أولاء الشبان والفتيات يحتضنهم غرام متبادل ، يتخيلون حاملين بيوت المستقبل الناعمة غير ناسين غرف الأطفال ، تملؤهم حماسة الشباب ثقة بالمستقبل .  
وأطلت فى الآفاق ظواهر جديدة : أخذت سيارات ذات أضلاع صنعت

حديثاً من البلاستيك تشق طريقها الى الوجود ، وصدر قرار اجماعى من الأمم المتحدة يرسم الحدود المجرية السلوفاكية ، ووفقت شركة أمريكية فى عقد اتفاق مع العراق لاستغلال بترولها لتسعة وتسعين عاماً .

ثم مضت الحياة خطوة أخرى والناس فى شغل بمشاكلهم . تمتلئ الصفحات الأولى من الصحف جميعها بمختلف الأبناء والقصص الهازلة التى ترمز الى عقم الرجال ، ومما كان يزيد الأمر طرافة أن الأمهات كن لا يزلن يلدن ، ولقد جعل هذا الناس جميعا يسخرون من فكرة العقم ويتندرون بها ، هذا الى أن المسؤولين من أعضاء الكونجرس والخبراء ورجال الدين ونفرا من رجال الأعمال والمال وقلة من الرجال النابهين فى الجيش ، كانوا يدلون مع كل يوم بما يكذب هذا .

وما أن حل شهر يونيه حتى أخذ القلق يساور الناس ، وما قارب الشهر نهايته أو كاد حتى استولى الذعر على القلوب وملك الهلع النفوس ، واذا هذه الحقيقة المؤلمة تسيطر على العالم كله وتطوى القارات جميعها من أواسط أفريقيا الى القطب حيث الاسكيمو ، وأحس الجميع الخيبة غير أنهم باتوا على أمل .

وفى اليوم الحادى والعشرين من يونيه طالعت الناس صحف الصباح وصفحاتها الأولى تحمل عناوين ضخمة بأحرف كبيرة :

## غداً العقم العالمى

وحبس الوجود أنفاسه فى انتظار العاقبة الوخيمة ، وقد رأى بوادرها تنبىء بها ، فمنذ ذلك اليوم والأيام التى تلتها أخذت الولادة تقل شيئاً بعد شىء ثم اذا هى تنقطع انقطاعاً تاماً .

غير أن شائعات تناقلها الناس كانت ترد الطمأنينة الى النفوس . كنا على يقين من أن العقم لن يبقى طويلاً ، ولن يمتد الى غير جيل أو جيلين .

وحل الخريف وأخذ العالم ينهض متثاقلا على الرغم مما رصده رئيس الجمهورية من أموال كثيرة لا تقاذ الجنس البشرى .

ومن أجل هذا عبأت الجهات العلمية جميعا جهودها وحشدت رجالها حشدا تحت علم واحد : علم اعادة الاخصاب القومى ، غير أن هذا كله لم يقف سيل المقالات التى أخذت تتساءل : ترى من سيرث الأرض ؟ أهى الحشرات أم الأسماك !

ويوما ما وبعد مرور عام بأكمله على انفجار الميسيبى قمت من نومى عند منتصف النهار وأخذت أنظر الى مارج وهى جالسة على حافة الفراش، وقد شبكت ساقها ، وتقدت الى أنفى رائحة القهوة ، واذا هى تقول لى : اليك ما فعلت ، لقد وضعت مرشح الماء عند قاعدة السرير اذ كان هذا الركن خاليا .

فأجبتها راضيا : يا لك من عبقرية !

— واليك فكرة رائعة أخرى ، يمكننا حين تظهر أجهزة التلفزيون الجديدة أن نضع واحدا منها عند قاعدة الفراش . فنستمتع برؤية مباريات البيسبول فى أمسيات السبت ونحن فى الفراش .

فقلت لها محذرا : قد يقف الناس يوما على حياتنا الخاصة فيجعلون منها مادة للقصص والتندر .

ودق جرس التلفون فرفعت مارج السماعه ثم قالت وهى تسلمها الى وفى ملامحها دهشة : انها مارية أوستنهايمر تطلبك . وأخذت السماعه وبعد أن رحبت بمارية قلت لها :

كيف تمضين حياتك هذه الأيام وماذا تفعلين ؟ فقالت هذه الاخصائية

فى الولادة :

ان ما أحب أن أحدثك عنه هو شيء جاد كل الجد . كان في نيتي أن أخبرك بما طلب مني أن أقوم به .

فقلت وقد أحسست التأثير في صوتها :  
فلتتكلمي يا مارية .

— أصغ اليّ يا ستيفن ! ان طفلا يوشك أن يولد في بلدة تاري تاون، هذا ان لم يكن قد ولد فعلا.

— سمعت شيئا مثل هذا منذ أسبوع ، فطرت الي مكان يدعى بيج ستون جاب بفرجينيا وهبطنا حين بلغناها في حقل من القمح فاذا نحن بين يدي وليد حقا ، ولكن لفيّل في ملهى معروف .  
وتابعت حديثها في تريث وفي رقة :

— غير أن نبأ اليوم جد لا هزل ، جد لا هزل يا ستيفن . ولعلك تذكر أني حدثتك يوما عن الطبيب بلاندي ذلك الطبيب المولد في روشستر .  
فلقد دعى لولادة منذ أربعة أشهر ثم عاد في شهر مايو .

— ترى ما باله لم يقل حتى اليوم شيئا ؟  
— انك لأبله فلقد ظن بادىء ذى بدء أن الطفل سوف يولد ناقصا على غير المألوف ثم اذا هو بعد انتهاء يونيه يظن أن أمد الحمل قد طال وجاوز المألوف ، من أجل هذا آثر الصمت الي أن يتبين الأمر حقا .  
— وهل تبين الأمر الآن ؟

— ليس ثمة شك في هذا النبأ ، فلقد مضى على حمل الأم تسعة أشهر كاملة غير منقوصة ، وكان حملها بعد أشهر ثلاثة من ظهور تلك الاشعاعات التي عقم بسببها الذكور جميعا . ولقد جاءني بلاندي هذا الصباح بجميع ما لديه من أبناء تلك الحال الفريدة . فقلت وأنا أجهد في أن أجد مغمزا في القصة وكنت على يقين من ذلك :

— وما باله قد جاءك بها ؟

— هذا لأنى عضو الهيئة التنفيذية بلجنة أبحاث نيويورك العاملة بمؤسسة إعادة الأخصاب القومية . ثم انه يدرك أن هذا الأمر سيثير ضجة كبرى فى ميدان الصحافة ، وأن دويا هائلا سيحدث عندما يولد الطفل ، من أجل هذا سألتنى أن أشير عليه .

ثم صمتت برهة واصلت بعدها حديثها ساخرة :

— قلت له ان فى مقدورى اقناعك وأنت الصحفى الخبير بشئون الصحافة يا ستيفن ، هذا الى أنك ممن يوثق بهم ويعتمد عليهم .  
فقلت لها : فليباركك الله يا مارية ، فليباركك الله .  
وجاءت مارج فقالت وهى تقطع علينا الحديث :  
ماذا هنا ؟

فصحت بها :

صه ! رجائى ألا تتكلمى .

— ليس فى وسعك أن تبعدننى عما يقع .  
قالت هذا ثم مشت الى صوان الملابس وأخرجت منه ثوبا أزرق اللون وبدأت تعد ثيابها الداخلية بأحد الأدرج . وواصلت حديثى فى التلفون قائلا :

— وأين سيكون مولد هذا الطفل يا ماريه ؟

وساد الصمت لحظة أدركت أنها شغلتنها بالبحث فى مفكرتها ، وشغلتنها أنا بالتفكير فيما سيطلب منى بوجى أداءه .  
ثم قالت ماريه :

هذا هو العنوان ، جيت هاوس ، روزمير ، تارى تاون .  
— يخيل الى أن هذا المكان مزرعة .

فأجابت مارية تحدد المكان :

حقيقة انه بيت على مشارف مزرعة . هيا أعد عدتك للذهاب يا ستيفن  
ولا تتمهل فقد يقع الوضع في أية ساعة من بعد ظهر اليوم ، هذا ما يؤكد  
بلاندى . ثم لا تنس أنك سندنا في هذا المأزق .



وخلعت منامتى قبل أن أترك الفراش فصاحت مارج في دهشة :

— لم أرك في حياتى كلها كما أراك الآن عجلا يا ستيفن .

— ضعى بعض القمصان والملابس والمناديل وكذلك أدوات الحلاقة

في احدى الحقائب . بالله عليك الا أسرعت فهناك طفل على وشك أن يولد،

وانى لأرجو الله أن يكون هذا حقا .

— والى أين نحن ذاهبان ؟

— الى تارى تون .

— ان رحلة قريبة كهذه ليست في حاجة الى هذا كله .

— لو تحقق مولد الطفل فلن أبرح المكان سريعا .

— أتعنى أننا سنقيم فترة من الزمن هناك ، ما أظنها الا رحلة هامة .  
ونظرت الى مارج فوجدتها قد فرغت من ارتداء ملابسها ، فأخذت  
حقيتي في خفة ومهارة وكأنا تاركو البيت لنزهة من نزهات آخر الأسبوع  
على حين لم يكن بيننا وبين قيام القطار الا عشرون دقيقة . واستقلنا سيارة  
من الشارع الخامس الى المحطة حيث كانت الأضواء تسطع على طول  
الطريق . ولبثنا فترة قبل أن يقوم القطار الى تارى تاون ، قطعناها في قراءة  
الصحف وارتشاف قدحين من اللبن .

مضى القطار يزحف على الأرض زحفا الى هدرسون وكأنه مركبة من  
مركبات الترولتى تسير وسط المدينة ، لا يمر بمحطة فرعية الا وقف عندها  
يبطىء ويتلبث حتى ملأ النفوس ضجرا .

ولقد أخذت أرقب المحطات على التسابع ، جلين وود ، جراى ستون  
هاستنج على الهدسون ، دوزفرى ، ثم ارثينجتون ، وكانت المحطة التى  
تليها تارى تاون ، وهناك وجدنا سيارة أجرة فسألت سائقها : أتدرى أين  
روزمير ؟ اخالها مزرعة !

فألقي السائق بعقب سيجارة كان في فمه ثم قال : أعرفها حق المعرفة  
فلقد عشت فيها طيلة حياتى . أتريدان الذهاب الى روزمير ؟

قلت وأنا أضع الحقائق فى المقعد الخلفى : حقا .

وقال السائق : دعونى أضع الحقائق فى المكان المخصص لها .

قلت : لا . لا ضير أن تبقى مكانها .

فقال السائق فى جرأة : انك عجل أشد العجلة .

ولم أعقب على قوله وسكت ، وتركتنى أتخيل : ترى أى أناس هؤلاء  
الذين يقطنون « جيت هاوس » لعلهم من الخدم ، ولعل ما وقع كان عن  
علاقة نشأت بين خادمة ورئيس خدم فى بيت ما ، فقالت مارج : هدىء من

روحك يا ستيفن ، ودع الأمور تجرّ في أعنتها . وما يمكن أن نكون أكثر عجلة .

زحفت العربة الى التل زحفاً وئيدا ثم اتهمت الى بوابة ذات أعمدة حجرية قد شدت اليها سلسلة ربطت بقفل . وكان وراء تلك البوابة منحدر ضيق يتسع للسيارة مرصوف بالحصى . وسأل السائق :

— أتريدان هذا البيت الكبير ؟ ان أهله يوصدون — في مثل هذا الوقت من كل عام — أبوابه وينزحون عنه الى الجنوب .. فأجبت :  
لا . بل ذلك الكوخ المشرف على البوابة .

فكك السائق السلسلة وانحدرت العربة في ببطء نحو من خمسين ياردة ثم هبطنا منها أمام بيت صغير متظامن قد شيد من حجارة صلدة وأحكم بناؤه ، تخيم فوقه شجرة من البلوط جرداء تغطي سقفه المشيد من طوب أحمر باهت ، وكانت أمام هذا البيت سيارة سيدان بويك طراز عام ست وأربعين وتشير البطاقة الخضراء المثبتة في مقدمتها الى أن صاحبها طيب مولد . وأعطيت سائق السيارة دولارا فعاد بسيارته الى الورا لياخذ طريق العربات ، وضغطت على الجرس ثم قرعت الباب في عنف فاذا هو يفتح لي واذا أنا بين يدي رجل فيما بين الخامسة والأربعين والخمسين فارح الطول محمر الوجه ينضح جبينه عرقا وقد نزع سترته وشمر عن أكمامه فبدا لي وكأنه قد فرغ من عمل شاق . ودلفت أنا وزوجي نحمل حقائبنا فسألنا قائلا :  
أأنت السيد سميث ؟

— نعم وهذه زوجي مارج .

— أهلا بكما . وأنا بلاندى . وعذرا اذا لم أمد اليكما يدي مصافحا فهي لا تزال مبتلة بالماء . لقد حدثتني عنك ماريه غير أنها لم تذكر لي شيئا عن زوجتك . فأسرعت مارج تقول :



— أخشى ما أخشاه أن أكون قد تظفلت حين جئت معك ، فان كان الأمر كذلك ..

فقطع عليها الطبيب الحديث قائلا :

— لا ان معى حقا ممرضة فى الطابق العلوى ولكن لا تنسى أن ثمة عشرات من الأشياء تنتظر عونك ومساعدتك . ومهما يكن من شىء فان واجبك الأول يا ستيفن هو أن تعنى بأمره .

قال هذا وهو يومئ برأسه مشيرا الى ركن خلفه بادىء ذى بدء لا يضم غير معزف ضخم ثم تركنى وأخذ يصعد الدرج لاهثا ، وحين أنعمت النظر ، وجدت هنالك رجلا يكاد المعزف يحجبه قد جلس متربعا على حشية خضراء قلقا معتما قد طوى ساعديه واسترسلت لحيته الطويلة بين راحتيه فقصده وأنا أقول .. مرحبا بك . فقال وهو ينهض واقفا على قدميه : مرحبا بك ... أنا آدم ...

فدهشت لفرط طوله اذ كان يربو على ستة أقدام بيوصات أربعة أو خمسة أو قل بستة وسألته ، ماذا تقول :

— أنى آدم .. هو مر آدم .

— هل أنت ال ...

— أجل انى أنا الذى سألد طفلا ... أعنى أن مارى الين هى التى سنقوم بهذا .

وظل يضع يديه فى جيوب سترته ويخرجهما . وكانت يداه طويلتين معروفتين وقد بقيتا ترعشان رعشة عصبية كما كانت خصل شعره الحمراء تتمايل هنا وهناك ولا تكاد تستوى على قمة رأسه ؛ فقلت وأنا أحاول أن أسبغ على صوتى رنة فيها الفرح ومعها الثقة .

— والآن هيا أطرح الهموم أيها الرجل . انى أنا ستيف الصحفى وما حملنى على المجرى الا الأمل فى أن أسدى اليك معروفا وأن أمد اليك

يد العون فلا تدع للتأثر عليك سيلا ، ألا ترى أنك أول من سينجب طفلا وأنه ما من أحد قبلك قد فعل ذلك .

— أجل ما فعل ذلك أحد قبلي ... أعنى في تلك الفترة الأخيرة .

وكانت عينا مارج تفحصان الغرفة وتتفرسان كل شيء فيها : صور القنص ثم المدفأة فخرائن الكتب ثم الستائر . وأخذت تضحك في سذاجة وهي تقول لنفسها : كم أحبه وكم هو لطيف !

ودوت في الطابق الأعلى صرخة حادة لامرأة ثم انقطعت دون أن تكمل وغشيت آدم رعشة ثم وقع خائرا على الأريكة . وكم دهشت حين رأيته لا يشغل الا حيزا قليلا لا يزيد عن بضع أقدام وهو جالس ، على حين آراه فارغ الطول مديد القامة وهو واقف .

ثم قلت لهومر وأنا أجلس الى جواره :

استمع الى يا هومر فعندى بضعة أسئلة أرجو أن تجيبني عنها الآن . وبغثة جاءت مارج تحمل شيئا من الويسكى والصودا ، وبعد ساعة عادت ثانية تحمل شطائر ، وحين أرخى الليل سدوله صكت مسمعى أصوات تنبىء عن عمل جاد له أهميته ، عندما صاح الطبيب بلاندى :

أبشروا أيها القوم . أبشروا لقد تحقق الوضع . انها بنت . انهاروبى بنت جميلة . لقد خرجت الى الحياة دون جهد ما .

وصرخت صرخة مدوية : كم وزنها ؟

فقال مارج : يا له من سؤال فارغ لا وزن له .

— أعرف هذا ، غير أنه هو السؤال الذى درجتم على طرحه عقب الولادة توا .

ورفع الطبيب بلاندى صوته يقول :

— ان وزنها طبيعى مألوف ، أعنى بهذا وذاك أنها تزن سبعة أرطال . فأسرعت الى التليفون وتحدثت الى بوجى رئيس التحرير وقلت له فى

تؤدة وحرص على تخير الكلمات : هاك نبأ خطيرا . لقد أنجب السيد هومر  
آدم وزوجته ماري ايلين طفلة . وذلك في الساعة السادسة والدقيقة الواحدة  
بعد الخمسين من مساء اليوم في مدينة تاري تاون بنيويورك .

ونظرت في ساعتى لأتحرى صحة الوقت فوجدته كما قلت وسألنى

بوجى :

أمالك أنت لقواك العقلية ، أم تراك أسرفت في الشراب يا ستيفن ؟

— ألق الىّ بسمعك كله . فانى أعرف ما أقول .

— أتقول ان آدم هو والد الطفل .

— أقسم لك على ذلك ، ان آدم ، انه آ . د . م ، انه هو بلحمه

ودمه .

وألقى الىّ بوجى أمره في هدوء يقول :

— أعد تقريرا موجزا عن النبأ خلال خمس دقائق ، وبعد ، فعليك أن

تملى القصة كاملة ثم لا تن عن أن تزورنى ومعك الصور الفوتوغرافية ...

انها وربى لأروع قصة .

— انها في الحق لكذلك أروع قصة منذ بدء الخليقة .

— لا بل منذ حادث المسيبى .



## الفصل الثالث

لو أن هومر آدم قضى نجه قبل هذا اليوم الذى أصبح فيه الأب الفرد فى العالم بعد حادث المسيبى ما عنيت صحيفة واحدة من صحف بلده بأن تنعاه فيما لا يزيد عن جمل ثلاث مهما كانت الأسباب التى تدور حول وفاته .

ولد هومر فى هيانس بنبراسكا وهى مدينة صغيرة غنية بمواشيها ، ويقال ان جده الأكبر نرح الى هذه المدينة التى هى مسقط رأس هومر عبر السهول فى عربة مقللة — وكان هذا حدثا آثار اهتمام محررى الصحف حين بدأت السلطات تدرس مشروعات تعيير المنطقة .

وكان هذا الجد راعيا ، وكان أبوه بقالا يبيع بالجملة .

وكان هومر فى صباه على شىء من الحياء . وكان مولعا بجمع طوابع البريد شغوبا باقتناء التحف الفنية الثمينة التى أبدعتها يد الانسان . وكان أكثر شغلا بهذه وتلك منه بكرة القدم وركوب الخيل والصيد .

واندفع هومر يحدثنى عما تعيه ذاكرته حول طفولته بعد أن اطمأن الىّ ويقول :

— لقد كنت مفحشا فى الطول افحاشا يتنافى وسنى فى صباى وكان هذا يغرى بى من هم أصغر منى جسما من الأطفال وأكبر سنا على أن يضربونى ويغلبونى على أمرى . ولقد أورثنى هذا شعورا بالنقص .

شب هومر منذ نعومة أظفاره مولعا بدراسة الآثار وكان والداه غير راغبين فى ذلك اذ كانا يحببان له أن يكون رجل أعمال ، ومن ثم عكف على

دراسة الجيولوجيا ودخل مدرسة المعادن في كلورادو فكان من المبرزين  
وإذا هو يلحق بمنجم من المناجم عقب تخرجه وحصوله على درجته  
الجامعية .

وعندما نشبت الحرب لم تر هيئة أطباء الجيش انه يصلح للخدمة  
العسكرية لطوله المفحش ولاسترخاء عضلاته وشدة نحافته غير أنها رأت  
الانتفاع به في جهود أخرى تتصل بالحرب وبعثت به الى استراليا . وهناك  
لبث في الصحراء يعمل في منجم وقتا طويلا . وإذا هو بعد هذه الغيبة الطويلة  
يتحرك فيه الشوق الى وطنه فيقضى أوقات فراغه في تحرير خطابات الى  
حبيته ماري الين كوب يبثها فيها غرامه وكانت سكرتيرة بمكتب شركة  
جوجنهم في نيويورك حيث كان يعمل قبل رحيله في مدينة صغيرة للتعدين  
في الصحراء بالقرب من أليس سبرنجز . وعند عودته من استراليا تزوجها  
بعد أن قضيا معا فترة خطوبة هنيئة .

وكانت هذه هي الحقائق الجوهرية التي آثرني بها وأنا أنصت اليه  
في غرفة الجلوس من الكوخ ، نرقب ميلاد طفلته . وعلى كل حال فقد كانت  
تلك هي الحقائق التي فاض بها قلبه وانطلق بها لسانه ولم تكن في تقديري  
من الأمور الأولى التي كنت أحب أن أستخلصها منه فلقد قطع على مولد  
ابنته الفرصة فلم أسأله عما يجب أن أسأله عنه وما تم لي هذا الا بعد أن  
مرت فترة طويلة أعنى بعد أن اطمأن على فلذة كبده وبعد أن رحلت مارج  
لتعود الى بيتنا في الشارع العاشر اذ لم نجد لها في بيت هومر مكانا  
تبيت فيه .

وبعد أن اختلست فطرة الى الأم وطفلتها ، نظرة اطمئنان وتهنئة عدنا  
الى غرفة الجلوس حيث وضعت في يد هومر كأسا أخرى من الشراب مهنا  
اياهم بسلامة الزوجة ومولد الطفلة .

وكانت السيدة ماري الين شابة تفيض صحة وتهيض مرحا وتنطلق أسارير وجهها بشرا وتختلج قساماتها كلها هوى وجبا .

ولقد أكد لي الطبيب بلاندي أنها حملت آلام المخاض في عزم وصبر كبيرين ، وقال لقد تم هذا في يسر وتوفيق وكنا وكأنا نخرج حبة فول سوداني من قشرتها . واما عن الطفلة فشانها شأن كل مولود طبيعي قد امتلأت حيوية ونمت مخايلها عن ذكاء .

وبعد أن حدثني هومر آدم بحديث حياته أخذت أعتذر اليه عن تلك الأسئلة التي ألقيتها عليه وكان لابد لي من توجيهها له غير ملق بالاء الى وقته ولا الى قلقه ثم أردفت قائلا :

— اني واثق كل الثقة أن القلق قد أخذ منك مأخذه وليس عجيبا على من كان في مثل حالك أن يقلق . ثم لتطمئن الي أنك قد وفرت على نفسك باجابتك عن هذه الأسئلة عناء كبيرا كنت ستلقاه بعد ، فما أظنك تعلم ان مخبرى الصحف جميعهم في نيويورك سوف يخفون الي هذا المكان بعد قليل . واني لباذل كل جهدي في أن أكفيك شرم ان رأيت أن تزودني بما أطلبه منك مما أنا في حاجة اليه .

وأضطرب هومر اضطراب الشجرة اللدنة في مهب الريح ثم جرع كأسه وقال وكأنه يتأوه :

رباه كيف قدر لي أن ألقى هذا كله !

وقلت له :

دع عنك التباله فانك لرجل قد أسعدك الحظ وسوف يعلو نجمك ويسطع اسمك وتكون مرموقا ولقد غدوت بفضل الله وعنايته صاحب الحظ الأوفر من بين الذكور جميعا .

-- ان ما يشكل على فهمه ويعمض عنى معناه هو : كيف حدث

ما حدث ؟ ثم هل لك في أن تناولنى كأسا أخرى من الشراب علها تهدىء من روعى فانى كما ترى خائف وجل .

وصيبت له جرعات من شراب لم أخففه الا بقليل من الماء فابتلعه فى جرعة واحدة فاذا حلقة يغص واذا الدموع تظفر من عينيه ، فقلت له محذرا :

على رسلك وانى لأرجو أن تخبرنى : أين كنت يوم انفجار الميسيبى؟ — كنت فى كلورادو وقد دعانى الى هناك مدير المنجم لأقوم بالبحث والاستقصاء ولأكتب تقريرا عما اذا كان من الممكن التنقيب ثانية فى مناجم الفضة والرصاص .

— وفى أى مكان من كلورادو على التحقيق ؟

— بالقرب من ليدثيل . ولقد قضيت النهار فى جوف المنجم الثانى وانى لأخالك تعلم انه من أكثر مناجم العالم كلها عمقا بل هو فى الحق أكثر مناجم الرصاص عمقا ، وحين صعدت قصدت الى ليدثيل مع المساء وكان اليوم يوم الأحد على ما أذكر . ولشد ما كانت دهشتى حين حدثنى الأهلون عن ذلك البريق الخاطف الذى لمعت به صفحة السماء ولقد سمعت بعد الخبر مفصلا من الاذاعة .

ولم أجد أننى كنت فى حاجة الى الاحاطة بعلوم الطبيعة احاطة الأستاذ پل كى أقوى على تعرف الأسباب التى تفسر معجزة آدم فسألته :

— ليس مستبعدا أنك كنت ساعة الانفجار فى عزلة عن هذا العالم تحجبك عنه طبقات الأرض .

وفكر آدم ثم قال :

— أجل أعتقد ذلك فان الرصاص يقى الانسان أثر الاشعاعات وقد كانت فى الطبقة الدنيا من هذا المنجم وفرة من الرصاص والفضة شأنها فى

ذلك شأن المناجم الأخرى في أنحاء العالم . هذا الى أن تلك المقادير الوفيرة ليست ذات قيمة اقتصادية لأن .....  
وقطعت عليه الحديث قائلاً :

— خل عنك بحث الموضوع كما ينظر اليه المعدنون ولنستعرض وجوهه المختلفة من حيث صلته بالاشعاعات وآثار تلك الاشعاعات التي نجت من الانفجار .

— لما كان الرصاص يقى الانسان آثار الاشعاع فلقد كنت وأنا على عمق يبلغ — في ظني — الميل أو يزيد آمن رجل في العالم .  
— ان هذا ليبن حقا لا يقبل جدلا وإلا يثير شكاً لو اننا تدبرناه في ضوء الحقائق الثابتة المعروفة .

ودفعني الأمل في أن يكون ثمة آخرون من الذكور مثله قادرين على الانجاب فسألته قائلاً :

— ترى هل كان معك غيرك ؟

— لا . اذ أن المنجم الثاني مهجور منذ عشرات السنين . واذا كان هناك نفر من الحراس فما كان لهم من عمل ذي بال غير تحريك المصاعد وحراسة الآلات والمحافظة على أنابيب الصرف وفحصها بين حين وحين وما كان لهم أن يهبطوا الى أعماق المنجم .

\* \* \*

كنت أحسب أن الأيام التي تلت مولد طفلة هومر آدم بما حملت لن تشغل فكري وخيالي . لكن الأمر جرى كما لو كانت حكاية التوائم الخمس بنات ديون <sup>(١)</sup> قد عادت الى الحياة من جديد ؛ وأن يكون الأب في هذه (١) توائم ديون الخمس : هن خمس بنات توائم ولدتهن الزيراديون Elzira Dionne بالقرب من كوربي ( أونتاريو ) في ٢٨ مايو ١٩٣٤ وكانت قد أنجبت قبلهن ٥ بنات أخريات وقد أعطين عناية استثنائية وتحت رعاية التاج . وكانت أسماؤهن : ماري ، سيسيل ، أنت ، ايفون ، اميلي .



الحال الفريدة لا الأم هو قطب الرحي . هذا الى أن ثمة مفارقات كبيرة بين الحالين ، احداها أن كل حي دون استثناء كان معنيا بالسيد آدم عناية حية ملؤها الشغف وانى على هذا أقر بالعجز والقصور عن وصف هذا الحادث الجلل وصفا يستقيم وحال السيد آدم ورفاهيته في حاضره ومستقبله ، هذا الحاضر وذلك المستقبل اللذان كما يدل عليهما لفظاهما يعينان بقاء الجنس البشرى أو فناءه على ظهر الأرض كلها على السواء .

وجاءتني جماعات غفيرة من زملائي في المهنة من صحفيين وصحفيات راحت تطاردني وتزعجنى وتضيق على الخناق بأسئلة لا حصر لها بددت وقتى الثمين وحرمتنى الاستمتاع به على حين كانت لا تكف عن التندر بى والسخرية منى ، تعاود السؤال وترقب الجواب .

واذا ما حجت عنهم شيئا أخذوا فى العراك واذا ماتوانيت عن الاجابة لجأوا الى الغلظة والخشونة والى كل ما فيه امتهان لكرامتى غير حاسبين لروح الزمالة حسابا ، فاذا بى فى حيرة وارتباك واذا بى لا حول ولا قوة ، واذا بى عاجز عن أن أفهم ما وراء هذا كله وما جدواه .

ولم أنس هذا الدرس القاسى المؤلم ، من أجل ذلك فكرت فيما أحسى به نفسى من هذا العذاب وتوصلت الى أسلوب طريف ناجح كانت دور الصحف تنتهجه فى تسجيل الأحداث خلال الحرب العالمية الثانية ، أعنى به نظام التصوير المشترك ، أو قل الحد من مصورى الصحف والمحررين ، فبدلا من أن تتجمع منهم عشرات فى هذا المكان الضيق حيث ولدت طفلة آدم ، أختير مصور من مصورى الصحف وآخر من مصورى السينما كى ينوبا عن الباقيين فى اعداد الصور وجمع المعلومات التى تعنى الشركات ودور الصحف ووكالات الانباء .

ونظمت مؤتمرات صحفية غير صاحبة يلقي فيها السيد / آدم ومارى .

الين والطبيب بلاندى والسيدة بريندجج المرضة المدربة التي كانت على الرغم من ميلها الى الصمت تقف فى سبيل كل ما تتخذه من خطوات مدفوعة الى ذلك بطبعها الاسكتلندى العنيد ، وبعد لآى أفلحنا فى حملها على السماح للصحفيين برؤية الطفلة التي أطلقت عليها الأم اسم اليانور وكان ذلك فيما يبدو لى لسبب سياسى واحد هو أنها كانت ديموقراطية متحمسة .

وفى الوقت عينه استطعت أن أعد تحقيقا صحفيا لا بأس به لوكالة الأنباء التي أعمل بها لكى أظفر برضى رئيسى بوجى . ولقد توخيت فيما فعلت القصد والاعتدال كيلا يكون سببا يثير التذمر بين السادة الزملاء وحرصا منى على أن أبقي حيث أنا فى مكانى الاستراتيجى العتيد .

ولقد رأيت فى جملة ما قمت به أنى وفقت التوفيق كله فى كسب رأى الجميع .

وكانت هذه المؤتمرات الصحفية كما قدر الجميع ذات طابع علمى يعنى بعلم الأحياء ، وما نظننا كنا نستطيع بغير هذه الوسيلة أن تتدارس مثل هذه القصة النادرة .

وعلى الرغم من أن هومر كان يبدو خجلا حائرا ، يقف أحيانا على ساق مرخيا ساقه الأخرى وكأنه طائر غريب من طيور الكركى ذات الرؤوس الحمراء فقد كان يتراءى فى نفس الوقت حاد الطبع سريع الخاطر حاضر البديهة خاصة عندما سألته محررة عجوز شمطاء ماكرة ساخرة تعمل باحدى الصحف المصورة . فقالت له فى جرأة :

— لست أسألك الآن أيها السيد آدم عما اذا كان هناك خطأ قد وقع فى هذا الأمر ولكنى أريد أن أسألك : هل كانت هناك بينك وبين زوجك قبل الزواج صلات جاءت عفوا وأملتها الصدفة ؟

وأجاب آدم فى هدوء بعد ان أسترد أنفاسه :

— أراك ، يا سيدتى تسوقين الى عبارات ضخمة جوفاء ، فان كنت تعنين أنى خلوت بها قبل الزواج فجوابى على ذلك لا .  
وهنا هبت المحررة واقفة فضج سائر المحررين ضحكا فضاقت بذلك وقالت :

— انما أجهد جهدى فى أن أقف على شىء ذى بال الا وهو أن هذه الطفلة لم تكن الا ثمرة حمل طويل الأمد على غير المألوف .  
وقال هومر : من المستبعد أن يصح ما تزعمين وهذا لسبب واحد وهو أن مارى الين كانت تعيش فى نيويورك حتى اليوم السابق لزواجنا بينما كنت أنا فى كلورادو .

وعادت الصحفية البذيئة السيئة النية تقول لهومر :  
— ولكن ثمة علاقات جنسية تخرج أحيانا عن مألوف تلك العلاقات التى تتم بسبب الزواج .

وكنت أحس بالرغبة فى أن أجيب على هذا بالذات غير أنى آثرت الصمت لعل هذه الصحفية تكف عن الكلام . فلزمت الهدوء ، وظل هومر واقفا ساكنا ويداه الطويلتان المعروقتان تصفران وتقلصان ، وقد بدا وجهه منتقنا .  
وتدخل فى الحديث زميل اسمه مايك برجن يعمل فى صحيفة التايمز وقال لها : —

— استمعى الى ياسيدتى — وكانت لهجته وهو يقول سيدتى تثير الشك فى هذا اللون من السيدات اللائى أراد أن يسوق اليهن الحديث بتلك اللهجة — أعتقد أن الصواب قد جانبك وبعد عنك يا سيدتى وحسبك على أية حال أن شعر الطفلة كشعر أبيها أحمر .

وأرادت المحررة العجوز ذات الوجه الغض الطرى طراوة العجين أن تستر فشلها وأن تبدى أسفها لما صدر منها من تجريح فقالت :

— ان رئيسى هو الذى ألقى الى بهذا السؤال .

ولم تكذ الصحافة تفرغ مما يشبع نهما ويروى فضولها حتى بدأ الجيش الأمريكى زحفه ، ذلك الجيش العتيد الذى يعدو عندما يدعو داعى الواجب والحرب كتلة واحدة يمتلىء غيرة وحماسة وتفكيراً وتديباً ويصبح أحسن ما يكون استعداداً وكفاية على الهجوم . فان لم تكن ثمة حرب تدعوه أو تهيجه فهو على حال أخرى ، فلا نشاط ولا حماسة ، ولا عمل . ولقد خشيت أن يكون ثمة أمر قد دعا الجيش الى تطعيم قيادته وتشكيلاته بدم جديد من الشباب مع الابقاء على الجنود القدامى المدربين خشية منافسة الحياة المدنية لحياة الثكنات والتأثير عليها ، الأمر الذى قد يعرى الضباط بالاخلاد الى الراحة والدعة .

أجل لقد بدأ الجيش زحفه بعد أن أفلت الزمام من أيدي رجال الشرطة المحليين وغدوا عاجزين عن تسيير دفة الأمور وحفظ النظام وبعد أن استغاثوا المرة بعد المرة بالجيش كى يمدهم بفصيصة من الشرطة الحربية تلك الفصيصة التى كان لها دون غيرها الفضل كل الفضل فى إعادة النظام وانتظام حركة المرور من جديد والحيلولة بين الفضوليين وبين أن يتسلقوا سور الحديقة وابعاد الذين كانوا بين الحين والحين يقلقون بال السيدة برنددج وهم يصوبون اليها نظرات عابثة من عيون تشبه عيون الحشرات وهى عاكفة على اعداد الطعام للطفلة اليانور ، ولقد كان الجهد الأكبر الذى بذلته تلك الفصيصة والعمل الأهم الذى قامت به هو اقصاء الفتيات المراهقات عن هومر ، هؤلاء الفتيات اللاتى شغلن طيشهن وثورتهن بآدم فانصرفن عن أن يبدن اعجابهن بمشهورى المعنين العاطفين ونجوم الشاشة اللامعين . ولم يعد رجل يستأثر بهن سواه بعد أن حرصن على اقتناء صوره الشمسية يجدن فيها ما يجذبهن اليه جنسا ويحرك مشاعرهن .

وأحاط رجال الشرطة الحربية بالمرزعة فأثارت حركتهم العسكرية تلك التي لم تكن مألوفة لهومر الرعب في قلبه وأرعشت فرائضه ، كما أثارت التزع في قلب ماري الين فصدفت عن ارضاع الوليدة ، وغدا هومر يحس بخيبة الأمل فلقد عمه الشعور بأنه ليس مواطنا مثل سائر المواطنين له حقوقه المكفولة التي تتيح له أن يستمتع بحياته الخاصة مثل ما يستمتع الناس وأن يذوق طعم الحياة المنزلية حرا مع زوجته وطفله . وما أن وصل العقيد فليس سمايث الى روزمير حتى بدأ هومر يحس أعباء رسالته الانسانية المقبلة ، تلك الرسالة التي ستكون لخير وطنه ولخير بنيه ولخير الجنس البشرى كله .

وفيما أنا ألهو بلعب الورق مع هومر دخل علينا المنزل العقيد فليس سمايث يدفع الباب بنعله الطويلة ذات المهماز وهو يقول : أين سيد هذه الدار ؟ بودى لو رأيت السيد آدم .

وتحرك هومر تحرك الرافعة وسرعان ما قال : أنا آدم ، غير انه لا سيد هنا ولا أتباع .

وأفصح فليس سمايث عن غرضه قائلا ان عدم وجود مسئول هنا هو ما حملنى على المجيء ، وقد اتدبنى الجيش لأحمل هذا العبء . ثم صمت لحظة أخذ بعدها يقدم لنا نفسه في أسلوب أشبه بأساليب المسرح وهو يقول :

— العقيد فليس سمايث الياور الخاص للقائد العام للمنطقة الوسطى وضابط الشئون العامة .

ثم أشار بأصبعه الغليظ الى عنق هومر وهو يقول :

— انت منذ الآن في حماية قيادة المنطقة الوسطى ، فلقد غدا القائد كيب مسئولا عنك وعن سلامتك أمام الدولة ، وكذلك غدوت أنا الآخر مسئولا أمام القائد كيب .

وأخذ العقيد يتطلع الى ويتطلع الى الطبيب بلاندى تطلع المستعلى  
قد ألقى في روعه أنه قد ملك الموقف دوننا ، يدفعه الى ذلك شيء في نفسه  
لا صلة له بواجبه الملقى عليه من قريب أو من بعيد ، يحس أنه قد أسدى  
الى هومر صنيعا فخلصه من عسفنا ومن سطوتنا . ولقد قابلت نظرتة بنظرة  
مثلها وليس أكره الى نفس أمريكي مثلى يدعى اسمث من مثل هذا الرجل  
سمايث الأجنبي ، الدخيل المطعون في وطنيته (١) وعلى كل حال فما كنت  
لأحب هذا الا سمايث الهجين . ولقد رأيت صدره يزدان عرضا بأوسمة  
تحكى ألوان الطيف ، تزيد أضعافا ثلاثة وهى تتدلى من صدره وقد سطم  
من فوقها وسام النصر في الحرب العالمية الثانية ، ووسام آخر يرمز الى بيرل  
هاربير قبل حدوث معاركها ، وحولهما أشرطة لميادين القتال الأمريكية  
والأوربية والآسيوية ، بيد أن هذه الأوسمة كلها كانت تعوزها النجوم  
التي تلمع وتزهو بينها لتؤكد أن حائزها قد حقق نصرا أو أدى واجبه في  
معارك حققة ولذلك بدت لى جوفاء أشبه شيء بما يضعه السائحون في  
الثلاثينات من هذا القرن على حقائبهم من ملصقات الفنادق كى تلفت النظر  
اليهم بتنافرها في جولاتهم المتعة في أرجاء أوربا خلال أسابيع ثلاثة .

لم يكتف العقيد بهذا بل لقد ضم اليه زخارف أخرى غريبة تبيتها  
فاذا هى تعزى الى بلاد أخرى وأماكن مثل أورجواى وجمهورية دومينيكان  
والمعرض العالمى ، وتدلّت أسفل هذه الأشرطة شارات تشهد بأنه فارس  
ماهر يجيد اطلاق الرصاص بالمسدس أو البندقية ، وأبصرت كذلك قطعة  
من الحلوى براقه مطموسة المعالم وضعت على الجانب الأيمن ، من بطنه حيث

(١) Hyphenated Smith اصطلاح يطلق على الأجانب المستوطنين والحائزين  
على الجنسية الأمريكية في انولايات المتحدة الأمريكية وان بقى ولاؤهم  
موضوع الشك غالبا .

يبرز كرشه ، فعرفت أنها جزء من حزامه الذي يشده على وسطه وسألته  
أستوضحه :

— ولكن خبرني ما الذي جر قيادة المنطقة الوسطى الى أن تقحم  
نفسها في الأمر وتستأثر بالسيد آدم ؟

فصاح بي العقيد قائلاً : أولاً وقبل كل شيء ... ثم قطع كلامه وقال  
يوجه الحديث الى " : أنت ذلك الصحفي الذي أقحمت نفسك في هذا الأمر  
وتوليت نشره والاعلان عنه ؟ ومن الذي خولك حق البقاء هنا ؟  
فأجاب هومر : أنا الذي قبلت ذلك .

فضحك الطبيب بلاندى وقال : أليس هذا بيت السيد آدم ؟  
ومضت برهة روعت فليس سمايث بما لم يكن يتوقعه من مقاومة وبعد  
عن الاستجابة له والصدوع لأمره غير أنه سرعان ما تملك نفسه ثم قال :  
— لا تثريب عليك لجهلك السياسة العليا ، وتعلم يا هذا أن الهيئة  
المشتركة لرؤساء أركان الحرب قد اجتمعت لتناقش الموضوع ، ولقد  
استقر رأيها بعد أن نظرت الى المصالح القومية ومستقبل الدفاع عن البلاد  
على أن تعد السيد آدم من الممتلكات الحكومية ذات الأهمية الاستراتيجية  
الحيوية ، ولقد أمضت الهيئة هذا القرار بما لها من سلطة مخولة في  
الدفاع القومى المرتقب .

وختم بلاندى هذا الحديث بما يمليه المنطق فقال :

— لقد انتهى الى علمي أن الكونجرس قد طلب من الوزارة أن تفعل  
شيئاً من أجل هومر المسكين . ويخيل الى أن هذا هو كل ما أستقر عليه  
رأيها .

واعتدل هومر في جلسته فجأة وصاح وبريق عينيه الوادعتين عن  
سخط :

— ولكنى غير راغب فى أن أغدو ملكا لانسان وما أريد الا أن أترك  
وشأنى الى جوار زوجتى مارى الين وطفلتى الصغيرة . وهل كتب على أن  
أحمل وزركم جميعا اذ غدوتم عمماء ؟ !

وضع فليپس سمايث كهه الغليظة على كتف هومر الشديدة الانحدار  
ثم قال :

— يا بنى ، لا تنس أن هذا القرار قد أملتة المصلحة العليا للوطن  
ولتعد نفسك سرا عسكريا من الأسرار الهامة التى لا تقل شأنًا عن القنبلة  
الذرية .

وتمثل لى ما أصيب به مستقبل البشرية بعد حادث الميسيبى فصحت:

— بالله ! لا تذكر القنبلة الذرية فان ذكرها ليكاد يهيج أعصابى .

ومضى العقيد فى حديثه مغضيا عنى :

— لا تخش شيئا فستولى الحكومة الانفاق على زوجتك وابنتك حتى

تكشف هذه الغمة الكثيفة وقد خصصت لك مالا وفيرا لذلك .

قال هومر والعزم والاقبال يملأه :

— افعلوا ما بدا لكم أما عن نفسى فما أنا بتارك مارى الين ولا الطفلة

على الرغم مما يكون وانى لمتثبت مما أقول وأعى ما يجرى على لسانى  
حرفا حرفا .

— هل طلب منك أحد الآن أن تترك مارى ؟ لن يطلب منك الرحيل

الى واشنجطن حتى بيت الكونجرس فى أمرك .

— ماذا أنت قائل ؟

— أعود فأقول : الى أن بيت الكونجرس فى أمرك ويرسم السياسة

التي تتبع من أجلك . انه شىء طبيعى لا سيما بعد أن صرح رؤساء هيئة  
أركان الحرب بأنك صرت ذا خطر استراتيجى لمستقبل الوطن . من أجل



ذلك كانت وزارة الدفاع وحدها هي المسئولة عن سلامتك ولقد وكلت هذه المهمة الخطيرة الى نائب القائد : أما عن مصيرك الأخير فانه لا يزال فى طى الغيب الى أن يبت فيه الكونجرس كما قلت .

وأخذ هومر يتمتم وهو مشدوه لا حول له ولا قوة : لقد فهمت .  
وواصل العقيد حديثه :

— ولا تخش شيئاً يا صديقى وعد نفعك أكثر حظاً فلقد كنا على وشك أن نودعك قلعة نوكس الحصينة حيث يوجد رصيد الدولة من الذهب حفاظاً عليك لولا أن كبير أطباء الجيش أبى علينا هذا مينا ما قد يسفر عنه من عواقب وخيمة تسيء الى صحتك العامة . وأراني الآن بعد كل ما رأيت أوافق على رأيه . أكان لك شرف الالتحاق بخدمة الجيش ؟

أجاب هومر : لا ... لم أقل هذا الشرف بعد . وغاية ما هنالك أن ادارة الطوارئ الفيدرالية بعثت بى الى استراليا لأكتشف عن مواقع للبلورات فى صخر الكوارتيز اذ كانت حاجتهم اليه ماسة وملحة لصنع أجهزة الرادار .

وأجاب العقيد : لا بأس وان كان من المؤسف حقاً ألا تكون قد حظيت بشرف الخدمة فى الجيش ... وأخالك كنت تقر الاضراب الذى قام به عمال الرادار . أعنى أنك لم تكن من المعارضين المتحمسين على أية حال .

— كلا لم أكن كذلك . هل لى أن أصعد الى الطابق العلوى لأرى زوجتى مارى الين ؟

— لا ضير ولكن لا تبق طويلاً لأن معى أوراقا كثيرة عليك أن تملأها بارشادى ... هذا الى أنى سأصحبك الى حفل للعشاء الليلة ، فقد تنازل قائدى ورجب فى لقاءك والتعرف اليك .

وأسرعت فأخذت أول قطار عائد الى نيويورك وعند وصولي اتجهت الى مكتبي حيث قابلت رئيس التحرير فأخبرته أن الجيش قد وضع يده على آدم واني لذلك قد قفّضت يدي من تلك المهمة التي وكلت اليّ في تاري تاون ، وكشفت لبوجي كذلك ما أحسه من عطف ورتاء لآدم .

وأجابني بوجي : قائلًا : وفر عليك هذا الرثاء الآن الي أن تعلم ما سيكون من أمره في واشنطن .

— أى شيء تعنى ؟

— يخيل اليّ أن مقامك في تاري تاون جعلك بمنأى عما يجرى هنا . فأنت لا تعرف شيئاً عن هذه المنافسة الهوجاء بين مجلس الأبحاث القومي وبين المؤسسة القومية لاعادة الاخصاب في سبيل الظفر بآدم .

— وماذا تعنى بقولك في سبيل الظفر به ؟

— تزعم كلتا المؤسستين أن في مقدورها الافادة من آدم بوصل النسل من جديد ، وقد أخذت كلتاهما تشير الي مشروعات مختلفة لا تخطر ببال انسان .

— ألا ما أتعس آدم !

— ليت الأمر ينتهي عند هذا الحد ، فان هناك معركة أخرى طاحنة بين الكونجرس واللجان الوزارية المختصة ، تحاول كل منها أن يكون لها الحق دون الأخرى في أن تملى السياسة التي تراها بالنسبة لآدم ، وتنفذها ثم ان هناك جمهرة كبيرة لها رأى لا يستهان به ترى أن آدم يعنى العالم كله وأن له شأنًا دوليًا أكثر منه قوميا ووطنيا . من أجل هذا تجهر بأن يوكل أمره الي الأمم المتحدة لترى رأيها فيه ، فقلت :

يا لها من قصة ! أليس كذلك ؟ !

وبدت في عيني بوجي تلك النظرة البعيدة الشاردة ، وأخذ يحملق في

الفضاء وقد استقرت عيناه على ذلك البناء الشامخ الذى يشرف فى زهو  
فوق صخور « منهاتان » ثم قال : —

— يا لها من ضجة جوفاء ... ألا ما أشد جهلنا وسذاجتنا حين نؤمن  
ان ليس فى غير هذا الكون مخلوقات حية تحس وتشعر وتسعد وتتألم ،  
تنفع وتضر ، وان المخلوقات العاقلة المفكرة لا تحيا الا فى عالمنا الضئيل  
وحده .. ! عالمنا هذا ، ذلك الجزء من الأرض التى تدور حول نجم معتم  
ندعوه الشمس التى لا تعد الا جزءا من مجموعة الكواكب .

الا ما أشبه هؤلاء القوم بجماعة من النمل وطئتها نعال ثقيلة فضجت فى  
ججورها تحس أن العالم قد أشرف على نهايته ..  
كانت عبارات بوجى تحرك الرعدة فى جسدى أحيانا .

## الفصل الرابع

في أحد أيام ديسمبر القارصة اجتاحت شرقي أمريكا عاصفة ثلجية وجمدت مجارى المياه في مانهاتان فأرسل بوجي بعض أعضاء هيئة التحرير لينقلوا وصف الأضرار التي لحقت بساحل جرسى . وما أن أحسست وطأة البرد حتى اعتكفت في منزلى أنشد الراحة والدفء أستمتع بما أجد في هذه العطلة من الاثارة والرضى والراحة والسرور والبهجة ، مما لا يجده الا الصبى الصغير في لعبة الهوكى بعد أن يترك مدرسته . وهكذا أخذت أفرح على هواى فارتديت المنامة الزرقاء الحريرية السميكة التى نزل لى عنها صديقى لين هنزلنج عند ذهابه في مهمة الى تشيكوسلوفاكيا ، وقد كنا ننزل في حجرة واحدة بفندق لافيل بروما ، كما ارتديت هذه العباءة العربية الفضفاضة المشاة بالقصب التى نزل لى عنها فويل مونكز عندما طار الى الهند وكان قد اشتراها من أحد شوارع دمشق ويدعى سوق الطويلة ، كما لبست ذلك الخف الأحمر اللين الجلد ذا الطرف القائم عند أصابع القدم والذى اشتريته بثلاثة دولارات امريكية ذات خاتم ذهبى من الحى العربى فى الدار البيضاء .

جلست فى منزلى وأخذت أحتسى القهوة الساخنة وأشعل لفافات التبغ واحدة بعد أخرى وأجرع شيئاً من الروم ثم فتحت التلفزيون وكان الى جوار فراشى فاهتزت على شاشته صور بياضوية غير واضحة ثم بدأ الغموض ينجلي عن وجه يبرز فكه الأسفل لرجل مقتول العضلات من هؤلاء الذين لا هم لهم الا أن يتابعوا أحداث العالم والألعاب الرياضية ومباريات

التنس التي تقام في فورست هيلز ومباريات الرماية الدولية في كامب بيرى  
وقد صح ما توقعته لأن المذيع قال :

« يتحدث اليكم المذيع ما لكولم باركنسون من منتزه هيمالى في ميامى  
بولاية فلوريدا الذى غمرته الشمس المشرقة ، وبعد قليل سأتجه بكم الى  
ميدان السباق . وسترون ... أجل سترون أهم الفقرات في برنامج  
اليوم ... »

وما أن أتيت على ما معى من لفافات التبغ حتى كلمت بالتليفون سام  
بائع السيجار فى الشارع الثالث ، وطلبت منه أن يرسل لى نسخة من مجلة  
« السباق » ومجلة « أحسن المراهنات » وأجاب سام قائلا :

— أفى مثل هذا الجو المكهر ؟

فأحبيته مبينا ان الخيول لا تتسابق فى جادة الامريكيتين ، وبعد أن  
وافقنى على ما أقول فاجأنى بقوله :

— قل لى أيها السيد سميث لِمَ لم يقطعوا برأى فى شأن السيد آدم  
من الآن ؟

— من هم هؤلاء الذين لم يقطعوا برأى ؟

— هؤلاء السادة البيروقراطيون الجالسون الى مكاتبهم فى واشنطن.

— وماذا تراهم فاعلين ؟

— ان زوجتى قد ملأت على حياتى هما وهى تردد سيرته صباح مساء.

انها من المؤمنات بالتلقيح الصناعى ، وهى لا تكف عن اظهار رغبتها فى أن  
تجب طفلا اذ أنها لم تعد بعد صغيرة .

— فلتظمن يا سام فقد أصبح المشروع قاب قوسين أو أدنى من

التنفيذ .

— من رأى أنه لا بد من الاتفاق على شىء والا فستحقيق بنا اللعنة .

وسوف نعيش في هذا البلد في جحيم وان زوجتي لا تكف عن الشكوى  
قائلة ان العمر يمضى دون أن يكون لها طفل يؤنسها وكم يشوقها أن يكون  
لها أطفال .

وحين وصلتني نسخة من مجلة « السباق » ، أخذت أتنبأ بما ستكون  
عليه النتيجة للخيل التي سوف تجرى في هيالى . وكان الغرور يملكنى  
أحيانا مثلى في ذلك مثل أى محرر رياضى غير صادق الحدس فأخالنى  
أفضل المراهنين الذين يشاركون في السباق وأختار من خيل الشوط الثانى  
فرسا اسمه فيرفيزيون Fair Vision واذا بى أتصل بالسيد « توتون  
جونز » الذى يدير مكتبا للمراهنات قرب ميدان شريدان وكان سييدا مهذبا  
مريب اللون وأراهن على ذلك الجواد . ثم ملأت كأسا من الروم  
واضطجعت على الوسائد أرقب السباق .

انها لمتعة أن تظل هكذا مكانك مستلقيا في فراشك لا تحمل عناء  
الذهاب والسير الطويل الى حلبة السباق في فلوريدا . وما من شك في أنك  
لو كنت على حالى هذه بعيدا عن تلك الضجة تحس الراحة التى أحسها في  
فراشى ، لو جدت نفسك بمأمن من هؤلاء البلهاء الطائشين الذين لا ينون  
يثبون ويقفزون ويصيحون بأصوات تصم الآذان ويحولون بين الناس وبين  
أن يستمتعوا بمشاهدة الجياد وهى تعدو . ثم أن الانسان ليحس في مثل  
هذه الحال بأنه قد أمن النشالين والطفيليين وهؤلاء الذين لا يرعون لغيرهم  
حقوقهم ويطأونه بأقدامهم أو يدفعونه بالمناكب ليسبقوه الى شباك البرهان  
بين الشوط والشوط . ولقد وجدتني وأنا في فراشى قد وفرت على نفسى  
عناء الذهاب بالسيارة ثم عناء البحث عن مكان مناسب للانتظار ثم دفع  
دولارين وعشرين سنتا أجرا للدخول كما ضمنت البعد عن سماسة  
السباق وبائعى البرامج والأقلام والقول السودانى ، ثم ما أشد الهول

الذى تتعرض له أنت وزوجك اذا جاء مكانكما فى حلبة السباق قريبا من الرماة الذين يصوبون نيران بنادقهم ، وما أنت بأمن بعد هذا نزلات البرد حين يمدعك الدفء وترتدى سترتك البيضاء فتدهمك موجة البرد من الشمال . وجملة القول فانى أنصحك نصيحة مجرب أنه من الخير لك اذا كنت خاسرا لا محاولة تقودك أن تخسرها وأنت مستريح لا تكلف نفسك عناء أو تعرضها لألوان من المتاعب والعذاب .

وما أن ذكرت لصاحب مكتب الرهان الخيل التى اخترتها حتى قال لى :  
— هل تمنحنى لحظة من وقتك أيها السيد سميث لأوجه اليك سؤالا؟  
فقلت مرحبا : بالتأكيد يا سيدى .

وجرى حديثى مع صاحب مكتب الرهان توتون جونز وكان من أكبر الدائنين لى على تلك الصورة :

قال جونز — « انك لرجل ذكى واسع الاطلاع أيها السيد سميث .  
فهلا زدوتنا برأيك فى هذا الموضوع الذى أناقش فيه بعضا من الناس  
هنا ؟ »

فقلت له : — « لست ماهرا فى اختيار الخيل الراحبة » .

فقال : « لكل منا يوم يجانبه الحظ ويتخلى عنه فيه . وان الذى زيده  
منك هو شىء عن التلقيح الصناعى » .

وأخذت رشفات من القهوة وقلت له : أى شىء تريد أن تعرفه منى ؟  
وكنت أحس الاشمئزاز حقا حين يذكر التلقيح الصناعى اذ كان ذكره يسوق الى ذهنى أخيلة من الغرابة والشذوذ بمكان ، فكنت أذكر معها من يمشى على رأسه كما كنت أذكر تلك الطلاسم والرموز المبهمة لتحضير الأرواح ، ومع مرور الأيام بدأت أحس الراحة واطمئنان البال وقيام الألفة

بين كل زوجين وبداية الحياة الناضجة الرشيدة ، بينهما بعد الأربعين ،  
وتعرفت تلك النزوات التي يضطرب بها ضمير الانسان .  
وأعاد جونز سؤاله شاكيا :

-- نحب أن نعرف منك : التلقيح الصناعي ما هو ؟

— انه لشيء يسير كل اليسر : فحين يستحيل التلقيح بوسيلته الطبيعية  
يقوم التلقيح الصناعي مكانه وذلك بوضع شيء من السائل المنوي للذكر في  
بويضة الأثى .

— ألم يتفعل هذا بالخيال ؟

— أجل ، فليس من الضروري في أيامنا هذه أن ينزو الحصان على  
أثاه في حظيرته . ويكفي أن نحصل على سائله المنوي وأن نحقن به  
الأثى . وهذا كله يجري في يسر . ولا يغرب عن بالك أن ما بين أيدينا من  
أرقى سلالات الخيل قد جرىء بنطفها من الأرجنتين وأستراليا ، ولأن نشحن  
أوقية من السائل المنوي أيسر من أن نستورد حصانا يزن طنا .

— أمن اليسير استخدام هذه الوسيلة في الرجال ؟

— بالطبع فان ثمة ما يقرب من ثمانية آلاف حالة للتلقيح الصناعي  
مسجلة في الدفاتر الرسمية .  
— هذا ما أردنا علمه .

— ألا تقرأ الصحف ؟ ألا تراها ولا حديث لها الا التلقيح الصناعي  
منذ أن أوصت به المؤسسة القومية لاعادة الاخصاب ؟  
— اتنا لا نقرأ عن هذا في الصحف شيئا .

وبعد ، فقد راهنت على الحصان ايست بوند في الشوط الخامس غير  
انه جاء الأخير ، وكان الحصان كليفدويلر الذي رشحته للفرز في الشوط  
الثالث في مقدمة الخيل يسبقها بمسافتين . وعندها دخلت مارج حجرة



النوم ، وما كادت تفتح فمها لتتكلم حتى أشرت إليها بيدي لتسكت فسكتت ، واستمعت الى المذيع مالكولم باركسون يقول :  
— ينطلق الحصان كليفد ولر في المقدمة ومن ورائه راجتيم وجون بيج  
وثيردفليت وفيرفلاي ، وها نحن الآن تقترب من النهاية ولا يزال كليفد ويلر  
في المقدمة ولكن ...

وخطت مارج لتقطع على استغراقى وأنا أتبع السباق وقالت :  
— لقد جاءنا ضيوف يا ستيفن ديكاتور سميث .  
فصحت في وجهها : اسكتي .

وانثيت الى الأمام وأنا أضرب ركبتى بجمع يدي على حين كان  
الحصان كليفد ويلر يعدو الى نهاية الشوط . ولقد خيل اليّ عندها أن  
التلفزيون قد أخذ يعرض عرضا بطيئا .  
وعادت مارج تصيح : ستيفن .

وبلغت الخيل خط النهاية وقال المذيع معلقا :  
— يا لها من صورة رائعة !

فارتيمت الى الخلف على الوسادة فقالت مارج :  
— اذن هذا هو السر في أنى لم أستطع الاتصال بك بالتليفون اذ أنت  
هنا مهندس في الفراش تلاحق السباق طيلة تلك الفترة بعد الظهر .



وتطلعت اليها فاذا هي في مظهر رائع ، ذلك المظهر الذي يبدو فيه أصحاب الأعمال . وكانت أنيقة ترتدى ثوبا أزرق وصدرة بيضاء تخفي وتبدي معا فتنة صدرها الناهد ، كانت حقا امرأة جميلة تستهوى الأبواب، بيد أنها كانت في سورة من الغضب .

وكنت أعتقد أن الهجوم في مثل هذه الأحوال خير وسيلة للدفاع فقلت لها وأنا أعتب عليها :

— ها أنا ذا أرقد في فراشي أشكو الصداع والبرد فلا أتلقى منك غير الشتائم .

وتبسمت مارج ومست جبتهى بأصابعها تستوثق من أنى غير مريض ولقد أدركت أنى على علم بما كانت تعلم ثم قالت امرأة :

— هيا قم من الفراش وتعال معى الى غرفة الجلوس . فان هناك بعضا من الضيوف .

ولاح المذيع بوجهه الثائر على الشاشة وقد بدأ تطلق المحيا فسألتها وأنا شاردا الذهن :

— ومن هم ضيوفنا ؟

ومضى المذيع باركنسون يقول :

— بعد قليل سينتهى المحكمون الى حكمهم ثم تعلن نتيجة الشوط الثالث وانى لهذا أستثذنكم فى أن أصف لكم مافى ميدان السباق : « هيا لى » من روعة وجمال ، يغمره ضوء الشمس وتحلق الطيور المائبة محومة فوق البحيرة يحيط بهذا كله جمال أخاذ لا عهد لنا به من قبل ، ثم لا تنسوا وأنتم تستمتعون برؤية هذا وادعين أن تأخذوا حظكم من التدخين وكأنكم فى رحلة طويلة الى الجنوب .

وقطعت مارج حديث المذيع قائلة :

— لقد أفسد هذا الرجل عليك عقلك فلتحل بيننا وبينه فما أنا  
بمستطية على أية صورة أن أرى رجلا غرباء يحملقون في غرفة نومنا  
متطفلين علينا ، ان رجلك هذا يثير أعصابى ويملؤنى رعبا .  
عاد المذيع يقول :

— ها هي ذى النتائج : لقد فاز كليفد ويلر وتقدم غيره بقيد شعره .  
نهضت وأغلقت التليفزيون وتركت الغرفة وأنا أحس الراحة تسرى في  
أعضائى ، وهناك في غرفة الجلوس طالعى وجها الزائر ينألقان باحمرار  
ضاعفته لذعات الريح القارصة . وكانت السيدة مارية أوستهايمر وصديقى  
الطبيب طومسون — وهو من مقاطعة الابنن — واقفين الى جوار المدفأة  
يستدفئان فقلت وأنا أرحب بهما :  
ما كنت أعرف أنكما صديقان .  
فقال طومسون :

— ان صداقتنا لا تعدو صلة المهنة والزمالة فى العمل .  
وقالت مارية فى رقة وعدوبة وقد بدت بقوامها الرشيق الرقيق وكأنها  
طفلة الى جانب جسده الضخم البدين :  
— اتنا نعمل معا فى لجنة واحدة .

أخذت مارج ترمقنى بنظرة فاحصة وهى تنفض لفاقة التبغ على حافة  
المدفأة ثم قالت :

— لقد عادت مارية وطومسون من واشنطنجتون منذ أمد قريب ، فلقد  
اتدبتهما المؤسسة القومية لاعادة الاخصاب ، وذلك بعد أن أبديا رأييهما  
فى التلقيح الصناعى للجنة الكونجرس المشتركة واللجنة الحكومية  
التنفيذية المختصة .

وقال طومسون مصححا ما قالت :

— هذا ما فعلته مارية . أما أنا ، فاني معنى بناحية أخرى من الموضوع .  
وقلت أشكو لهم :

— ان كل ما سمعته اليوم من أحاديث كان حول شيء واحد فقط :  
التلقيح الصناعي ...

وتملكني خوف من شيء قدرته فأشرت بأصبعي الى مارج ووصلت  
الحديث قائلاً :

— اذا خطر ببالك ولو الى حين أننا مزعمون أن نملاً هذا المسكن  
بأطفال ذوى شعر أحمر معرضين جميعاً للإصابة بعقد النقص وليس واحد  
منهم من صلبى فحريّ بك أن تعاودى التفكير فى الأمر مرة أخرى فلست  
أقبل لك أن تكونى كآثى الخنزير حقلاً للتجارب وموضعا لاختبار قدرة  
السيد آدم على الانجاب .

ومال السيد طومسون برأسه الى الوراثة وهو ينفجر ضحكا ثم قال لى:  
— هون على نفسك يا ستيفن .

فقلت مارج فى مرارة :

— على أية حال فقد بات الجميع يدركون ان الطلبات تنهال على اللجنة  
كالمطر ، وان كنت راغبة فى أن يكون لى طفل من سلالة آدم فثمة آلاف  
قد سبقتنى الى طلب ذلك ، وثمة أزواج كثيرون قد نبذوا أنا نيتهم وأطرحوا  
غيرتهم الحمقاء مؤثرين خير الجنس البشرى .

وعقدت مارية شعرها على جانب من رأسها ، ورمقتنى بعينيها السوداوين  
اللتين تشعان فكرا وحكمة وقالت : —

— لقد انتهت توا من الحديث مع كبار رجال الدولة البارزين كى  
يكونوا على بينة من أمر التلقيح الصناعي وأنه لا نجاة للجنس البشرى  
الا به .

كانت تتكلم أشد ما تكون تؤدة وحرصا ، وكانت كلماتها تنهادرى  
الواحدة اثر الأخرى وكأنما تمضى فى خط ضيق رفيع ومضت تقول :  
— ما من شك فى أن التلقيح الصناعى هو الآن الوسيلة الوحيدة التى  
تتيح انتاج قدر محدود من الذكور يستند اليه خلق الأجيال القادمة .  
فقلت متعجبا :

— ولكن أما يخطر ببالك أنك بهذه الوسيلة التى تقولين عنها انها  
الوحيدة سوف تغمرين العالم كله بسلالة ذات شعر أحمر تشبه كل الشبه  
هومر آدم ؟

على هذا النحو صحت بها ، غير أنها بدت أكثر ما تكون هدوءا واتزاناً  
على الرغم من حداثة سنها وأجابتنى قائلة :

— لم نجئك لهذا السبب وانما جئتك من أجل هومر آدم .

— ماذا وقع له ؟ أتراهم أبعده عن مارى ايلين ؟

فأجابت مارية فى صلابة وان ملاً جوانحها الحقنق

— لقد كادوا أن يفعلوا ذلك ، ويبدو أن وقعه كان شديدا عليه .

ذلك الى أنهم يسمونه سوء العذاب منذ أن وصل الى واشنجطن .

وهنا اشترك طومسون فى الحديث قائلاً :

— ان هذا الذى تدعونه فليپس سمايث انسان لا يطاق . وما أن

تسلمت المنطقة الوسطى آدم حتى أخذت تحقنه وتطعمه ضد الباراتفويد

والتيفوس والحمى الصفراء والانفلونزا والكوليرا والجدرى وغيرها من

أمراض مختلفة لا أعرفها أنا الطبيب حتى أحاطوه بصيدلية متنقلة .

فقلت :

— ان فليپس سمايث ليس غير ابن زانية .

وقالت مارية :

— ان أعضاء السلك العسكري يعرضون آدم المسكين في الولايم  
وكأنه من المخلوقات العجيبة !

قلت :

— ان الهدف الذى يرمى اليه فليس سمايث هو أن يرقى الى رتبة  
أعلى ولعله واصل يوما الى رتبة قائد ان هو نجح فأرضى رؤساءه القواد .  
وان شئت أن تعرف الأمور على حقيقتها ، فعليك بواحد من مراسلى  
جنوب غرب الباسفيك اذ هم أعرف من غيرهم بما كان يحدث هناك .

ومد طومسون يديه جاعلا بينهما مسافة تبلغ ست بوصات وقال :

— ان آدم لا يزيد على هذا القدر ثم أنه قد بات ضحية حركة عصبية  
لا تفارقه .

وقالت مارية :

— لقد أضحت الأمور تنذر بخطر ، ففي حالنا هذه نجد أن كل  
ما تعنى به البشرية هو توفير الرفاهية لرجل فرد مرهف الحس واهن  
ضعيف . والويل كل الويل للتلقيح الصناعى اذا انحطت قواه البدنية  
أو قواه العقلية .

ومضت مارية تقول :

— ائذنوا لى أن أشرح لكم الأمر كما أراه فى عبارة أخرى : يخيل لى  
أن الوسائل المعمول بها الآن فى هذا التلقيح لم تخرج عن الطور البدائى ،  
ومن المؤكد أننا سنجد ملايين الخلايا تتحرك حركات ذاتية فى خلية واحدة  
من خلايا الذكر ، وأنتا لم تنته بعد الى وسيلة نحقق بها عزل هذه الخلايا  
بعضها عن بعض ، على أن تتاح لكل خلية من تلك الخلايا ما ينشطها ويصلحها  
ويهيئها للعمل ويجعلها قادرة جنسيا الى أن تحين لكل منها فرصة لتحقيق  
الاخصاب . وما جاوز التلقيح الصناعى على حاله هذه أمور التلقيح الجماعى ،

ونحن لا نزال نستخدم الملايين من الخلايا على حين أن واحدة منها فحسب  
هى التى تقوم بهذه المهمة .

قلت :

— ما أضيعة من جهد !

وقالت مارج :

— فى الحق انه جهد ضائع فى هذه المرحلة الحاسمة من التاريخ .

وتابعت مارية حديثها :

— اننا الآن نعمل جاهدين فى أن نجد وسيلة لعزل الخلايا ، غير أننا  
راغبون خلال هذا فى أن يأخذ الاخصاب الصناعى طريقه وشيكا ، فمن  
اليسير أن يصيب هومر آدم مكروه قبل أن يبدأ المشروع . وعلى أية حال  
فمن غير الممكن أن نفيد من قوة هومر آدم وطاقته الى أبعد مدى أو الى  
المدى الممكن الا على شريطة واحدة ، وهى أن يرد آدم الى حاله الطبيعية  
ويصبح هادىء النفس رابط الجأش انسانا طبيعيا ؛ واذا كان فى مقدورنا  
أن نفيد منه وهو على ما هو عليه الآن فى حاله تلك — وهذا ما أشك فيه —  
فان ثمرة ذلك ستكون جيلا متهدما متهالكا جسدا وروحا وأعصابا .

فقلت مستوضحا :

— ليس يعينى ما سوف يطالعنا به المستقبل ولست أسأل الا عن  
صلتى بهذا الذى يقال كله .

وقال طومسون :

— لقد تحدثت الى هومر آدم فأحسست ثقته الكاملة بك واعجابه  
الذى لا حد له بشخصك . ان لك عليه فى الحق تأثيرا عميقا ، ترى أى  
شئ فعلته به ؟

— لا شيء غير اعطائه فرصة التغلب علىّ في لعب الورق بين الحين والحين .

وافتر ثغر طومسون عن ابتسامه عريضة وقال :

— ما من شيء قط يشبع أنانية الانسان سوى ايمانه بأنه ماهر يجيد هذه اللعبة أو تلك .

وقالت مارية وهي تختم حديثها :

— وعلى أية حال فلو قر قرار الحكومة على أن تكل العناية بآدم الى المؤسسة القومية لاعادة الاخصاب لا الى مجلس الأبحاث فلسوف تسند اليك رعاية آدم .

— رباه ! ترى هل قدر لي في آخر العمر أن أغدو ممرضة لأبى الدولة المرتقب !

\* \* \*

كان الصراع بين مجلس الأبحاث القومى ومؤسسة اعادة الاخصاب فى الواقع صراعا بين علماء الطبيعة وأساطين الطب ، صراعا بين صفوة العلماء فى ميدان الأحياء والجمادات .

ولقد رأى علماء الذرة أنهم فى حاجة ماسة الى آدم ، يجرون عليه أبحاثهم التى كانوا يأملون من ورائها أن يتبينوا الوسيلة التى يقضون بها على الأثر المدمر الذى خلفته تلك الأشعة الغامضة التى غزت العالم عقب انفجار الميسبى المشئوم . من أجل ذلك غدوا يطالبون بآدم كما يطالبون بالسيكلوترونات وبالآلة الطاردة المركزية (١) . وكانت حجتهم هى : أنه لن

(١) هى آلة لها دورات سريعة تفصل بهما المواد ذات الكشافات المختلفة وهى أشبه بقربة اللبن تفصل القشدة عن اللبن وهى تستخدم كذلك لتجفيف الخيوط والأقمشة والسكر .



يتاح لهم أن يكشفوا عن الترياق ذى الأثر فى تلك الأشعة الغامضة الرهيبية التى لم يعرف كيانها ولا نوعها حتى اليوم . كما أنهم لن يقووا على عزل الأشعة التى أتت على عناصر الأخصاب فى الذكور وأثرت فى خلايا الاناث دون أن يقووا على نماذج يتعرفونها وتكون موضوع تجربتهم مرة بعد أخرى .

ومن ذا الذى يعطى مثل هذه النماذج وهذه الأشكال غير آدم ؟  
أما الأطباء — صفوة علماء الطب وسادة مؤسسة إعادة الاخصاب -- فقد لبثوا يؤكدون أن التلقيح الصناعى هو وحده الوسيلة الباقية التى هياتها الطبيعة لبقاء العالم واستمرار الجنس البشرى . وعلى الرغم مما كانوا يعلقون من أمل على مجلس الأبحاث فى أن يوفق الى وسيلة ترد الى الذكور قواهم كاملة ، فانهم كانوا يرون أنهم فى غنى عن الأبحاث العلمية التى يمتد بها الزمن طويلا ، ثم هم يملكون فى الوقت عينه رجلا ، رجلا له القدرة الجنسية ، رجلا وحيدا وقف حياته على خدمة الوطن . بل هو الضمان الفريد المؤكد الذى يحول بين العالم وبين أن يفنى .

وكان قرار اللجنة الحكومية التنفيذية ثم قرار لجنة الكونجرس المشتركة وليد خوف أعضاء اللجنة من أن يقع العلماء الطبيعيون فى زلة أخرى تودى بحياة آدم فيعقب ذلك فناء محقق يشمل البشرية . ولم يناقش أحد الموضوع بصراحة مخافة أن يؤذى هذا عالما مثل الأستاذ بل أو يسىء الى سمعته فى الميدان العلمى . ومع أن هذا الخوف ظل سائدا فلم تعترنى الدهشة عندما خرجت صحف الصباح بعد بضعة أيام تحمل رؤوس صفحاتها الأولى العناوين الكبيرة التالية :

... رئيس الجمهورية يقر التلقيح الصناعى

... المؤسسة القومية لاعادة الاخصاب تنتصر على مجلس الأبحاث.

- ... تخصيص مبالغ كبيرة للعلماء لتمكينهم من أبحاثهم .
- ... أمهات المستقبل يتطوعن في طول البلاد وعرضها .
- ... انجلترا تطلب العون .

\* \* \*

امتألت أعمدة الصحف بهذه العناوين الضخمة ، وما كدت أبلغ مقر الصحيفة حتى دعاني بوجي رئيس التحرير ووكل اليّ اعداد مقال جامع أذكر فيه أثر هذا القرار في دول العالم على أن أقتل هذا الموضوع بحثا :  
 لم تعقب موسكو رسميا كعادتها ، الا أن صحيفة برافدا نشرت نبذة -- أو على وجه أصح -- مقالا متميزا في صدر صفحتها الأولى عقبته فيها على القرار تقول :

لقد كان في وسع الولايات المتحدة أن تقول كلمتها الأخيرة عن النتائج التي خلفتها كارثة المسيسيبي العالمية غير أنها الى الآن لم تفعل شيئا كما لم تحاول الاتصال بالاتحاد السوفييتي اتصالا صريحا .

وكانت هذه العبارة « الاتصال الصريح » التي جاءت في الصحيفة أكثر شيء لفت انتباهي في التعقيب كله . ولقد هب نفر من ممثلي الأمة في مجلس الشيوخ يتساءلون عما اذا كان هناك من يتصل بالشيوعيين سرا ، وعما اذا كان هناك اتصال جانبي يفعله البعض محاولين اقتسام هومر آدم بينهم وبين الشيوعيين . واذا صح هذا فما هي الخطوات التي نوقشت ؟ ولقد كان الأمل ألا يخرج هومر آدم عن الولايات المتحدة أو يبعث به الى مكان ما خارج حدودها .

وأجاب العضو صولت اجابة سديدة حين قال : ليس ثمة ما يدعو الى ارسال هومر الى الخارج مادام التلقيح الصناعي قد أصبح شيئا معروفا

وحسبنا ارسال نماذج من سائله المنوى . وقد عبر العضو صولت عن رأيه في جلاء ووضوح وهو يستطرد قائلا :

ان ما نملكه من طاقة يتيح للأمم المحبة للسلام العون والمساعدة دون حاجة الى مغادرة هومر آدم واشنطن ، وان لروسيا كما لغيرها الحق فيما تطلبه من عون بل لعل هذا الحق لها وحدها دون غيرها .  
تساءل فروجهام « نائب لويزيانا » :

هل للعضو صولت أن يتكرم فيوافق على هذا الرأي ؟  
وأجاب صولت : أجل أوافق .

واستأنف فروجهام : أليس صحيحا أننا قادرون اليوم على التخلص تخلصا لا رجعة فيه من الشيوعية اللعينة التي سممت العالم بأفكارها ونشرت فيه الفتن والقتال والاضطرابات وهددت شئون جمهوريتنا . ولنا أن نقول ان تحقيق هذا قد يتم في مدى جيلين اثنين لو أننا قصرنا عوننا في ميدان التلقيح الصناعي على الأمم التي تعطينا الموائيق والضمانات عن سياستها المستقبلية ونواياها الاقليمية والأيدولوجية .  
وقال فيدمار « مندوب ولاية مساشوستس » :

لو أننا قصرنا عوننا على الأمم التي ترسم سياستها المستقبلية كان معنى ذلك أننا ننحى جانبا الولايات المتحدة الامريكية .  
فأخذ الأعضاء يضحكون .

ولقد كانت انجلترا تأمل في أن تشارك الولايات المتحدة في التلقيح الصناعي فإظرة الى عدد السكان في الدولتين وذلك لقاء أن تتيح انجلترا للولايات المتحدة الاطلاع على أية نتيجة يصل اليها العلماء الانجليز بعد ذلك في هذا الميدان .

ومن الطبيعي أن الحكومة البريطانية كانت في تصريحها ذاك ، تتحدث باسم الامبراطورية التي لا تغرب عنها الشمس كلها دون اشارة الى ايرلندا.

أما في فرنسا فقد نشطت الصحف الفرنسية وراحت تنشر المقالات الطوال عن فرنسا وأثر الثقافة الفرنسية في العالم أجمع ، كما راحت هذه الصحف تعلن أن بقاء الثقافة الفرنسية أمر جوهري لا غنى عنه .  
وكثير من أفاضل الألمان تكلموا عن فوائد احياء عبقرية ألمانيا في الصناعة خلال الأجيال المتوالية .

وفي اليابان أخذت الصحافة تشير الى الروح الامريكية الرياضية التقليدية كاشفة عن الصلة بين أمريكا واليابان وبين الامريكيين واليابانيين ، تلك الصلة الوثيقة التي تتجلى في غرام الجميع بلعبة واحدة هي البيسبول .

وأخذت الأمم الصغيرة كلها تفصح عن نفسها وتزهى بشأنها وتعدد مزاياها وفوائدها . وفي أدب ولطف أثارت صحافة بوخارست نقطة أخرى وهي : اذا لم يكن للمجر نصيب من التلقيح الصناعي فسوف يكون هذا بمثابة الحل الأخير لمشكلة ترانسلفانيا (١) ، على الرغم من أن الجميع كانوا يؤمنون أن تلك المشكلة قد سويت تماما .

وفي ضوء هذا كله رحلت أعمل ، وظلت البرقيات تتكدس فوق مكتبي ، تجيئني من أنحاء العالم كله مفصحة عن أهداف الدول كلها . ووقف بوجي أمامي ثم أشار الى يسألني أن أتبعه الى مكتبه وهناك قال لي :  
— لقد اتصل بي البيت الأبيض لساعته . وأظنك تعرف داني وليامز سكرتير الرئيس ، هذا الرجل الذي كان يعمل في صحيفتي ، لقد أنهى الى أن الاختيار قد وقع عليك أنت دون غيرك يا ستيف لتعني بآدم .

(١) ترانسلفانيا اقليم جبلي يقع على حدود كل من المجر ورومانيا تسكنه مجموعتان من الدولتين مختلفتا المذهب والدينى والعواطف وقد ضمتها رومانيا اليها عقب الحرب العالمية الاولى ثم عقب الحرب العالمية الثانية . وما تزال المجر تطالب بضمها اليها كما كانت فى عهد الامبراطورية النمساوية المجرية .

— هذا ما كنت أخشاه .

— لقد نمت الى علمهم أنك وهومر آدم كنتما صديقين متفاهمين فى تارى تون وأن آدم يحبك .

— أجل .

— ان المؤسسة القومية لاعادة الاخصاب هى التى اختارتك ، وأنت الآن أحد موظفيها . ومن الطبيعى أننا سوف نمحك اجازة طويلة الى أن تنتهى من مهمتك هذه .

— ولكن خبرنى : ألا أملك الحق فى أن أعلن عن رأىى ؟ أو ليس من حقى أن أرفض أو أن أقبل ؟

— لا أظنك تملك هذا الحق ، فقد ذكر لى داني وليامز وهو يحدثنى أنك سوف تكون بهذا الاختيار دعامة من الدعائم التى سيقوم عليها صرح المدينة من جديد . وما أريد أن تكون بعيدا عنى ، ولكنى أرى فيما يبدو لى وكأنك قد انتخبت .

— ليس بضائك يا بوجى أن يمضى ركب الحضارة أو يقف .

ودلك بوجى بابهاميه وراء أذنيه ثم أجاب قائلا :

— رباه لست أدرى ما أقول اذ أتى لم أته الى رأى بعد .

وعدت الى بيتى وحزمت أمتعتى واذا بمارج تقول لى :

— أنظن أنهم يتعجلونك ؟

— أجل .

وفى الحق أنى كنت أوثر فى قرارة نفسى البقاء مع مارج فى بيتى وقد شغلت بالتفكير فى هذه المهمة الشاقة وفى الزمن الذى ستستغرقه الى أن أستطيع أن أعيد الهدوء الى نفس هومر آدم فيخلد الى السكينة ويستقبل

منشرح الصدر أجل خدمة للحضارة ، عندها أو بعدها سوف تسمح لي  
المؤسسة القومية لاعادة الاخصاب بالعودة الى عملي وبيتي .  
وقالت مارج أمره محذرة :

— حذار من أن يسوء سلوكك هناك فان تلك المدينة مليئة بالحسان  
من النساء الماكرات وهن لا يتورعن عن اقتراف ما يحلو لهن .  
وعاهدتها قائلا : اطمئني فلسوف أسلك الطريق السوى .  
— هذا خير لك وليس من المستبعد أن أفاجئك هناك في وقت ما .  
( ثم أردفت معقبة ) ورجائي اليك يا ستيفن أن تكون أميناً في أداء عملك  
وأن يكون رائدك حسن القصد فان كل ما تفعله يترك أثره الكبير في نفسي .  
واتصلت عن طريق التليفون بالسيد آبل بمفري مدير المؤسسة القومية  
لاعادة الاخصاب أخبره بأنني في طريقى اليه . ومن ثم قصدت الى المحطة  
تصحبني مارج وهناك طبعت على فمي قبلة وداع طويلة وكأني ذاهب الى  
شنغهاي .

وكان آخر ما قالته لي : اني واثقة من أنك ستؤدى واجبك على خير  
وجه ... أليس كذلك يا ستيف ؟  
يا لهن من مخلوقات غريبة الأطوار ، هؤلاء النساء !

## الفصل الخامس

لم يخامرني شك ما في هذا الواجب الملقى على عاتقي ، وما رجوت مغنما يجرئه على هذا العمل الجديد . أجل ما رجوت فائدة مواتية مادية أو غير مادية، ولقد كنت أعلم أنني لن ألقى على عملي — وان أديته على خير وجه — جزاء ولا شكوراً ، وقد يكون آدم في الحق أحوج ما يكون الى طيب نفسى منه الى صحفى فان حياته لم تكن غير قلق وهمّ دائمين . غير أنني أحسست الواجب الأدبي ازاء هومر آدم ، فلقد كنت أول من اتصل به وأول من دفع به الى الأمام في طريق الحياة ، هذا الطريق الذى آثرته به الأقدار اذ كان الرجل المخضب الوحيد والأخير ، فلم يكن غريباً أن أحس أن على أن أرشده الى الطريق وأن آخذ بيده الى ذلك المسير الغامض الذى ينتظره ، ثم لا يعرب عن بالك أنى كذلك كان يدفعنى الفضول وحب الاستطلاع .

ولقد أسأت الحكم على واشنطن لأنى لم أتنبأ فى الحقيقة بالأحداث الرهيبة التى أحاطت بى ، والآن حين أذكر هذه الأحداث أحس أنني كنت كطفل غرير زيتن له أن يخوض فى خضم نهر زاخر بالماء ليلهو ويلعب وما كاد يسلم قدميه الصغيرتين الى الماء حتى جرفه بتياره الشديد .

ودليلى على ذلك أنى حين أحسنت الظن بالمؤسسة القومية لاعادة الاخصاب وحسبت أعضائها يبلغون اثنى عشر عضواً تضاف اليهم لجنة من علماء الطبيعة تعمل مارية أوستنهايمر وتومى طومسون مستشارين فيها اذا بى أجد الأمر على خلاف ذلك . وفى الحق لقد كانت تلك المؤسسة أشبه

بجهاز ضخ من أجهزة أداة حكومية ، فكأف تكبر وتنمو يوما بعد يوم، وبت أعتقد أن ليس ثمة فرق كبير بين تلك الخطوات الواسعة والوسائل المتعددة التي تتخذ عند انشاء مؤسسة حكومية أو التي تتخذ عند استغلال بئر جديدة للبتروول . وغدوت أرى أن هذه المؤسسة التي خصها رئيس الجمهورية بميزانية لا تحد هي أشبه ما تكون بالكشف عن الذهب من جديد في ولاية كاليفورنيا . ووصلت واشنطن في الثاني عشر من ديسمبر غير أن هذا اليوم انمحي من ذاكرتي فلم أعد أذكره بالخير اثر تلك الصدمة المريرة التي صدمت بها باديء الأمر . وكان مثلي في ذلك مثل أولئك الرجال الذين لا يزالون يذكرون تلك الأيام التي مرت بهم في أنزيو أو على شاطئ أوماها .

نم أكن أحسب ان انسانا ما سوف يكون في انتظارى بالمحطة ، غير أنى ما كلت أعبر مدخلها حتى تلقانى شاب أنيق أنفه دقيق مدبب شبيه بالأنوف التي نعرفها في وجوه المديرين ورجال المال والأعمال وخطا الى يسألنى قائلا :

— أنت السيد سميت ؟

— نعم .

فمد الى يده يصافحنى وهو يقول :

— أنا كلتز . برسى كلتز . نائب مدير الادارة . وقد بعث بى المدير

لأكون في استقبالك .

وتبينت أن فمه يبدو حين يتسمم وكأنه فم سمكة كبيرة أخرجها لساعته

صياد من جوف الماء فقلت شاكرا :

— يا له من عطف كبير .

وخطر في ذهنى أن الرئيس لا يمكن أن يكون غير آبل بمفرى طبعا .



ومع ذلك فقد سألته : كيف عرفنى وكيف بحث عنى ، فأجاب : بأن وكالة الأسوشييتدبرس قد أعدت وصفا لى ونشرت معه صورتى الفوتوغرافية ثم سألتنى عما اذا كنت تناولت طعام غذائى ، وحين أخبرتهم انى لم أذق شيئا دعانى الى أن أذهب معه الى مطعم هارفى . وفى خارج المحطة وجدنا نى انتظارنا سيارة سيدان ، وقد كتب اسم مؤسسة اعادة الاخصاب على ورقة ألصقت بباب السيارة . ودخلنا المطعم وطلبنا شيئا من الشواء والقواقع وأخذ كلتزر فى الحديث قائلا :

— أحسب الآن أن الفرصة سانحة لكى أحيطك علما بما يجرى . فنحن آخذون فى انشاء مؤسسة كافحنا طويلا من أجل انشائها ، وما من انسان الا يرى أن آبل بمفرى سوف يكون الرئيس المرتقب . ولقد بدأ هذا الكفاح حين أدعت اللجنة هذا الادعاء ، وها نحن اليوم يشرف علينا المكتب التنفيذى لرئيس الجمهورية . لذلك فليس أمامنا عقبات تتصل بالميزانية وان كنا سنواجه وقتا عصيبا فى الكونجرس للحصول على موافقته السنوية ، وأكبر الظن أن أجل شىء قمنا به وأحرزناه هو انتزاعنا آدم من مجلس الأبحاث القومى .

عندها لم أطق صبرا ونظرت اليه أسأله :

— قل لى بربك وقبل أن تأخذ فى حديث آخر : كيف حال هومر آدم ، فانى أشد ما أكون شوقا الى لقاءه وغاية ما أرجوه له أن يكون قد عاوده شىء من الهدوء .

فتطلع الىّ فى دهشة وكأنه يتطلع الى مخبول ثم أخرج قلما من جيبه الداخلى وأخذ يرسم خطوطا فوق غطاء المائدة مهملا سؤالى ومضى يقول :  
— هنا فى أعلى القمة يحتل المدير مكانه .

ثم مضى يرسم بقلمه مربعا صغيرا كتب فيه عددا من الأسماء ووصل حديثه قائلا :

— والى جانب المدير توجد هيئة من المستشارين المختصين وبديهي أن العبء في تقرير السياسة العليا يقع على عاتق تلك الهيئة .  
وسألته :

— عن أية سياسة عليا تتحدث ؟ أليست المسألة كلها هي الظفر بآدم ثم البدء في انجاب أطفال ؟ اتى لا أفهم من الأمر شيئا غير هذا .  
عندها هب كلتزر مذعورا وهو يشير الى غطاء المائدة :  
— رباه . كلا وألف مرة كلا . على رسلك حتى أخبرك أن مشكلة الانتاج لا تأتى هنا في القمة . انها تجيء آخرا في قسم العمليات .  
وواصل كلتزر الحديث قائلا :

— وما أنت ذا ترى تقرير السياسة العليا تلك السياسة التي تنتظم رئيس الجمهورية نفسه وجميع الوزراء وممثلى وزارة الدفاع والداخلية والبحرية ثم كبير أطباء الجيش ومدير مجلس الأبحاث القومى . وأقولها صريحة : ما كنا نحب أن يكون هذا الأخير عضوا في هذه الهيئة ، ولقد حاولنا ابعاده عنا ولكننا لم نفلح .

وشع من عين كلتزر نور غريب وأخذ يرسم فى دقة وسرعة كسرعة البرق مربعات عدة تربط بينها خطوط أفقية ثم استطرد قائلا : لا عليك فان من بين أعضائها أيضا المدير ، وبعده هيئة تقرير السياسة العليا مؤسسة اعادة الاخصاب . وفى الوسط نجد المدير ثم تجدنى . تجدنى هنا الى اليمين . ان من واجبي المفروض على الاشراف على الادارات التالية :  
وهنا بدأ يكتب فى سطور متتالية : الادارة — الميزانية — المباني —  
المواصلات — النقل .



واستأنف حديثه :

— ولا صلة لي بالسياسة أو التخطيط ، وليس لي عمل الا ادارة دفة الأمور ودفعها الى الحركة والسير بها قدما الى الأمام .

ومضى كلتري يحرك قلمه فوق غطاء المائدة في سرعة السيل الجارف قائلا :

— ومن هذا الخط الذي يصل بين المدير وبين هيئة تقرير السياسة العليا يتفرع قسم ضباط الاتصال الذين يمثلون المصالح والهيئات الأخرى . ولقد مرت بنا أوقات عصيبة حين كنا نبحث لهم جميعا عن أحياء ومناطق لائقة . وبعد المدير تأتي لجنة اعداد الخطط .

— أتقول : لجنة اعداد الخطط ؟

— أجل ، فان السياسة العامة كما ترى تأخذ طريقها من غير شك من الهيئة العليا الى المدير ، وبعد ذلك الى لجنة التخطيط التي تتألف من رؤساء الأقسام والفروع ، وتقوم هذه اللجنة باصدار النشرات التوجيهية ثم تبعث بها لتنفذ . والى جانب لجنة التخطيط نجد هنا اللجنة الاستشارية التي تضم كبار علماء الطبيعة والأحياء ومن اليهم من جميع أنحاء البلاد . وعلى الرغم من أن هؤلاء ليسوا من بين موظفي الحكومة ، فهم على استعداد تام لمعاومتنا حين نطلب اليهم ذلك .

لم يكن كلتري قد مد يده بعد الى طبق القواقع ولا التفت الى خادم المطعم حين اختطف الطبق من أمامه . ومضى في حديثه :

— بعد لجنة التخطيط يأتي نائب المدير ، وعنه تنبثق مجموعة ضباط الاتصال الذين يعملون في اعداد الخطط ، ويشكلون أحد فروع الكونجرس . ثم ان لهيئتنا الاستشارية المختصة بالمشاكل العالمية صلتها

المباشرة بوزارة الخارجية ، وهى تبعث بمقترحاتها الى لجنة التخطيط ،  
أفهمت الآن كيف تسير الأمور فى مجراها وكيف تنساب فى طريقها ؟  
— نعم فهمت .

وأحسست وأنا أرقب كلتز وهو يرسم كأنى طفل استهواه فنان عاب  
قد افترش جانبا من الطريق وراح يرسم بفرشته لوحة لمعركة بانكير هيل .  
وتابع كلتز حديثه : وبعد نائب المدير يأتى مساعدو المدير فى مختلف  
الفروع : فرع الأبحاث — فرع التحليل — فرع الاحصاء — فرع  
الشئون العامة — ثم فرع العمليات بطبيعة الحال . وتلى هذه الفروع  
جملة من الأقسام سأرمز اليها بمربعات صغيرة ، فأكبر الظن أنها لا تعنيك  
الآن .

وسألته قائلا : ترى أين مكاني بين هذه الفروع والأقسام والمربعات ؟  
— لقد وقع اختيارنا حقا على جابلمان ليكون مساعدا لمدير الشئون  
العامة . أتعرفه ؟ ألم تلقه من قبل ؟

— لا . لا أذكر انى سعدت بمعرفته من قبل .

وهنا قال كلتز وقد عرته الدهشة : كيف لا تعرفه ؟ انه صحفى من  
الطراز الأول . أعتقد أنه بدأ حياته للدعاية بمؤسسة ادارة الأعمال ثم تركها  
بعد ذلك الى ادارة الشباب القومى ، وأظن أنه أمضى شطرا من حياته محررا  
بادارة النجدة القومية ثم استعان به مكتب الحقائق والأرقام وانضم بعد ذلك  
الى إحدى المؤسسات الاقتصادية وانى لعلى يقين من أنه كان يعمل بعد ذلك  
فى الحكومة حين وقعنا عليه هناك . انه كما قلت لك صحفى من الطراز  
الأول : خبرة طويلة وكفاية منقطعة النظير . وهو الآن يشرف على فرع من  
الفروع الهامة فى المؤسسة بجدارة يغبط عليها .

قلت : وأنا

فقال وهو يطمح حروفه على عادته :

— ان شئتها صريحة فانك في الحق تثير مشكلة وأية مشكلة . ان الوظيفة التي كانت قد خصصت لك هي مساعد المدير للشئون العامة . وها أنت ترى انه قد تم التعيين بها ، وعلى الرغم من ذلك فلا ضير من أن تكون مساعدا خاصا للمدير . وعلى هذا فلنضعك هنا ...

عندها مد خيطا من هذا الخيط الذي يصل بين المدير وبين لجنة اعداد الخطط ثم رسم مربعا صغيرا كتب في داخله كلمة سميث ومضى يقول :  
— في الواقع اني لم أعرف بعد ما اذا كنت ستعمل مع هيئة تقرير السياسة أو مع هيئة اعداد الخطط أو مع قسم العمليات ، لهذا آثرت أن أضعك هنا .

— وهل سيكون هوامر معي في هذا المربع ؟

وبدأ الضيق يغشى ملامح كلتزر وبدأ وكأنه لا يستسيغ طعامه الذي لم يكن قد ذاق منه لقمة .

— لا ، ان آدم لن يكون معك . انه هنا في الطرف الأسفل من قسم العمليات ، أما أنت فتكاد تكون في القمة .

وامتدت يده الى مربع مهمل في أسفل قسم العمليات لتكتب فيه كلمة واحدة « آدم » .

وأحسست دافعا قويا يحفزني الى أن أفرغ من قطعة الشواء تاركا كلتزر يشحذ ذهنه في المراجعة والضبط لأعود الى نيويورك بالقطار التالي « غير أنني عدلت عن هذا لأقول له :

— استمع الى يا عزيزي ! ان السبب الوحيد الذي من أجله جئت الى هذه المدينة هو رعاية آدم . فاذا كان مقررا ألا تكلوا هذا الى شخصي

الضعيف فلتخبرني الآن لأعود الى بيتي . فما جئت هنا برغبتى ، وانما استجابة لهومر آدم نفسه ، ثم تفضيذا لأمر صدر من البيت الأبيض .  
وحين ذكرت البيت الأبيض أحس كلتزر بغصّة وقال فى لهجة مغايرة :  
آه انى آسف وما كنت أعرف ذلك .

وقد عرفت الآن كلتزر على حقيقته ، انه لا مثيل له بين الموظفين : ينظر الى الناس على أنهم غير متكافئين ولا متجانسين . يراهم جميعا أعلى أو أدنى منه ، لاوسط بين هؤلاء وهؤلاء . يشمخ برأسه ليلصق أنفه بمن هم أسمى منه وأعلى ، ويدوس بقدمه رؤوس من هم أدنى منه وأقل . ولقد امتلأت نفسه بفكرة لا يتحول عنها فقد رأى أنه اذا سار على هذا الدرب وسلك ذلك النهج وبقي على وضعه هذا — ضمن معاشا ثابتا بعد ثلاثين عاما فى الخدمة يحال بعدها الى الاستيداع ليقضى بقية عمره فى اللهو والصيد .

وقلت له :

— لا بأس فقد عرفت الآن عملى .

— انى لم أعرض لشئون آدم فثمة صعوبات تتعلق بها فى الأوساط الادارية التوجيهية . فانه عندما أحيل آدم الى المؤسسة القومية لاعادة الاخصاب كان الجيش لا يزال صاحب السلطة واذا هم يعلنون بعد ذلك ان ارادة الرئيس قد شاءت أن يكون للمؤسسة القومية لاعادة الاخصاب حق استخدام آدم ، على أن تظل المحافظة على أمنه وسلامته بيد الجيش ، ومن ثم تم الاتفاق مع الجيش على تشكيل لجنة .

وصحت فى وجهه مشدوها :

— لجنة أخرى ؟

— أجل لقد أقمنا لجنة للاشراف على شئون آدم الخاصة دون أن

تكون لها صلة باخصابه . وكان على هذه اللجنة نتيجة لهذا أن تعرض ما عنّ لها من توصيات ومقترحات على قسم العمليات ، ولقد مثلت المؤسسة القومية لاعادة الاخصاب في هذه اللجنة . وكان فليس سمايث .. وقطعت عليه الحديث قائلاً :

— يا له من لقيط !

فنهض كلتز واقفا وقال : انه يمثل الجيش في اللجنة . ولقد اتفقت أفا وفليس سمايث على أن تكون في اللجنة معنا .

وكاشفته برأىي في هذه التنظيمات كلها في كلمات قصيرة وبأسلوب تقليدي قاطع ، غير أن كلتز قال :

— أنى أرى أن يتولى بمفرى التفكير في الأمر وأن ينتهى الى قرار : ولقد بصّرته أن من الخير أن يفصح لى عن الحقيقة دون مواربة ودون ابطاء .

\* \* \*

كانت المؤسسة القومية لاعادة الاخصاب قد استقرت في مباني عدة بالقرب من ملتقى الطريق الثالث والعشرين وطريق « د » في الشمال الغربى من واشنطن . وكان لها فروع في مساكن موقّعة أخرى تطل على متنزه قريب تركتها لها البحرية .

وتحس في مبنى الادارة من الداخل ضجيجا وصخبا عاليا نتيجة تنقل الفتيات من مكتب الى مكتب ونتيجة غمغمة الآلات الكاتبة ورنين أجراس التليفونات ولغط المتناقشين في قاعات الاجتماعات والمؤتمرات وكانت تفوح من الجدران رائحة الطلاء الحديث كما كانت تشيع في المكان روح التجديد والتغيير .

وما أقرب الشبه بين مؤسسة حكومية شامخة حديثة الانشاء تتوسط



قلب العاصمة وبين نبات استوائى ينمو صغيرا ياتعا خصبا مشرقا اشراقه  
البتان الفينان المورق ثم ما أشبهها فى الوقت نفسه نبات الفطر فى ضعفه  
ورخاوته واصفراره وذبوله اذا ما عصفت به رياح هوجاء من زوابع  
الكونجرس أو تعرض لهزات ادارة الميزانية .

وكانت المكاتب المتصلة بأدارة آبل بمفرى هادئة تعزلها عن الضوضاء  
جدران مائعة للصوت وكان أثارها ينبىء عن حسن ذوق صاحبها المتصل  
بالجماهير اتصالا طويلا . ولقد بقى اسم بمفرى يصدر به دليل الكونجرس  
زما غير قصير حتى بعد أن كاد الأمر أن ينتهى بالمؤسسات والمكاتب التى  
كان يرأسها الى الافلاس . ولم تعد غير مجموعة من الحروف الأولى  
الكبيرة الجوفاء لاسم من الأسماء لا تحمل فى ثناياها معنى من المعانى ،  
وذلك بعد أن انسيها الناس وأصبحت فى طى الكتمان .

وحين جاء بمفرى الى واشنطن كان يحمل راية الحزب الجمهورى  
المحر واذا به يتحول فى الوقت المناسب الى ديموقراطى محافظ ، على الرغم  
من أنه كان منذ نشأته بيروقراطيا . وان دلّ ذلك على شىء فعلى أنه كان  
يستمتع بمعرفة الألاف من الناس ، وأنه كان يعوزه الاحتفاظ بالولاء  
الدائم والاخلاص الباقى ، كما كان يعوزه التمسك بالعقائد والمواثيق  
وما كدر عليه صفحة حياته أعداء ، ولا أشرفت سماؤها بسنا الأصدقاء  
هذا اذا استثنينا زوجته .

وحين أختير بمفرى ليكون مديرا للمؤسسة القومية لاعادة الاخصاب  
فى اليوم الذى تلا عيد الميلاد أخذ اسمه يظهر ، ولقد حفز الى هذا الاختيار  
ما عرف عنه من أنه انسان مسالم محايد ليس له مركز أو وظيفة مرموقة ،  
هذا الى أنه رب أسرة كبيرة قوامها زوجة وستة أطفال . وحين تم هذا  
الاختيار لم يكن قد كتب لآدم الظهور أو بعبارة أخرى لم تكن المؤسسة

قد استحوذت عليه واستأثرت به ، وكانت الأبحاث التي تدور حول إعادة الاخصاب لا تزال في مراحلها الأولى ، ذات طابع نظري لم تعد طور التجربة ، كما لم تنح منحها العملى . ومجمل القول أن السيد بمفرى أصبح اليوم ذا مركز مرموق يشار اليه بالبنان . فشتان ما بين ماضيه المغمور وبين ما هو عليه الآن في عمله الخطير الذي يلفت اليه أنظار الجماهير ويشغلهم به ، وعلى الرغم من هذا فلقد ظل بمفرى قلقا مهموما . هذا عن مكنون نفسه ونواذعه الخفية . اما عن ظاهره ومظهره ، فلقد كان يبدو دوما هادئا مرحا يتورد خداه وكأنهما تفتحان وتلف رقبتة ياقة أرستقراطية محكمة تحمل طابع هيربرت هوفر . وأخيرا أقبل على السيد بمفرى هذا يحيينى ويرحب بى قائلا :

— انها لفرصة طيبة تلك التي أتاحت لنا لقاءك هنا وأنه لجميل منك سعيك الينا لنعرفك وما أسعدنا الحظ بهذا التعارف من قبل وأجمل من هذا أن يكون اتيانك لعوننا ومساعدتنا ، وسييدل بيرس مافى وسعه لكسبك الينا والاستئثار بك لصالحنا . ما قولك يا بيرس ؟

ولم أترك الفرصة لبيرس ليتكلم فسبقتة وقلت :

— أخشى أن تكون قد التبست عليكم المهمة التي من أجلها جئت . وما مجيئى هنا الا لأبث الثقة في نفس هومر وأعيد اليه هدوءه . وغاية ما أعلم ان هذا هو ما يبغيه البيت الأبيض أيضا وما يطلب منى أداءه . ولقد أدركت انى حينما كنت ألفظ بكلمة البيت الأبيض كان كلتر يقفز من مكانه فرحا مذهولا ، من أجل هذا رأيت أن أعيدها وأن أكررها أمامه عدة مرات .

وأجاب بمفرى قائلا :

— بالطبع انى أوافق بكل ما أوتيت من قوة ولا يسعنى الا الرضا

والتسليم بما استقر عليه الأمر . ألم تشرح اليه يا بيرس ما اعتزنا عمله ؟  
فقال كلتر :

— أجل لقد حدثته في اجمال ووضوح عن التوجيهات والتوصيات  
والارشادات وعن اللجنة الأخيرة التي انتهينا من تشكيلها ومكانه منها  
ومهمتها .

وصحت قائلاً :

— لا صلة لى باللجان وانى لأمقتها مقتا شديدا .

فقال بمفرى وهو يحاول أن يهدىء بيديه نأثرتى :

— أليس من الخير يا ستيف أن تكون هناك لجنة أخرى حتى لو كان  
فى وسعك أن تقوم بالعمل وحدك وتنجز كل ما يتصل به ؟ ان حماية آدم  
أمر حيوى دقيق حساس ولهذا فانه يتطلب دراية وبراعة وحسن تصريف  
للأمور ، ثم أليس من الخير أن تحمل وزارة الدفاع شيئاً من العبء لو وقع  
مكروه أو شاعت شائعة ؟

وقلت : لا

فتخاذلت قواه ، غير أنه قال :

ان مرد هذا كله الى الرئيس وقد اختارك لهذا العمل خاصة ، ولسوف  
أطلب اليه أن يزيدنا ايضاحا عما جاء عنك بمذكرته التفسيرية ، وقد  
لا يكون هناك ما يدعو لهذا الاتصال ، فلقد أصبحت المسألة فى غير حاجة  
الى مزيد من الايضاح وعلى أية حال فسأطلب من فليپس سمايث أن يحضر  
ليكون على بيّنة من الأمر ، اذ هو يقوم مقام ضابط الاتصال بين الجيش  
واللجنة .

قلت : أعرف ذلك .

ولم يجد جديد على فليپس سمايث منذ أن عرفته فى « تارى تاون »

فما زالت الشارات تحتل مكانها من صدره ، وقد كان في الواقع على علم تام بكل ما يجري . وعرفت من حديثه أنه بحث المسألة مع قائده وأنها قد انتهيا الى رأى .

وبعد أن ذكر بمفرى أن اللجنة قد فرغت من أعمالها قال في اسلوب الرجل السياسى الذى يعلن عن تغيير سياسة بلاده تجاه دولة معادية :  
— ان وزارة الدفاع تأبى أن تهمل في اتخاذ وسائل الامن حرصا على سلامة هومر آدم . فلو أنه أصيب بمكروه أوغدت حياته في خطر لتعرض مستقبل الامة جمعاء لخطر شديد .  
وقاطعته قائلا :

— أتعنى أن الامة ستخسر مستقبلها وأن العالم سوف يضل السبيل، ولهذا فقد شاعت ارادة الرئيس أن يعهد الىّ أنا ولا يعهد اليك بالاشراف على آدم . وقد كان واجبا على ألا أحيطك علما بهذا غير أنى لم أفوق على مغالبة ارادتى فلم أكنم عنك شيئا .  
وحدق فليس سمايث في وجهى ، دون أن يصدم كما كنت أتوهم ، وأخذ يقضم طرف شفته في حركة لا ارادية وهو جالس وراء مكتبه ومضى في حديثه يقول :

— ان وزارة الدفاع لا تزال عند رأيها في أن يصدر المسئولون أمرا مكتوبا يتخلون فيه عن المحافظة على سلامة آدم وحمايته وأن يصدر هذا الأمر وشيكا فقد عزمنا على أن نسحب الحراس وجنود الامن من شورهام في السادسة من مساء اليوم .  
قلت :

— أتعنى بهذا أنكم قد أسرتم آدم وعزلتموه في مكان ما ؟  
ولكن بمفرى لم يعرني انتباها وسأل فليس سمايث :

— هل في عزم وزارة الدفاع أن تتخذ قرارا معيناً وتعلنه على الجميع؟  
— بالطبع .

— ولكن هذا سوف يثير كثيرا من التساؤل والجدل ؟  
— لن تكون هذه غلطة الجيش .

وانطوى بمفرى على نفسه وكأنه كرة من المطاط أفرغ قدر كبير من هوائها واسترخى وقال في حيرة :

— سأبعث بالامر الى مكتبك أيها العقيد حين أجد الفرصة لتوقع عليه .

قال فليس سمايث : شكرا لك .

ثم غادر المكان وظل وقع حذائه يرن في أذني وهو يمضى عجلا ، ولم يلبث كلتز أن التفت الى بمفرى وقال :

— خليك بنا أن نبحت عن « نات » لأن هذا معناه بداية المتاعب .

ثم اتضح أن نات هو جابلمان مساعد مدير العلاقات العامة ، وكان شابا أسمر اللون شاحب الوجه طويل الشعر طولا يجاوز المألوف يعوزه التصنيف والترتيب وكانت أظافره أشبه بشعره طولا ولونا . وحين وقعت عيناه على ظل يحملق في بنظرات مليئة بالتفكير والتدبر والتقدير وأخذ يصغى الى تعقيب بمفرى على ما كان ثم قال :

— كان واجبا على أن أعرف هذا كله في حينه . والا فما هي مهمة رجل العلاقات العامة ؟ !

قال بمفرى :

— آسف يانات ، غير أن الحوادث مضت في سرعة مذهلة .

وسأل نات :

— أخالك لم تكتب بعد تلك المذكرة لفليس سمايث .

— كلا لأنه كان قد خرج في التو .

وبدت عينا جابلمان تشعان بالحياة من خلف نظارته وقال :  
— حسنا سنعمل على عجل وسوف أعلن الصحف بالتخلي عن آدم  
وشيكا . احتفظ بهذه المذكرة الى أن أستعد للأمر . وسنشر قصتنا أولا .  
وسأل بمفري : وما هي قصتنا يا نات ؟

— انها سيرة غاية اليسر أجملها فيما يلي :

أعلن آبل بمفري مدير المؤسسة القومية لاعادة الاخصاب أن وزارة  
الدفاع قد وكلت اليها الاشراف التام على السيد آدم استجابة لطلب  
الرئيس ... ثم أضاف : ألا ترى ان هذا يلقي بالأمر على عاتق وزارة  
الدفاع وسوف لا يقوون على الخروج على أمر رئيس الجمهورية اذ هو  
القائد العام والرئيس الأعلى للجيش . وتقول بعد ذلك ان السيد آدم لم  
يكن يستمتع في هذه الظروف بقسط وافر من الحرية الشخصية وكان  
لابد له من أن يحصل على جميع الحقوق والحريات المكفولة لسائر  
الامريكيين . وسوف يدعم هذا مركزنا عند حزب الأحرار ثم تقول أن  
فليس سمايث قد أصبح مساعدا خاصا للسيد بمفري ، وقد وكل اليه  
الاشراف على سلامة آدم ، وبعد فان سميث وآدم صديقان .. ألستما  
صديقين ؟

قلت : ما أظن أننا كنا صديقين .

فقال : على أية حال فأتتما صديقان اذ سوف يشير هذا الى أننا نضع  
شئون آدم نصب أعيننا .

وتبينت أن جابلمان كان كما ينبيء مظهره ليّن الملمس ماكرا ، ولعله  
أفاد من خبرته الصحفية حين كان وكيلا للصحافة الحكومية ، وان لم  
تتجاوز هذه الخبرة طبع الرسوم البيانية الحربية . واستطرد يقول :

— قد يحسن أن نلمح الى أهمية تلك الصداقة أيضا كى نلقى اللوم الشديد على وزارة الدفاع ، ونحملها تبعة تلك المعاملة التى عانى منها آدم متاعب جمة من جراء ذلك النظام السابق العنيف الذى وضعت له هذه الوزارة .

قال كلتز : لا ينبغي ان أقول ذلك .

فأجاب بمفرى : ولكن هذا التصرف قد يكون مدعاة لاتتشار الشائعات ، وقد يثير الذعر ، وينشر الفرع ، وينبغى علينا أن نطلع على الرسائل الواردة من رجال الأعمال ( اقصد أشهر رجال الأعمال ) والتى تنوه بقدر آدم وعظم منزلته ؛ ألا تدرى ماقد يحدث لو أصاب آدم مكروه ؟ ان شركات التأمين سوف تعلن افلاسها ويصبح أثر ذلك على السوق المالى امرا لا يمكن ادراكه او التنبؤ به .

وقال جايلمان موافقا : لم أفكر فى هذه المسألة بعد ، وسوف نبدأ العمل على الفور .

ورغب كلتز فى أن ألقى نظرة على مكتبى الذى أعد لى أعدادا كاملا ، وعلى مساعدتى ، غير أننى رفضت ذلك مصرا على أن أبدأ برؤية آدم دون أبطاء . واخبرنى بمفرى أنه قد هبى لى مكان بين مرافقى آدم وحاشيته وفهمت من شرحه ووصفه ان عددا كبيرا من رجال البحرية سوف يصاحبه .

كان كل ما قصه على بمفرى صحيحا ، فقد وجدت الجيش لا يزال مرابطا هناك ودوريات الأمن لم تنسحب عندما وصلت الى شورهام ، ورأيت عربية مصفحة وعربتين من حاملات الأسلحة عليها خمسون مدفعا رشاشا لوضعها بعد ذلك فى مواقع استراتيجية عند مدخل الفندق ، ووضح لى أن آدم يشغل الطابق الخامس بأكمله من الفندق ولقد عانيت بعض المشاق فى

الصعود اليه حيث كان رجال البوليس الحربي منبئين في كل الردهات وعند المصاعد ، وعندما علم الضابط المنوط بالحراسة رغبتى في مقابلة آدم وافق اخيرا على أن اصعد اليه على الفور قبل أن يتم الجيش رسميا عملياته الحربية الخاصة بآدم في الساعة السادسة .

وفي ردهة فندق شورهام الضخمة المخصصة لكبار زائرى أمريكا مثل دوق وندسور أو مهرجات الهند ورؤساء جمهوريات الموز سمعت صوتا في الداخل مختنقا وكأنه هرة خفيفة على طبلة ينبعث من مذياع مثبت في الجدار .

لمحت غير بعيد خصلة من الشعر الأحمر تتدلى من فوق متكأ أحد المقاعد الوثيرة وكان يسيرا على أن أعرف أن هذه الخصلة لآدم . وقد بدا حائرا متداعيا وكأنه فى سبات عميق أو فى غيبوبة . كان شبيها « باب » فارغ الطول ، طويل الساقين يجلس مسترخيا تشع عيناه ويفغر فمه وتتهدل شفته ، غير أنه ما كاد يرانى حتى نهض واقفا على قدميه ومد لى يده .

اعترف أنى أصبت بصدمة حين رأيته فقد بدا لى وكأنه هيكل من الهياكل العظمية التى استوت على قدميها بعد أن أمضت سبع سنوات فى معسكر اعتقال داخاو (١) . ثم قال :

— وأخيرا وصلت يا ستيف ! رباه ما أسعدنى حقا أن أرى وجه انسان ....

ولقد جاهدت فى أن أخفى دهشتى من تعاسة مظهره وقلت له :

— خذ الأمور فى يسر يا هومر ، ولتثق أن كل شىء سيتغير من الآن .

— آه لقد حرمت متعة الشراب فما عادوا يسمحون لى بغير مزيج

(١) معسكر اعتقال داخاو ، Dachau فى ألمانيا : معسكر اعتقال أقامه

النازى لليهود وأعداء نظام النازى ورويت قصص كثيرة عن ألوان العذاب



واحد من الشراب قوامه البيض والجمعة الساخنة فلا أحس له طعما أو مذاقا  
وتكاد شجاعتي تخونني ولا أجد أثرا لعزم أو قوة في نفسي .

فقلت له :

— سوف تنال من الآن فصاعدا كل ما تريد مهما كان ، وعلى أية  
صورة كان .

— أحقا ما تقول ؟

وكان مشحونا بالانفعال ، رأيت يديه ترتجفان وعينيه تغرورقان  
بالدموع فرفعت سماعة التليفون واتصلت بقاعة الخدمات وطلبت له شيئا  
من الروم اذ كان آدم في حاجة ماسة الى أن يستنيم كي ينسى همومه  
ويستشعر بعض الهدوء . وأخذ هومر يروي قصته فقال : يؤلمني أن أراهم  
يسلكون معي هذا المسلك الخشن كل الخشونة ، القاسى كل القسوة وكأني  
لست آدميا بل كلبا مدللا يقودونني الى هنا والى هناك كما يشاءون .  
وهم لا يبيحون لى أن أترك هذا الطابق الا حين يأخذونني لأعرض على  
جماعة من الناس لا صلة لى بواحد منهم . وهم حريصون على أن أرتدى  
ملابسى كاملة وأن أبدو فى أبهى شكل وأجمل مظهر ، على حين يأخذ  
هؤلاء المتظفون ينظرون الىّ فى فضول عجيب كما لو كنت مسخا . أليس  
هذا بغريب ؟ أو ليسوا من الشواذ ؟ أو ألسنت بشر يا ستيف ؟ انى انسان  
طبيعى تماما .

فقلت مصدقا : سوف أرى رأيى .

ومضى يقول : لقد كانوا يبحثون أمرى على مسمع ومرأى منى وكأني  
جواد يراهنون عليه قبل السباق — ترى الى أى مدى سأتقى قادرا على  
الانتاج — وهل سيحققونى بمادة تستسترون والمقويات المثيرات وما الى  
ذلك ، يا له من شىء يثير الحيرة والارتباك ، وقد أصبحت خاضعا لهم كذلك

في طعامي فلم أعد أتذوق الا ما يرغبون فيه وما يقدمونه هم اليّ :  
هل خطر ببالك أن شيئاً مثل هذا يحدث لي ؟  
— كلا ، لم يخطر ببالى شيء من ذلك أبدا .

وجاء الخادم بالشراب وقدمت له قدرا كبيرا منه ومضيت أشجعه .  
وحين فشلت في أن أكون العالم النفساني الذي تهيأ للعلاجه وجلت أنى  
أستطيع في يسر أن أعينه على الخلاص مما ملأ صدره من هم ووجلّت هذا  
لونا من العلاج .

وأستطرد آدم يقول :

— ليتهم علموا أنى لا أدخر وسعا في مد يد المعونة اليهم ، فان هذا  
واجبى غير أنهم لا يملكون أن يباعدوا بينى وبين أسرّتى .

واغرورقت عيناه ثانية بالدموع وكأنه طفل آذاه الناس عن قصد  
وسوء نية دون ذنب اقترفته يداه . ومضى يتابع شكواه قائلاً :

— معذرة يا ستيف فما أدري هل يجدر بى أن أتحدث عن نفسي ،  
فما أقول غير أشياء تتصل بى وقد لا تعنيك .  
فقلّت له أستحّشه :

تحدث كما تشاء يا هومر وخفف عن نفسك ما يثقلك فانى أصغى  
اليك بكل جوارحى .

— أود من أعماق نفسى أن أرى زوجتى مارى الين ... فهى المرأة  
الوحيدة فى حياتى .

وأومأت برأسى أوافقه دون أن أبتسم .

— وصب هومر كأسا أخرى يستحث بها شجاعته على الكلام فى صبر  
وأناة وقال :

— حين أقول أننى لم أعرف فى حياتى كلها امرأة غير مارى الين فأنا

أعنى هذا بكل دقة ، وأعنى أنها المرأة الوحيدة التى عاشرتها . فقد كنت أحسبني دوماً غريب الهيئة يثير منظري عادة الهزء والسخرية . وكانت الفتيات يهزأن بي فى صباى لنحولى وضمور جسمي وطولى المفرط وهذا التباين الواسع فى مظهرى ، ولهذا لم أجد القدرة أو الجرأة على أن أغازل فتاة . وهكذا خلت صفحة حياتي من الغزل والحب .

وأخذت أدرك ما يكمن فى كلامه كله من معانٍ . لقد شاءت الطبيعة أن تختار رجلاً خجولاً يتميز بحيائه وعفته الجنسية وكأنه ما حرّم على نفسه معاشرَةَ النساء تحريماً باتاً الا ليكون أباً لأبناء بلده .

قد يكون مغرباً ومرضياً الأنانية نفر من الرجال أن يستأثروا بتملك نساء البلاد جميعاً ، مع ما قد تمليه الضرورة من أن يحمل أكثرهن . غير أن هذا شئ يثير الفزع ، وهذا الفزع هو ما دفع بهومر الى الأنهيار النفسى ، وكان أشد وقعاً عليه من تقييد حريته . ومن حياته كالسجين فى شورهام بين مظاهر الرفاهية والنعيم ، أو كعارض الأزياء حين يخطو متنقلاً بين ردهات واشنطن وتتبعه الأعين .

وقلت أستحته : قل يا هومر ، أمض فى حديثك .

هذا كل ما عندى . وأجمل منه ان صدرى يفيض بحنين الى ماري الين هذه الأيام خاصة ، أريدها يا ستيف ولا بد لى من أن أراها .

وقلت أناجى نفسى : لو أن أم هومر كانت لا تزال فى قيد الحياة لوجد فى كنفها كل ما يتوق اليه من حنان وحب ، وجهدت فى أن أعيد الى ذاكرتى ما قرأت من عقدة أوديب وكيف تنحدر الى الأبناء والأزواج مؤثرة فيهم وقلت أخاطبه :

— اذن فهم لم يبجحوا لك أن ترى ماري الين ؟

— تبا لهم ... لا . فلکم توصلت اليهم أن يخلوا بينى وبين أن أذهب

الى تارى تاوون يوما أو بعض يوم أو أن يخلوا بينها وبين المجرى الى على  
أن ترعى السيدة برندنج الطفلة خير رعاية خلال تغيب زوجتى . ولكن  
العقيد فليس سمايث والسيد كلوتز رفضا ذلك تماما .  
وأخذت أتساءل : « ماذا دهى هؤلاء القوم ؟ » .  
وأدركت كنه سذاجتى وسلامة طويتى حينذاك .  
وقلت له أمنّيه :

لا تدع اليأس يأخذ طريقه الى نفسك ، وهوّن عليك فسأهين  
الوسائل التى تحقق لك رغباتك .  
ولمحتة بيتسم للمرة الأولى ابتسامة عريضة واسعة فقلت له مشيرا :  
— هيا فلنشرب مرة أخرى ثم لنفكر فى الغداء هناك . وهلم بنا نهبط  
الى الردهة الزرقاء فانى راغب فى تعرف المكان .  
— ما أسعدنى بهذا !

وانقضّ على « جراد البحر » يأكله بشهية بالغة وكأنه قد أشرف على  
الموت جوعا وأكل كثيرا من الجمبرى وتبلع بثلاث قطع من الفطائر التهمها  
التهام الذئب ، ولقد خيلته يأكل فلم أشغله بالحديث وأرخت العنان لخيالى  
يصور لى من جديد تلك السنوات العشر من حياته الأولى فى هيانس فى  
ولاية نبراسكا ، فتخيلته صبيا نحىلا طويلا سقيم العظام ، يعث به من هم  
دونه طولاً من الصبيان ومن هم أكبر منه سناً ، فيفر الى أمه لتحميه ، ثم  
تخيلته شابا يافعا حديثا تشاكسه فتيات فى كليته الأمريكية وهو فى الفصل  
الثانى ولم يكن يدرك انها مداعبة تملئها الرغبة فى صداقة بريئة ولا شىء  
غيرها ، ثم تخيلته وحيدا ينكب على دراسة علم طبقات الأرض والجيولوجيا  
يعمل بجهد وقد حصر همه وتفكيره فى عمله . وأخيرا رأته الرجل الناضج  
الذى دفن كل الصلات البشرية فى أعماق اللاشعور فكان زواجه بحثا عن

أم أخرى يفرع إليها ويجد الطمأنينة تحت جناحها كلما واجهته حقائق الحياة الرهيبة .

كافت هذه هي حال الرجل الوحيد الذى أختير ليعمر الأرض بالناس بعد العقم ، ولم أكن أثق أن فى مقدورى أن أتيج له فرصة يلقي فيها مارى الين . وقد يكون مشيرا أن نهيمى له رؤيتها يوما أو بعض يوم غير أنه كان من المحقق انه لن يقيم معها دوما ، وكان ذلك يقتضينا أن نجد حلا آخر .

— ألا تدرى يا هومر انك حين كشفت لى عن مكنون صدرك احتلت فى نفسى مكانا خاصا ، وكذلك حين آثرتنى بشيء عن حياتك الخاصة ؛ واخالك ادركت ما ارتكبت من خطأ فانك معبود النساء حقا وصدقا .

فأجاب وملء لهجته التأكد واليقين : كلا

— بل أظن ذلك .

— ولم تظن ذلك ؟

— لانك شاب فارع الطول ونجوم السينما جميعا ممشوقو القدر فارعو

الطول ، اليك جارى كوبر مثلا .

— أجل : غير أنهم ليسوا مثلى على هذه النحافة المفرطة .

— خذ مثلا الممثل فرانك سيناترا ، فانك لا بأس بك بالقياس اليه

غاية ما هناك أن عظامك يعوزها مزيد من اللحم .

وفكر هومر هنيهة ثم قال :

— كم كنت جميل الهيئة فى استراليا حيث كنت أستمتع بالهواء النقى

والرياضة الباعثة للنشاط ، وكثيرا ما كنت أشتهى الطعام ، وانى الآن

لا أقرب الرياضة من قريب أو بعيد فى هذا المكان البغيض والسجن اللعين .

وقلت له أعده :

— سأبذل جهدى فى تدبير ذلك كله ، هيا اذهب واحلق ذقنك والبس

قميصا نظيفا فسوف أصبحك الى الخارج وسوف نبتعد عن هذا السجن  
لأسرى عنك ولتستمتع بالحياة لحظات كما تحب وتهوى في هذا الجو  
البديع .

وتبينت في الردّة الزرقاء وبعد عشر ثوان من دخولنا اليها أن رعايتي  
لهومر ليست شيئا يسيرا فما هو بكبش من الكباش السهلة القيادة فينسى  
شأنه اذا ما انضم الى القطيع . ان الانسان ليحس الاشتمزاز لبقائه مغمورا  
بين الناس لا يؤبه له على أية صورة كان هذا الانسان . ثم ان هومر لم  
يكن بالرجل القمى ، فقامته تمتد نحووا من ست أقدام ونصف قدم ،  
وشعره أحمر براق يحكى اشارة المرور حين تعلن وقف السير ، وقدمه  
يحكى سارية العلم سمكا ، زد على هذا ما كسبه من شهرة جعلته حديث  
المجتمع وجعلت وجهه معروفا لكل من طالع صحيفة يومية ، وهذا يكشف  
لك عما كنت سأقع فيه من متاعب حين يوكل الى أمره بعد أن غدا هومر  
آدم على تلك الحال من الشهرة التي جعلت منه أعجوبة الدنيا الثامنة .

وحين دخلنا ملهى « القاعة الزرقاء » لنحجز مائدة ، عرف بيير ، كبير  
الخدم ، آدم وخف كلاهما الى الآخر يحييه ولقد كادا يرقصان . وتقدم  
بيير الى مائدة على حافة حلبة الرقص ونزع من فوقها بطاقة الحجز وهرول  
يجيئنا بما طلبنا من شراب وتطلع بارنى قائد الأوركسترا الينا ومد رقبتة  
فاذا هو يخطيء الضرب على الطبله فيختل النغم ويشرد العازفون غير أن  
واحدا من الحاضرين لم يلحظ شيئا .

التأم شمل الفرقة الموسيقية وعاد العزف ثانية وتطلع الناس اليها .  
ولو أن هومر كان نمرا أحمر جىء به من بلاد البنغال لما أثار الناس الى  
هذا الحد ، وما جعل كل راقصين يعرجان بنا ، والغريب أن النساء هن  
اللاتى كن يسعين الى الاقتراب منا .

وسكنت الموسيقى فلم تعد تعزف ، وخيم الصمت على المكان .  
والمألوف في مثل هذه الملاحى الليلية ان الموسيقى حين تكف لا يكف  
الصخب بل يبقى كما هو يصحبه رنين الأكواب والأطباق وتدوى فيه  
المناقشات السياسية والتجارية وترن فيه الضحكات غير أن الموسيقى حين  
سكنت هذه المرة بقى السكون شاملا ثم بدأ الهمس فجأة وكأنه دوى  
النحل له جرس فى الأذن غريب ولقد تبينت أن مبعثه ثلثمائة سيدة كن  
يتكلمن فى وقت واحد .

وقال هومر فى دهشته :

— ما خطب هؤلاء القوم ؟

قلت وأنا أداوره :

— لا علم لى .

— انها لأسوأ حفلة شأى رأيتها وأنى لاكاد أجن حين أرى هؤلاء

الناس يحملقون جميعا فى وجهى .

— هدىء من روعك واشرب كأسك .

واستجاب هومر وشرب كأسه .

ووقعت عينائى على أوسكرفينى فى الردهة ، هذا المغامر الأفاق الذى  
طلع فجأة من شرنقة الصحافة وغدا فراشة مرموقة ونجما لامعا فى سماء  
هوليوود وحظى بقلب مستشار للشئون العامة وأصبح أجره الأسبوعى  
ألف دولار . والى جانب أوسكر وقت غادة ذهبية البشرة تستر شيئا من  
جسدها بثوب مطرز بالذهب ولم يكن مظهر هذه السيدة لينسينى اسمها  
على الرغم من أن ذاكرتى لا تعى من الأسماء شيئا ، لقد ذكرت اسمها  
وانها تعمل راقصة بالملاحى الليلية . أصبحت تدعى الآن كاتى رايدل ولقد  
سماها أوسكر « بالاطار » فاشتهرت به وأقول انها غلت شهيرة لامعة لأن

كاتبى رايدل كانت من كواكب هوليوود ، ترى صورتها فى كل مكان وان كانت لا تظهر على الشاشة ؛ ولم تكن لها من الكفاية الفنية ما يجعلها تشترك فى فرقة من الفرق الأمريكية العامة . ولقد كان من اليسير على الشبان أن يتعرفوها دون تردد ولو من ظهرها ، وهذا فوق ما يمكن أن يقال عن كورنيل أو هايس نفسها .

وأشار الىّ فبنى بيده محياا فرددت عليه التحية وفاجأنى هومر بقوله :

— ويلي من هؤلاء النساء ! انى لأحس القشعريرة تسرى فى جسدى خوفا منهن ورعبا .

وأدركت أن النساء كلهن قد صوبن أنظارهن الى هومر على حين كان الرجال فى شغل عنا وكانت روح الأنوثة الصارخة قد ملأتهن وبلت واضحة جلية للعيان .

وسألنى هومر قائلا : ما خطبهن ؟ .

— أخالهن يردن انجاب أطفال .

فاشرأب بعنقه وشخصت مقلتهاه فى عينيه وكأنه طفل يتوق الى أن يمدّه أخوه الأكبر المجرب بذخيرة من النصح والارشاد عن أسرار الحياة وقال :

— أليس لهن ... أعنى ... هل الرجال كلهم ... أنت تعلم ... أليس من الممكن ... ؟ ( ثم تلبث هنيهة يفكر ثم مضى يقول ) : ان ما أعنيه هو وفى صراحة ... أنت حين ... أقول أنت حين تنام ... ( ثم تلثم مرة أخرى ... ثم عاد يقول ) عندما تضاجع زوجتك ... ان ما أعنى ... فقلت له :

— انى أفهم ما تريد ، ان الأمور تمضى هكذا يا هومر ، ان كل شىء



يجرى على وتيرته غير شىء واحد ... لاشىء يقع بعد ذلك ... لاشىء أبدا ... لا أطفال .

— حسنا ... وبعد فأى شىء يجعل هؤلاء النساء ... ؟

فقلت أزيدة وضوحا :

— انه شىء غريزى وما غريزة الرجل غير احساسات جسدية تنتابه من حين الى حين ، وهى تختلف عند المرأة أو النساء جميعا ، ولا علم لى بدوافع الرغبة الجنسية أو الجماع . غير أن المسلم به أن النساء جلهن يردن بداءة انجاب أطفال ، والأطفال فى يقينى جزء لا يتجزأ من الغريزة الجنسية عند المرأة ، وهى عند الرجل ليست شيئا من ذلك أبدا ... أفهمت ؟

فقال هومر وهو يتنهد :

— نعم الآن فهمت .

وتطلعت فرأيت صديقى أوسكار فىنى يصحب « الاطار » واذا هى تطالعنى بشديها المكتنزين المستديرين وكأنهما كرتان ، وأخذت تصوبهما تجاه هومر ، ثم أقبلت علينا تنهادى ، وليس بوسع انسان مهذب فى مثل هذه الحال الا أن يسعى الى التعرف اليها ، وساعتها أخذت أقدمها الى هومر . وحين أحسست ميلى الى الشراب كبحت جماح نفسى مذكرا اياها ان المقام يلزم الرجال باليقظة والانتباه وما أشك فى أن كيتى روب أو كاتى رايدل أو « الاطار » أو بأى اسم آخر تدعى به ، أقول ما من شك فى أنها على قسط كبير من الذكاء أو أنها ثقفت فأحسن ثقيفها ودربت وهذبت فأحسن تدريبها وتهذيبها ، ولقد ألهمتها أنوثتها المجتمعة فى ثديها أن تبدو رائعة . وأخذت لساعتها تتكلم فى طلاقة عن علم الآثار . وليس بعيدا أن تكون قد قرأت شيئا فى الصحف عما كان هومر يميل اليه فى صدر شبابه

من أن يكون عالما من علماء الآثار . وهكذا وجدت هذه الماكرة وسيلتها لتخلق سببا يؤلف مع الأيام المقبلة بين قلبها وقلبه .

وقال هومر : أراك مغرمة بعلم الآثار ؟

وأجابته عجلة لا تترث :

ما أشد ولعى بهذا العلم . أتراك سمعت عن الأستاذ روب بجامعة شيكاغو ؟

ولم يكن عجيبا منها أن تذكر هذا الرجل فلقد كان أباهما .

— حقا . أليس هو الذى يقوم بحضريات عن حضارة الأزتيك ؟

— انه أبى وانى لكذلك مولعة بالآثار فى المكسيك ، رباه لأشد ما أذهلتنى تلك الآثار الرائعة التى وجدوها فى معبد هويتز لوپوشتلى .

وأجاب هومر بأنه شغوف بها هو الآخر .

وهكذا مضى الحديث بينهما . وما من شك فى أن ذلك الحوار الذى

اتصل بينهما كان أغرب حديث وأعجبه أثير على مائدة العشاء فى ملهى ليلى . ولقد ملأ عقلى شكا ان هذا المخبر الماكر كان يتوق الى الوصول الى ذروة المجد فى واشنطن . وكان صديقى أوسكار فينى وعى لا تخفى عليه خافية ، وما من شك فى ان ربط اسم هومر آدم باسم ممثلة من الممثلات شىء يحفز الى ملء أعمدة علة من الصحف وما أكثر صحف الولايات المتحدة التى ترحب بمثل هذا .

وسرعان ما لاحت فرصة من تلك الفرض وتمثلت فى صورة . فلقد

اقتربت منا احدى المصورات اللاتى تلقاهن مصادفة فى الأندية الليلية مثل « القاعة الزرقاء » وكانت ترتدى فستانا أزرق يتفق والزخرفة الداخلية للمكان وفى يدها آلة تصوير بمصباحها الكاشف تضطرب اضطرابا متصلا

وكانها ممثلة حديثة العهد بالتمثيل قد بدت على خشبة المسرح للمرة الأولى . ولقد سألتنا أن ينضم بعضنا الى بعض وحين رفعت آلة التصوير لففت خصر كاتى بيدي دون أن يلحظ ذلك أحد غير فينى وومض المصباح الكاشف ومضة ورجعت الفتاة الى الوراى شيئا .



وقال فينى : ان عقلك ملىء بالشك والشر .

قلت : ما أقصد غير أن أحتاط .

وتطلع الينا هومر كما تطلعت الينا كاتى دون أن يفهما شيئا ثم اندفعا يتحدثان عن المكسيك ، على حين أخذت أنا وأوسكار نتحدث عما تعرضه المحال التجارية وأخذت أقدم الشراب مضطرا لهومر حتى يعود اليه شيء من الهدوء والاطمئنان جسما ونفسا فلقد كنت أرى أن عناءه المكبوت يمضى عنا شيئا فشيئا اذ كان كلما لعب الشراب بعقله زاد اعجابه بالممثلة كاتى أو قل اعجابه بما تهوى وبغرامها بعلم طبقات الأرض . ولقد رأيت

السيناتورة فاي سمرنوت تجلس طيلة هذا الوقت وبيننا وبينها مائدتان «  
غير أنى لم أرها الا حين أخذت تسعى اليها وكأنها الحية الرقطاء لا تخرج  
من مكنها الا حين تنهياً للوثوب واللدغ .

وأكاد أجزم أنه ليس ثمة مواطن في هذا البلد من أقصاه الى أقصاه  
طولا وعرضا لا يعرف عضو الكونجرس فاي سمرنوت ، فلقد كانت وهى  
فى التاسعة عشرة من عمرها أجمل فتاة فى نيويورك ، وحين أدركت  
الخامسة والعشرين كانت أكثر نساء لندن جاذبية ، فلما أشرفت على  
الثلاثين كانت أكثر مطلقات جزيرة رودس أنيقة ، وأخيرا حين بلغت الخامسة  
والثلاثين تزوجت رجلا من كبار رجال المال ، وأمست بذلك أذكى نساء  
العالم وأغناهن وأجملهن أو قل كان هذا هو ما تعتقده هى على أقل تقدير .  
وما كاد زوجها الثرى يلقى حتفه حتى غسلت أصابعها الجميلة فى بحيرة  
السياسة العكرة . وما أن مر وقت قصير حتى أصبحت عضوا فى الكونجرس  
يشار اليها بالبنان . ولقد أخذت فاي سمرنوت تنظر الى هومر نظرة صريحة  
فاحصة ، ولكن هومر لم يصرف عينيه عن « الاطار » .

ونهضت فاي ومرت بنا ونحن على المائدة شامخة بذقنها فى تكلف علها  
تستر تلك التجاعيد التى قد ارتسمت على عنقها وأغضت فى مرورها عن  
« الاطار » ، وكأن لم تكن جالسة مكانها ، وأومات برأسها مشيرة  
وابتسمت لهومر من قبل أن تدنو منه دنوا يتيح لها أن تسمعنا ما تقول  
دون أن يسمعها جالس من الجالسين الى الموائد القريبة واذا هى حين تبلغ  
المكان الذى اختارته تقول :

— يا لها من غيبة تلك الحمقاء !

عندها هبت « الاطار » من مقعدها وكأنها اللبوة ، ولكن أوسكار  
خف اليها يجذبها فجلست . وكانت فاي قد بلغت الباب والذى أعرفه أنها

كانت تعاني ضيقا كبيرا وحرجا شديدا . وغدت يدا هومر المعروقتان  
تختلجان وأخذ وجهه يمتنع .

وتحدث إليه أوسكر قائلا :

— الا ما أجمله من عمل وأيسره هذا الذى ستضطلع به ! انه نعم

العمل حقا !

وأجابه :

— أراك تغبطنى على ذلك وتحسدنى من أجله .

ووقعت على قائمة الحساب وأخذت بيد هومر الى المصعد وصحبته  
الى غرفة نومه حيث عاوتته على خلع ملابسه ودفعت به الى الفراش بعد أن  
وضعت فى فمه بضع أقراص من الاسبيرين وبعد أن هيأت له قلسين من  
كربونات الصودا .

رباه لقد برزت قدماه فجاوزتا الغطاء . ترى ما أنا فاعل لأحول بين  
قدميه وبين أن تجاوزا الغطاء؟! أجل ليس فى مقدورى أن أفعل شيئا .

## الفصل السادس

وحين استيقظت صبيحة اليوم الثاني وجدت رائحة القهوة تشيع في الحجرة فخيّل اليّ باديء ذي بدء أنني في منزلي وأن زوجتي قد أيقظتني. لكنني لم أسمع قرقرة القهوة في الاناء ، ولم يطرق أذنيّ صوت المذياع ، ولم تمسك زوجي بأذنيّ مداعبة وكان ذلك شأنها معي عندما يحين وقت ايقاظي . وظلت رائحة القهوة النفاذة تملأ أنفي . ففتحت عيني وهملت أن أنادي مارج ، ولكن سرعان ما تبينت أنني في الجناح المعد للسيد آدم وأن ثمة شيئاً جديداً قد أضيف إليه . لن أكون منصفاً ان وصفتها على حالها التي بدت فيها لأول وهلة ولكنني سوف أصفها على حالها التي عرفتھا عليها فيما بعد : انها جين زيتر ، وقد كانت في الواقع فتاة غريبة لأنها لم تكن جميلة جمال « الاطار » أوفاي سمرنوت أو مارج . بل كان جمالها الكامن في روحها والذي تفيض به نعومة بشرتها ويتمثل في رشاقة قدها يفوق هذا الجمال الذي ينطق به مظهرها ولقد كانت مثالا للعاملات النشطات ، ومن عجب أنها كانت تبدو كأنها من الحملات اللاتي اعتدن رفع الأحمال الثقيلة في سرعة فائقة ، كان يروعك منها مع ذلك هدوء واتزان وعزوف عن الصخب ، همها الأول والأخير هو عملها . كانت ضئيلة الحجم بشكل عام ليس لها حظ من طول ، يروعك منها هذا الهزال الذي أصاب مواضع من جسدها . كان من حقها أن تبدو مليئة وما كانت ثيابها بالتي تنكر عليها نظافتها ، وكانت تضع على عينيها منظاراً سميكا فتراءيان به وكأنهما أكثر سعة واستدارة وتبدو هي بهما كأنها منعورة .

وهى على هذا لم تكن على موهبة ترقى بها الى مقام مساعدة لمساعد الرئيس ، وما كانت غير موظفة صغيرة بين هذا العدد الحكومى الكبير ، وكان عملها لا يعدو دفع عجلة الأمور أشبه بالزيت للآلة ، فانه حين يجف هذا الزيت المساعد على الحركة مع مرور الوقت يلزم استبداله وتغييره حتى لا يعلوه الصداً وذلك دون حاجة لأن يعرف انسان شيئاً ما عن اصلاحه أو الاتته اذ غاية ما هنالك أن يسير دولاب العمل فى دقة ونظام .

وحينما نظرت اليها دهشاً أتساءل عن سر وجود أثنى غريبة فى غرفتى سعت الىّ حاملة قدحا من القهوة وهى تقول :

— أعتقد أنك تتساءل من أكون ؟ أنا جين زيتر مساعدتك . ولقد وجدت المكتب مليئاً بالأوراق والملفات ، الشئ الذى يحول بين السيد سميث وبين دخوله . فأثرت أن أقفل المكتب اليك .



وقلت لها :

— ما أجمله من شعور أن ينتقل المكتب الىّ ، ( وزدت مضراً ) ان الشئ الذى أحس معه الراحة دوماً أن يكون المكتب أمامى وقدح القهوة

في يدي ( ومضيت أقول ) : غير أنني لا أرى أن هناك ما يدعو لأن يكون لي مكتب خاص ، فإني كمتارين لا أمر لي ولا نهى في المؤسسة القومية لاعادة الاخصاب ، وما أنا الا أحد كبار المرضين .

ونظرت جين الى منامتي الحمراء بعينين مرتاعتين وقالت :

— لكن ترى اذا مضت الحال على هذا المنوال ولم يكن لك مكتب خاص ، أيكون في مقدورك أن تجيب على البريد اليومي والبرقيات وأن تملئ مذكراتك ؟

وقلت في حزم :

— لم أمل مذكرة ما أبدا .

— ان واجبك يلزمك أن تملئ مذكرات ، فالناس الذين يرسلونك ينتظرون ردك ، وهاك بريد اليوم يمتلىء به مطروف كبير وقد أحضرته معي فقد يعنّ لك أن ترد على ما جاء فيه ، ولا يغب عن بالك أيها السيد سميث أنك في مركز لا يستهان به . ثم ان عملك مساعدا خاصا للمدير العام يتيح لك أن تحصل على نسخة من كل التقارير الهامة التي ترد الينا من المؤسسة القومية لاعادة الاخصاب ، هذا الى المذكرات المتبادلة بين المؤسسة وبين المكاتب الفرعية ثم بين هذه المكاتب بعضها بعضا ، حتى تلك الرسائل التي لها صفة السرية .

وعرفت من ملامح وجهها ومن نبرات حديثها أنها جادة فيما تقول ، وأردت أن أسايرها حتى لا تستولى عليها الظنون والأوهام فتخالني أشبه كلتزر من قريب أو من بعيد .

فقلت لها وأنا أستوى قاعدا في فراشي :

— أستمع اليّ يا آنسة زيتر . لن أكتب مذكرة ما على أية حال والى



أى انسان ما ولا فى أى موضوع ، جل أو هان . هذا عهد أقطعه على نفسى  
وانه لقسم لو تعلمين عظيم .

— آه ! أيها السيد سميث ....

— لن أفعل هذا أبدا . والله على ما أقول شهيد .

— أرجو ألا يغيب عن بالك أيها السيد سميث انك اذا لم تجب على  
المذكرات أو على الأقل لم توقع عليها فستبقى الأوراق مكدسة ، وانك  
لترى أن الواجب يملى أن تمضى الأعمال فى نظام ، ولتفرض أن السيد  
كلتزر أرسل اليك مذكرة ترى ماذا أنت فاعل ؟

— حاشا لله أن أفعل شيئا .

قلت جين فى اصرار :

— ترى لو أن السيد كلتزر أرسل الى السيد جيلمان مذكرة ليقطع  
فيها برأى أو لينفذها ثم بعث منها صورة اليك أو الى أعضاء لجنة  
التخطيط للعلم وللتوقيع فاذا أنت لم تقض فى هذه المذكرة أو تلك برأى  
فستبقى حيث هى لا غناء فيها . عندها سوف يعسر على الكتبة أن يضعوها  
مكانها اللائق بها فى السجلات والأرشيف .

— أو تظل المذكرات حبيسة هنا فى هذا المكان ؟

— أجل الى الأبد . وسوف يلاحقك قسم المتابعة ، يكتب اليك يلفت  
نظرك ويطلب منك الرد والعمل . عندها سوف تتأزم الأمور . ورجائى  
اليك أيها السيد سميث أن تفكر فى حل لهذه المشكلة فانك أن لم تفعل  
فسيظن ولاة الأمور أنى متوانية لا كفاية لى فى هذا العمل . وقد يكتبون  
عنى مالا يلىق ولا يشرف ، ومثل هذا طبعا يكون عقبة كأداء فى سبيل  
رقبى وتقديرى .

وبدت هادئة رزينة تثير العطف عليها والرثاء لها مع أنها فتاة لطيفة ودود مؤنسة ، فقلت لها :

— فلنتفق على أن توقى الأوراق والمذكرات التي ترد الى المكتب بالأحرف الأولى من اسمي ، وليكن هذا واجبك .

— ولكن ألن تقرأ شيئا منها ؟

— لا . أبدا .

— بل ان عليك حقا أن تطالع التوجيهات فهي جديرة بأن تقرأه وهذا لعمري ما يفعله كل موظف مسئول اذ هي من السرية بمكان .  
— أبدا .

فقلت وهي تهز رأسها مستنكرة ساخطة :

— يا للعجب ! ان أمر مؤسسة اعادة الاخصاب القومية لعجيب ، وانك لكذلك أيها السيد سميث رجل عجيب حقا . وما ألوم غير نفسي اذ تركت عملي في وزارة الداخلية ، هذا على الرغم من أني أحصل على ستمائة دولار فوق مرتبي لقاء عملي في المؤسسة القومية لاعادة الاخصاب التي كنت أرقب أن يكون العمل بها أكثر تنوعا وأكثر تقدما وأكثر تسلية وما خطر ببالي قط أنه سيكون على هذه الصورة الجامدة المملة .

وتنطلعت جين ثانية الى منامتي الحمراء وقالت بعد تدبر :

— هل أصابك مس من جنون أيها السيد سميث ؟ أخشى أن تسبب لنا مشاكل ؟ على أني على ذلك لن أخيب آمالك وسأبقى الى جانبك .

عندئذ ذكرت هومر ، وملت برأسي أنظر الى حجرة نومه التي كانت في نهاية الردهة وسألت نفسي هل أتخمته شرابا فأخذ يعانى القىء . وبدت جين وكأنها كانت ترانى على وشك أن أسأل عن هومر وأحواله فاذا هي تبادرني قائلة :

— لقد خرج منذ ساعة واحدة وما كنت أعرف اذا كان الخروج مباحا له أم لا . وحين سألته عن ذلك قال لى بلغة الواثق : ان له الحق فى أن يفعل ما يشاء . وما لبث أن انصرف فقلت وقد تولتتى الدهشة « الى أين ذهب ؟ »

لقد أخبرنى أن شخصا اتصل به بالتليفون وضرب له موعدا ليناقشه فى علم الآثار . غير أنه لم يذكر لى شيئا عن وجهته ، كما لم يذكر لى اسم من دعاه للقائه وكل ما قاله لى : انه مغادر الفندق ليلقى شخصا يحدثه عن الآثار . وكان يبدو منشرح الصدر يكاد يرقص طربا لهذا الموعد ، فرجل من أجله شعره وسواه .

— آه ، لقد اختطفته « الاطار » !

— الاطار ؟ !

وانحدرت من الفراش وأنا اقول :

— اديرى وجهك أو ادخلى الحجرة المجاورة فعلينا أن ندبر لما حدث .. ولقد بدا لى أنها لم توجس منى خيفة فلقد أدارت وجهها ولم تتكلف شيئا .

وارتديت ثيابى عجلا وكنت أحس فى قرارة نفسى بالاطمئنان فلقد عدت تعلق هومر « بالاطار » شيئا مشجعا فانه ينبىء بأن هومر قد عرف طريق الشفاء وأنه بدأ يطرح جانبا ذلك اليأس الذى يلازمه ، كما أخذ ينفذ عن نفسه غبار الكسل ويخرج من تشاؤمه . وانى على ذلك كنت أرى ألا حرج عليه فى أن يخرج مع « الاطار » وفى أن تصحبه مادمتنا نأمن العواقب الوخيمة .

وعلى أية حال فقد كان واجبا علىّ أن أحول بين أدعياء الصحافة فى هوليوود وبين أن يستخدموا اسم آدم فى الدعاية « للاطار » ، وأدركت

ألا ضير في أن يهرب آدم مع « الاطار » ينشد الراحة والمتعة على أن نأمن  
النشر والدعاية لنأمن التعويق والتخلف ونأمن ألا يفلت الأمر من أيدينا .  
واتصلت بنادى الصحافة وسألت عن أوسكار فينى وطلبت اليه راجيا  
أن يكلمنى بالتليفون ، وحين تم ذلك قلت له :

— ان طفلك المدللة قد استأثرت بولدى هومر ، وانه لعمل غير نبيل .

— ربّاه .. ! الى هذا الحد انتهى بها الأمر معه .

لقد جهدت في أن أتصل بها الصباح كله لأنى راحل الى نيويورك .

— ما أسوأ ما تعلم عنها وكأنك على علم بالمكان الذى ذهبت اليه  
« الاطار » .

— كلا . صدقنى يا ستيف حقا انى لا أعرفه .

ونمت لهجة حديثه عن الصدق فقلت له محذرا :

— لا تحاول يا أوسكار أن تخفى الحقيقة عنى أو أن تخدعنى

وتنتصر لآدم ، فهذا أمر له خطره . فلا تزد الامور تعقيدا ، فأنت تبغى  
الدعاية فحسب .

وبقى لحظة حائرا قبل أن يجيب ثم قال :

— سأصارك بكل شيء دون مواربة : قد طلبت الى كاتى أن تصل

حبلها بآدم لتجد السبيل الى أوج المجد وبقيت تلحّ على أياها عدة لأحقق  
لها هذه الأمنية . ولقد فكرت في هذا ورأيت الخير في ألا أجيها الى  
ما طلبت . وحين رأيتك مع آدم أوحى الىّ هذا بأن أحقق لها ما فكرت  
فيه لا لشيء سوى أن كاتى منذ الآن ستجد أسماها لامعا على الشاشة بله  
الصحف ، ومن المحتمل أن يكون لهذا أثر عند النساء خاصة فهن لا يأنسن  
لها كثيرا لأسباب عدة بيّنة حين تبدو راغبة في أن تستأثر بالرجل الفرد على  
ظهر الأرض وما من شك في أن ذلك سيجعلها بمعزل عن الشعب .

وما أظنك الا رأيت كيف كانت حال المثلة الهاوية بورجيا ، وكيف بذلت جهودها لتجتذبه اليها ، لقد طلبت الى « رايدل » الابتعاد عنه محذرة اياها بأن انتزاعها آدم لا يقل شأنًا عن سلب خزانة الولايات المتحدة ، هذا الى أنه سوف يكون ذا أثر يسيء الى دخل المسرح التي تعمل به فاستجابت لها ، واذا كانت قد خرجت معه كما تقول الآن فلسوف يكون هذا شيئًا جديدًا على مشيرالى . ألا تدرى أين ذهبا ؟

— لا علم لى بذلك على الاطلاق . ( ثم مضيت أقول ) : لا يسؤ فهمك بى ، فما أبالى أكان هومر يلقي كيتى أو كاتى ما بقيت المسألة لا تجد سبيلها الى الصحافة ، ثم ان هذا أمر يفيد هومر .  
وقال أوسكار يسألنى :

— ألم تر فى حياتك قط نجمة حديثة حاملًا ؟  
وقلت أطمئننه :

— لا تقلق فان هومر حيتى لا يقترف ما يشين ولن يقع منه شىء من هذا .

— ان رايدل ليست مبرأة من الخطايا وقد يوسوس اليها الشيطان ، فالنساء فى هذه الأيام يصدرن عن حماقة وطيش . ولقد كانت المترددات على شاطئ البحر لا يحرصن فى الماضى على الحمل مخافة أن يشوّه جمال مظهرهن ، لما كان فى وسعهن أن يحملن من أزواجهن بغير عناء أبدا . أما اليوم ، وقد استحال الحمل عليهن ، فانهن يردن انجاب أطفال .

— سوف أحمل وحدى عاقبة ما يقع لهومر ، بل انى لأرى من واجبى أن أهيبء نفسى لتحمل النتائج فى أمانة . لقد أتاح لى عملى الصحفى الفرصة فى أن أرى الكثير من الناس فى الحياة وهم يحملون الأعباء الجسام .

لم يكن من العسير الاهتداء الى مكان آدم ، فهو كما قلت لم يعد ذلك الانسان الذى يغيب في غمرة الناس في يسر . ولقد ذكر لى حارس الفندق أن السيد آدم استقل سيارة وأنه سمعه يطلب الى سائقها أن يحمله الى مؤسسة سميثسونيان . عندها سألت جين عن السبب الذى دعا آدم الى أن يقصد الى هذا المكان فذكرت لها حديث علم الآثار الذى ربط بين آدم والاطار . وما أن وصلنا الى مؤسسة سميثسونيان حتى قصدنا دون ابطاء الى مبنى أمريكا الجنوبية الملحق بها . ولقد صدق حدسى اذ وجدت هومر والفتاة جالسين هناك على مقعد حجري يكاد شعرها الأصفر ينسدل على كتفه وهما يتطلعان الى معبد أثري منحوت فى الصخر وعلى الجدار القائم خلفهما قناع من الخشب ذو أنياب تتخلع لها قلوب اليافعين من الشباب .

وكان لكاتى من الذوق فى اختيار ثيابها ما يبرز قوامها البديع فى كل ما ترتديه وها هى ذى تبدو فى عيني وكأنها أكثر طالبات كليتها أناقة . وما أذكر على التحقيق أى شىء كانت ترتدى غير هذا الحزام العريض والتنورة التى تبرز بريقه فرأيت فيها ما أرى فى طالبات الجامعة تجمع بين مظهرهن وبين عنايتها الخاصة بدراسة علم الآثار .

وقصت اليهما وحييتهما قائلاً :

مرحبا بكما ، ان كنتما تبغيان العزلة فانى لآسف حين أشير عليكما  
بمكان غير هذا أكثر أمناً ( وأشرت برأسى الى القناع ) .

وقد ضاقا بما كان منى وانبرى هومر يقول لى محتجاً :

لا أخالك تبغى الامعان فى التضييق علىّ يا ستيف كما فعل فيلبس  
سمايث . أليس كذلك ، وما أظنك قد نسيت أنك أبحث لى أن أفعل  
ما أشاء .

وقلت أسكن من روعه :

— حقا يا هومر وكل ما أرجوه منك هو أن تكاشفنى بما يقع هنا  
مكاشفة حقيقية ، ثم اترك رحلت ، وبدأت جولتك دون أن أعرف لك  
مقرا أو مكانا ، وقد يسيء الناس فهم ما تفعل ، وقد يقتضى رجال الشرطة  
الحربية والشرطة السرية والمخابرات أترك ، كما لن يرضى عمك هذا  
آبل وسوف يثيره تهورك ويزعجه .

وقالت « الاطار » :

— لقد كانوا يقتفون أثرنا ، أقول ذلك وكلى ثقة .

— أواثقة أنت حقا ؟

قال هومر :

— الثقة كلها .

— ومن كان يقتفى أثركما ؟

— لا أدرى . لقد رأت كاتى شخصا ما فى بادىء الامر لم أتبينه أنا في  
وهو الآن فى مكان ما بهذا المبنى .

— لتطمئن يا هومر فسأتولى أنا هذا الأمر عنك وما دمت لا تورط  
نفسك فى مشكلة فلا تكخس أحدا ولا توجس خيفة فالناس لا يدخلون  
بينك وبين انشغالك البرىء ببعض الأحجار القديمة وصناديق الجثث  
المحظة .

وبدأ القلق يساور جين زيتر وقالت :

ان رأيك هذا لصحيح غير أنه على من وكلت اليه مهمة المخبر والدليل  
ستكون عاقبة ما يقع لنا .

ورأيت جين وكاتى تنظر احدهما فى وجه الاخرى وكأنهما زوج من

القطط البرية ، ولقد تذكرت أنى لم أقدم أحدهما الى الاخرى وسألت  
سؤالا عابرا :

— وما الجديد اليوم فى الآثار القديمة ؟

وأجابت « الاطار » فى فتور وهدوء :

— لقد كنا تناقش أسطورة « تزكاتلى بوكا » وأن لم يعد العصر الحاضر  
يجيز اطلاق اسم الاسطورة عليها بعد أن أيدت الادلة وبرهنت الحقائق  
على وقوعها فعلا .  
قلت :

— ما من شك فى أنها أسطورة شائقة .

قالت الاطار :

— انها لكذلك حقا فى نظر هومر التعس الذى يرى أنه قد فرض  
عليه أن يعيد تمثيل دور تزكاتلى بوكا .  
عندها انفجرت شفتا هومر عن ابتسامة كئيبة على حين ظلت عيناه تفيضان  
شجنا وقال : نعم ... نعم ان هذا صحيح .

ثم أطرق هنيهة وأخذ بعدها يقص علينا تلك الأسطورة :

— كان من بين الطقوس الدينية الغريبة لشعب الأزيك فى تمجيد  
الرب تزكاتلى بوكا اله الاخصاب والايجاد أن يختار كل عام شابا يمثل  
هذا الرب ، وكانوا يخلون بين الشاب وبين الاستمتاع بالملاذ على  
اختلافها وبمظاهر الأبهة والجاه والرخاء عاما كاملا يلبسونه فيه أفخر  
السياب ويقفون على خدمته خدم الملك المختصين به ويجعلون من حوله حاشيته  
ويركع الجمهور بين يديه اذا رآه ويتملك أربع عذارى فائنات تسمى  
كل منهن باسم آلهة ولو دعا اليه غيرهن لهرعن اليه زرافات ووحدا . وعلى هذا  
النحو تمضى الحياة عاما غير منقوص ، وحين يبلغ العام نهايته يساق الفتى



الى قمة أعلى هرم عندهم ثم يلقى به عاريا فوق صخرة الأضحية الشبيهة بتلك الصخرة المائلة أمامه . بعد هذا ينهض أحد الرهبان في ثياب حمراء فيشق صدر هذا الفتى بسكين وينتزع قلبه ثم يرفع هذا القلب عاليا على رأس السكين صوب الشمس وبعدها تلقى الجثة الى سفح الهرم . أو أتدرى بعد هذا ما هم فاعلون به ؟ انهم يأكلونه .

قلت :

لا تقلق كثيرا يا هومر لهذا الشطر الأخير من الأسطورة فهم اذا فعلوا بك مثل ما كان ذاك الشعب يفعل بأولئك الشبان فسوف لا يجدون غير بضعة عظام لا تكفى لغير حساء واحد ، ولكن صدقنى انهم لن ينالوا منك شريحة واحدة من اللحم .

وانت « الاطار » الى آدم تقول :

— ولكنى أومن أن هومر يحمل ما يغنى وانكم لجاهدون فى تسمينه كى تفيدوا منه ، انكم جميعا بلا استثناء تفعلون به ذلك ، انكم تريدونه لحاجة فى نفوسكم .

قلت : أتؤمنين بالتلقيح الصناعى يا آنسة رايدل ؟

قالت : أومن به نظريا فحسب ، فعلى الجنس البشرى أن يبقى . (ثم فطرت « الاطار » الى جين زيترو ومضت تقول) : ما أرى القوم يرعون شعور آدم أدنى رعاية ، على أنى الا أجد أحيانا ما يدعو الى استمرار هذا الوضع ، كما لا أخال القوم ينظرون الى الأمر فى جملة النظرة الفاحصة الواجبة .

وقلت لها قول المؤمن بما تقول :

— هذا صحيح وما أشك فى أن هومر يضيق كثيرا ، وبوسعك أن

ترشديني الى وسيلة أخرى غير التلقيح الصناعي نصل بها الى غرضنا ،  
اذا أردنا للجنس البشرى البقاء والاستمرار .

— أجل أجزم أن هذا في وسعي .

عندئذ رجوتها في أن ترجيء المناقشة الى وقت آخر ، وتواعدنا أنا  
وهي وهومر على أن نلتقى مع العشاء . وتركتهما تصحبنى جين زيتر  
لأهبيء لهما فرصة يفرقان فيها في تأملاتهما وفيما رأياه في أمريكا الجنوبية  
القريبة منا .

وفي عصر ذلك اليوم أفلحت جين زيتر في اقناعي بأن أذهب الى مكتبي  
حيث وقعت على بعض المذكرات . وقد كان هذا المكتب حقا جديرا بي ،  
بوصفي مساعدا خاصا للمدير العام للمؤسسة القومية لاعادة الاخصاب ،  
والشئ الذي دهشت له كل الدهشة أنى وجدت الرسائل والبرقيات تنهال  
على مكتبي كالسيل خلال تلك الساعات القليلة التي قضيتها في واشنطن،  
وبينما انهمكت جين في أداء واجبها وتنسيق أوراق المكتب والسجلات ه  
أخذت أنا أقرأ شيئا مما جاءنا من هذه الرسائل .

وكانت بين الرسائل رسالة من السناتور فروجهام يهئني فيها بمنصبى  
ويفصح لى عن أمله في أن يسدى الى بعض العون فيما لو عرض على  
المجلس مشروع قانون بمواصلة العمل في الخطة التى وضعتها المؤسسة  
القومية لاعادة الاخصاب ، ولقد أراد بهذا أن يشير الى أن مشروع اعادة  
الاخصاب لا يمكن أن يبقى متصلا الى الأبد باعتماد رئيس الجمهورية له  
وحده . ( ومضى يقول ) : « ان كثيرات من مرشحاته من النساء قد كتبن  
له عن أملهن في أن يحملن بالوسائل الصناعية عن طريق السيد آدم » .  
ثم أفصح لى عن شعوره بضرورة النظر الى ما سوف تحتاج اليه دائرته من

لقاح ، وذلك عند البدء فى تنفيذ المشروع وتعرف أى المناطق أولى بالسبق من الأخرى .

ولقد تلقيت بالبريد المسجل رسالة أخرى طويلة منمقة العبارة بعث بها رئيس مجلس التأمين القومى ، وبدأها بقوله : « ان البلاد على شفا الخراب فالناس منصرفون عن التأمين بعد أن فقدوا أملهم فى انجاب ذرية تخلفهم » . وأوجس خيفة من بقاء تلك الحال على ذلك المنوال وما سيتبع هذا الكساد من فصل آلاف من العمال والموظفين من شركات التأمين ، ثم من افلاس الشركات كلها ، وما سنجده من تضخم مالى وكساد عام ، وستكون الطامة الكبرى عندما تنشأ أزمة مالية تهدد اقتصاد البلاد ، عندها ستكون اللعنة قد حقت علينا . وفى رأيه أن الحل البين لهذه المشكلة أن يكون لنا رأى سديد نعمل على تحقيقه فلا يسمح للناس كافة بأن يكون لهم أطفال من آدم على السواء ، وانما يقتصر فى ذلك على الذين يشاركون فى التأمين على مستقبل أولادهم من صلب آدم ومن يحملون عقود تأمين ، وعلى كل أسرة سبق لها أن طلبت الحصول على نطفة من نطف آدم أن تحصل على عقد من شركات التأمين على أية صورة كانت نتيجة هذا اللقاح . وبهذا وحده نملك القدرة على تجنب تلك الأزمة المحققة .

وأرسلت الغرفة التجارية الأمريكية بريقة تستحث مؤسسة اعادة الاخصاب لتصدر نشرة رسمية فيها الضمانات المقررة التى تبعث فى نفوس الناس روح التفاؤل والاطمئنان على صحة آدم وعلى سلامته ورغده ، فحين تشيع الشائعات عن مرض آدم أو عن حدوث الخلافات فى المؤسسة القومية لاعادة الاخصاب أو أنه ليست لآدم الكفاية فى الاخصاب الصناعى

حين يشيع هذا كله تتضاءل الضمانات المالية وتهبط وتتهار ، ومن رأى  
الغرفة التجارية أن على كل انسان أن يعيش متفائلا .

ولقد أرسلت اللجنة التأسيسية للصناعة كما أرسل اتحاد العمال  
الأمريكي مذكرات تكشف عن ثقتهما في أن الاتحاد النسائي سوف  
يحافظ لأعضائه بحقهن حين يحين الوقت الملائم لتنفيذ مشروع التلقيح  
الصناعي . وهو ان لم يفعل هياً السبيل لخطر مؤكد ملموس في أن يغدو  
أفراد العالم من الرأسماليين وحدهم .

كما جاءت رسالة من الجمعية اليونانية تؤكد ان السكان قد هبط  
عددهم هبوطا شديدا وذلك لكثرة ضحايا الحرب وذكرت الرسالة في ايجاز  
تلك الخدمات الجليلة التي أسهم بها اليونان من أجل الانسانية ، والتست  
أن يكون لها سبق عند النظر في حقوق الأمم الصغيرة .  
ولقد طلب هذا الطلب ذاته البولنديون والجامعة الاسلامية والأرمن  
وجمعية بنات الثورة الامريكية .

يندر — على وجه الاجمال — أن تكون هناك جماعة ، في ركن من  
أركان العالم مهما كانت صفتها أو هيئة من الهيئات التي كان لها ممثلون  
في واشنطن خاصة ، لم تدل بالحجة بعد الحجة لتستأثر لنفسها وقبل  
غيرها برعاية المؤسسة القومية لاعادة الاخصاب .

ووسط هذه الدوامة وجدت أنني قد أصبحت هدفا لهؤلاء المتسكعين  
في الردهات وقاعات الانتظار الذين يتسقطون الأخبار . أجل، لقد أصبحت  
هدفا منتقلا بين هؤلاء وهؤلاء من جماعات وجماهير لا حصر لها — أقول  
لقد خلتنى بعد اعلاني بوظيفتي الجديدة هدفا مسلوب الوعي والارادة  
من تلكم الأهداف التي يتدرب عليها المبتدئون في فن الرماية . على أنني  
مع ادراكي حقيقة أمرى آثرت الرضوخ والاستسلام ، الى أن تنتهي هذه

المهمة التي هي غرس نبت آدم في كل مكان مهما حملت في سبيل ذلك من همّ أو نصب .

وفي عصر ذلك اليوم أفلحت جين زيتر في اقناعي بأن نذهب الى مكتبي، واندفعت أمامي تشق الطريق وسط أكوام من الأوراق الحمراء، والخضراء والزرقاء ، وحين جلسنا الى المكتب أخذنا نعد التقارير وعلى حين فجأة التفتت جين الى وصاحت بي :

— انها ترمى الى شيء ليس في مقدوري أن أبلغ كنهه ولا أن أتبينه .

— من هي ؟

— تلك الفتاة « الاطار » ، يا لها من ماهرة ماهرة !

فقلت قول المؤمن بما تقول :

في الحق انها لبارعة ، غير أن أغراضها كلها واضحة وضوح الشمس في رابعة النهار : انها تشد هومر آدم . ومن: من النساء لا تشده ولا تهواه ؟ انه حلم كل أنثى ، وان النساء جميعا لأنانيات . وهل أدل على ذلك من تلك المجموعة الكبيرة من الرسائل التي جاءتني منهن ، وما عليك من ضير في أن تتركه « للاطار » ، انها تخرج للقائه منفردة دون أن تكتب لنا شيئا يكشف عن غرضها من ذلك ، هي وحدها دون غيرها من نساء العالم تعد نفسها صاحبة الحق في الاستئثار به ، وأن لها الخطوة الأولى في قلبه وهذا ما يحفزها الى انتزاعه معتمدة على ما للمبادأة والمبادرة والصحة والملازمة من قوة .

وهزت جين رأسها منكرة وقالت :

— كلا ! لست معك على رأيك ، قد تكون مخطئا ، وفوق ذلك فانتى

أشك في كل ما تفعله ، واني لأومن بأنها صنيعة للشيوعية ولا عجب فهوليوود تكتظ بالشيوعيين والشيوعيات ، أليس كذلك ؟ ماذا ترى ؟

— لست أدري على التحقيق ، على أنى أومن كما تؤمنين أن واشنطن تعج بالشيوعيين ، وقد تكونين أنت شيوعية على الرغم من أنى أعرفك حق المعرفة .

— ولكن « الاطار » هذه ممثلة ، وما من شك فى أنها تجيد تمثيل دورها المسند اليها فى مؤامرة محبوكة الأطراف ، فلقد دأبت على أن تستدرج آدم الى الردهة الزرقاء ثم تبدأ هجومها ، انها تعرف ناحية الضعف فيه ، ألا وهى علم الآثار ، انها خطة كاملة .

— لا تدعى هذا يقلق بالك . فان لهومر زوجة جميلة فى تارى تاون . ليتك سمعته بالأمس حين كان يتوسل الى أن أمكنه من رؤيتها !  
وقالت وكأنها تتنبأ بما سيحدث :  
— لن تراه بعد يتوسل اليك .

ومضت أيام وتحققت فراسة جين فلم يعد هومر يذكر مارى الين وأخذ يوماً بعد يوم يصطحب « الاطار » الى حدائق الازتيك فى الجناح الخاص بأمريكا الجنوبية ، ويقضيان ساعات طويلة بين أكداس الكتب فى مكتبة الكونجرس وفى الطابق الارضى الذى يحوى السجلات والمحفوظات وفى قاعات المطالعة المعتمدة بمكتبة المجموعة الأسبانية . وفى الحق لقد كانت تلك الصحبة تبدو شيئاً مألوفاً لا يعدو أن يكون زمالة ثقافية ، وكنت أراها أنا شيئاً غير ذلك . وعلى أية حال فقد لذت بالصمت ولم أشأ أن أعوق هذه الصحبة فلقد رأيت هومر يخطو الى ما فية الخير له نفساً وروحاً ، ولم يعد يغشى وجهه هذا الاصفرار الذى يغشى وجوه الموتى ، وزاد وزنه أرتالاً ثمانية خلال أسبوع واحد وما كان لك أن تتبين هذه الزيادة فى شكل آدم العام وهى موزعة بين طوله وعرضه .

وعلى حين كانت صحبتها خلال النهار تدور حول البحث عن مناهل

الثقافة الأزيكية ، فلقد كانت هناك أمور أخرى يشغلان بها صحبتهما في المساء ؛ فلقد كانا يخرجان معا كل ليلة وكان هومر يفضى الى بصراحة أين يقضيان سهرتهما التي لم تكن تخرج عن نطاق ملهى « فوت لايت » وهو ملهى صغير في شارع « كوتتكت » طلباته طيبة وزهيدة الثمن ، قد هيا لزواره الفرصة للرقص والاستمتاع بالأوركسترا . ولقد رضيت هذا مخافة أن تجره « الاطار » الى دور اللهو الكبيرة المعروفة فيلتفت الناس اليهما وتخوض الصحافة في حديثهما .

عاد هومر ليلة بادى الهم والقلق ، فلم أحاول أن أستدرجه ليذكر لى شيئا بل تركته لنفسه يخبرنى اذا ما عن له ذلك وأخذنا نلعب الورق . ولعب هومر دورين وبقيت حاله كما هى مروعة مفزعة ثم جلس جلوس من نالته ضربة على رأسه أفقدته وعيه ثم نهض يصب لنفسه كأسا من الشراب والتفت الى يقول :

— ستعود كاتى غدا الى هوليوود .

فقلت وأنا أسرى عنه :

— هذا شيء يثير الأسى ولقد كانت تملؤك عزاء وسلوى .

وأخذ هومر يداعب شعره بأصابعه وكانت يده وهى تخرج تنبىء بالحيرة والفرع .

ثم قال بعد أن ازدد شريحتين من اللحم :

— أفى مقدور الرجل أن يجمع بين حب امرأتين معا فى وقت واحد

يا عزيزى ستيف ؟

— كثيرا ما وقع ذلك .

— أعتقد أننى أحب كاتى .

وكان العرف يقتضىنى أن أهنته اذ كان ذلك هو الرد على كل من

يصرح بحبه لامرأة ، غير أنى لم أملك أن أفعل هذا مع هومر وحده ، لم أملك أبدا أن أهنته فالأوضاع المحيطة به عجيبة ، وانى لعلى علم تام بها ، فلم أجد غير الصمت المطلق ألوذ به ومضى هومر يتحدث :

— أجل انى أحب كاتى كما أنى أحب مارى ايلين أو لعل هذا هو الواجب على نحوها فهى لم تزل زوجتى . ولقد كنت أخالنى الى اليوم أحبها وحدها ، ولكنى أجد حبى لمارى ايلين يخالف حبى لكاتى .

قلت له : حقا ؟

— أجل ! ما أظننى تزوجت مارى الين الا لأن كلينا كان يحس الوحدة والوحشة . كنا وحيدين نهيم فى عالم ينعم فيه كل انسان بأليفه ولكنى لا أحس هذا مع كاتى ، لقد خلق كل منا للآخر وليس هو علم الآثار وحده الذى يربط بيننا .

— ما أندر أن يكون علم الآثار طريقا للحب !

وأخذ هومر يذرع الغرفة جيئة وذهابا ثم قال :

— ليس علم الآثار وحده ( وأضاف ) بل كل شىء فى الوجود : لقد خلق كل منا للآخر .

— ولكن حدثنى كيف طالعتك هذه الفكرة ؟

— صرحت لى كاتى بذلك فاننا لم نذهب الليلة الى ملهى «فوت لايت» بل ذهبنا الى غرفة كاتى بفندقها .

فقلت له :

— استأذنتك لحظة .

ودخلت الى الحمام وخبطت رأسى فى الجدار ، وبعدها عدت ورجوت هومر أن يحكى لى القصة فى تفصيل وصدق ، فتلعثم قليلا وارجع عليه



بعض الشيء وجعل يقطق أصابعه وعلت وجهه حمرة الخجل واذا هو يقول أخيرا ان «ما بينهما قد جاوزا المعقول» وان له العذر في ذلك .

— حدثني يا هومر . هل نالتك قسرا عنك ؟ أتراها فعلت ذلك بك ؟

— حسنا ، ليس هذا بالضبط . انى فى شك من أمرى فما وقع لى شىء مثل هذا من قبل ، لقد مضت لحظة كنا نتحدث فيها عن أسطورة التلتك<sup>(١)</sup> ثم اذا بنا فى اللحظة التى أعقبتها عريائين .

فثرت وعنفته بكلمات قاسية كنتك الكلمات التى تجرى على لسان الأمهات لبناتهن وعلى لسان الآباء لأبنائهم وعلى لسان الأزواج لزوجاتهم وقلت له :

— ان هذا لهو الخجل بعينه فيما يبدو لى يا هومر .

وأجاب هومر مهموما :

— قد يكون ذلك نست أدرى ، فانى مبلبل الفكر .

وأخذت بذراع هومر أقوده الى مقعد مريح ، وجلست أمامه واضعا يدى على كتفيه ، وأخذت أحملق فى عينيه وكأنى اخصائى يقيس البصر وقلت له :

— ما اخالك سترتاح الى ما سأقوله لك يا هومر ، غير أنى أرى لزاما

على أن أكشف لك عن كل شىء ، وأن أصارك بتفصيل الأمر كله .

— فلتعجل اذن .

---

(١) Toltec شعب يرد ذكره مرارا فى أسطورة الازتيك على أنه كان يسود منطقة وادى المكسيك ، واليه ترجع الآثار الباقية فى تولا ، على أن أهم آثارهم توجد فى سان خوان ديتوتيهواكان ، على ثلاثين ميلا شمال شرقى مدينة مكسيكو . وقد بلغوا أوج ازدهارهم حوالى سنة ٩٠٠ بعد الميلاد وبدأ اضمحلالهم حوالى سنة ١١٠٠ بعد الميلاد .

— آن لك يا هومر أن تعرف أنك من الرجال القلائل الذين آثرتهم  
العناية الالهية ليحملوا أعظم تضحية عرفها الجنس البشرى ، انك لرجل  
عظيم حقا ، وليس ثمة انسان يقوى على أن يلوم فيك مشاعرك المضطربة  
بين جوانحك ، وانه القدر الذى شاء أن يجعل منك ضحية عظمى ، مثلك  
فى ذلك مثل الاله الأزيكى ما أسمه ؟

— تزكاتلى بوكا

— استمع الى يا هومر ! فما عرف تاريخ البشرية منذ بدء الخليقة  
رجلا ضحى هذه التضحية التى خلقت أنت لها ، ان عليك الآن أن تعرف  
واجبك الأول ، وأن تؤدى رسالتك كاملة من أجل البشرية ولك بعد هذا  
أن تفكر فى زوجتك وفى ابنتك ثم لك بعد هذا كله أن تفكر فى كاتى . وفى  
يقينى أنك فى غير حاجة الى أن تدرك العواقب الوخيمة التى تعرض لنا  
فيما اذا عرف الجمهور صلتك بكاتى .

— أعلم هذا ، أعلمه حق العلم وأقدره التقدير كله ، غير أن كاتى  
لا تقوى على أن تقدر موقفى حق قدره فهى تدعونى الى الفرار معها .  
— الفرار ! الى أين ؟

— انها لم تخبرنى بذلك . ولقد قلت لها اننى لا أملك أن أفر وليس  
فى وسعى أن أقدم على هذه الخطوة ، فعلىّ واجبات عدة ، ولكنها طلبت  
الىّ أن أعاود التصكير فى الأمر وهى تقول انها مؤمنة بأن كلا منا قد خلق  
ليعيش الى جانب الآخر . ليعيش معه الى آخر العمر . وقالت انها ستدعنى  
أفكر وأنها سوف تنتظر منى الجواب .

— وماذا قلت لها ؟

— أى شىء عندى أقوله ؟ لقد قلت اننى سوف أفكر .

وملكت أنفاسى من جديد أو أقول تمالكتها ، والتفت الى هومر أقول له  
فى رفق :

— فى الحق أنك سديد الفكرة . انك كنت نبىلا فيما فعلت ه ولقد  
محوت صفحة عار كنت ستكون كاتبها فى صفحات التاريخ أو من بين من  
يكتبونها .

وفى تلك الليلة جلست ساهرا وحيدا أفكر فى تلك المشكلة تفكيرا  
هادئا رزينا جادا ، ومر بيالى أن ثمة رجالا آخرين غير هومر لو كانوا فى  
مكانه لضربوا للعالم المثل السىء فى الحمق والطيش ه ولانحرفوا عن جادة  
الصواب والعقل وشرعوا يجددون خصوبتهم على هواهم كما يحلو لهم .  
غير أن هومر كان مهذبا ، وكان يحمل روحا اجتماعية شعبية تنطوى على  
محبة الناس جميعا ه ثم انى لم أفهم حق الفهم مسلك « الاطار » ، وهى  
التي عرفت بذكائها الخارق ، كيف انها عاجزة عن التخلى عن التفكير فى  
الحياة مع هومر . ثم أتراها قادرة على أن تحقق ذلك ويفران معا خارج  
البلاد ؟ ان التفكير فى ذلك يقلقنى .

ولقد تبينت أن خير شىء أفعله للمحافظة على هومر ولكى يحتفظ  
هومر بهدوئه واتزانه ولكى ينسى كاتى — هو أن أطلب الى مارى الين أن  
تحضر الى واشنطن غير أنى خشيت أن يودى الألم بحياة هومر فيذوب كما  
تذوب الشمعة ويسلمه صمته وكبت مشاعره الى هوس عقلى .

وكان أول شىء فعلته حين أصبح الصباح أن دخلت الى مخدع هومر  
وفوجئت بأن أراه مرتديا ملابسها كلها الشىء الذى حدا بي الى أن  
أسأله :

— الى أين ؟

— سأودع كاتى ، سأودعها قبل رحيلها فهى ستطير ظهرا الى  
لوس أنجلوس .

— أترأى قد أخذت بجانب من جوانب الحكمة فى عملك هذا ؟  
ما أظن ذلك ولأى شىء تسرف على نفسك فى العذاب ؟ ثق أن ذهابك  
سيكلفك الكثير وسيحملك ألما شديدا ما أغناك عنه ، لقد انتهيت الى  
قرار أيها الرجل فلا تعذب نفسك .

وجلس هومر على حافة الفراش تقترب ساقاه العاريتان الطويلتان  
المسيهتان بقضيين رفيعين من الخشب — من ذقنه وقد ألقى رأسه بين  
يديه وأخذ يقول :

— أريد أن أراها هذه المرة ولن أسعى لرؤيتها مرة أخرى .

وأحسست بى ميلا للاستجابة لرغبة هومر وان انتهى بنا الأمر الى  
أوخم العواقب ، وفكرت فى أن أذهب معه الى المطار لوداع كاتى ، غير  
أنى عدت الى نفسى ، وأخذت أتخيل صورا مختلفة فتخيلت مارج فى قلقها  
واضطرابها وشغفها بأن تعرف النتائج السريعة والمرضية لهذه المهمة ، كما  
تخيلت سائر النساء فى العالم فى قلقهن وشغفهن ثم العواقب الوخيمة التى  
ستحل بالعلم وتهدد مصيره فيما لو هرب هومر مع كاتى ... فقلت له :

— أعندما يحين مقدم مارى الين الى واشنطن لتقييم معك حتى يأتى  
موعد تنفيذ مشروع الاخصاب الصناعى تأتى أنت هذا العمل الذى ينطوى  
على طيش وحماسة ؟ أفنهم ما أعنى ؟

— أجل أفهم .

— ألا ترغب فى أن ترى مارى الين ؟

— بلى . غير أنى حائر أشد الحيرة لا أدرى من أمرى شيئا .

— ليس غريبا أن تقع فى مثل هذه الحيرة وبلبلة الفكر ، فما أكثر

ما تتعرض جميعا لمثل هذه المحن بين الحين والحين ، ولقد تحملت الكثير  
فى أمد قصير .

فتأوه هومر وقلت له أطمئنه :

— لعله مما يؤلم نفسك أن تودع كاتى ظهرا وتستقبل مارى الين ليلا،  
أليس ذلك كذلك ؟

— حقّ ما تقول غير أنى وعدت كاتى .

— لا تدع هذا يقلق بالك ، سأقوم أنا عنك بهذا وسأودع كاتى  
وسوف أشرح لها الأمر كله . ثق بى ياهومر وانى لواطق من تسوية  
المشكلة وسأحمل عنك هذا العبء .

قلت له وأنا أربت على كتفه وكأنى أستحبه على أن يفكر وأستحبه  
على أن يهدأ :

— لا تقلق ولسوف أمضى الآن الى المطار لأودعها وأكشف لها عن  
كل شىء .

فقال هومر :

— ليكن ذلك ولتقبل شكرى يا ستيف . ( وانتظر قليلا ثم أضاف ) :

أى شىء سأقوله لمارى الين ، يا ستيف ؟

— تقوله ؟ لا تقل لها شيئا ولا تنبس ببنت شفه ولا تبدر منك همسة  
أو اشارة أو حركة .

— أليس هذا من الظلم ؟ انه تصرف لا يتصف بالعدل .

— صدقنى يا هومر ان أنكر ما تنكر المرأة على نفسها سماعه عن شىء

كهذا لهو الصدق . وحين تجيء تلك اللحظة التى تلزمك فيها بقول الحق  
فلتنكر كل شىء . هذا أمر وليس نصيحة . انه أمر .

— ولكن ؟

— اننى لا أبيع لك التردد فى هذا الموضوع ، ولا تقل « ولكن »  
فإن شئت أن تعيش حياة هى التعاسة بعينها فاعترف لها بما كان ، وإن  
عليك ما دمت مرتبطا بزوجتك مارى الين بهذا الرباط الشرعى أن تحرص  
على ألا يتقطع ، وأن يبقى حيا ما خييت ، ولا ملاذ لك غير أن تستمسك  
بالكذب . فلتكذب و لتكذب . اكذب الى أن تسقط أسنانك من الكذب .  
وتطلع هومر الى وجهى مشدوها ، وأوماً برأسه ايماء الموافق ، وبدا  
وكأنه شبل من أشبال الكشافة يعانى صدمة شديدة بعد أن عنقه قائله  
بكلمة نايبة لاذعة .

وعلى أية حال فلقد أخذت الشكوك تراودنى والظنون تساورنى وأنا  
فى طريقى الى المطار القومى .

كان اليوم دافئا بديعا غير مألوف فى هذا الفصل ، يداعب الهواء  
مدرج المطار ، ووقع بصرى على كاتى فى المطار تحمل معظما من الفراء  
على ذراعها . وثار الهواء فاذا بردائها يلتصق بجسدها ويشف عن مفاتها  
ويبرز جمالها ، ويرسم خطوطا معبرة عن قوامها المشقوق الذى ما تكاد تقع  
عليه عيون الشباب والرجال حتى يخلب عقولهم ويسبى نفوسهم .  
وحين رأتنى كاتى تطلعت الىّ وقايلت نظرأتى بابتسامة :

— مرحبا يا ستيف ، أين هومر ؟

— لم يأت ولقد اتفقنا على ألا يلقاك الآن فلسوف تحضر زوجته

— هل أفضى اليك بما حدث بيننا ؟

— نعم

— بكل ما حدث ؟

— نعم

وغابت ابتسامتها وانطبقت شفاتها وفكهاها وصوبت الى وجهى عينين

فى لون النحاس أو الذهب الداكن ، عينين قل من الرجال من كان يدرك جمالها ، ولقد ظلت تحدجنى بهما لا تحولهما عنى ثم قالت :

— أتذكر صورتى أيام شبابى حين كنت أرقص فى ملاهى نيويورك ؟  
أذكر ذلك .

— لعلك خلتنى يومها فتاة حمقاء أفاقة ؟ لا ضير عليك يا ستيف ، فما من فتى أو فتاة إلا ويغلبهما الاندفاع والعنف والطيش حين يجيئان الى نيويورك للمرة الأولى فى حياتهما . غير أنى لم أقع فى ذلك ، ان ما أحسه فى صدرى ليس ولما بهومر أو وجدا به فحسب بل حرى بك أن تعرف انه شىء فوق الشغف .

— من الواجب الا تجاوز هذه الصلة هذا الوجد وذلك الوله والشغف ، فثمة أمور يجب أن تذكرها وألا تغيب عنك : فهناك زوجته وابنته ثم الاخصاب الصناعى .

— أتذكرنى بهذا المشروع ثانية ؟ يا له من مشروع فاشل !  
ورأيت فى عينها نظرة غريبة ، واكتسى وجهها بتعبير لم أر له مثيلا إلا فى وجوه المبشرين المتمسكين بأهداب الدين والانجيل وفى وجوه اتباع النازى وهم يصيحون فى لهفة الى زعيمهم هتلر وكذلك فى وجوه المجانين ، لقد كان تعبيرها لا يدل الا على التعصب ولا يثير الا الرعب فى النفس .

وهنا أخذت مكبرات الصوت تعلن عن قرب قيام الطائرة وتدعو الركاب اليها ، فقلت لكاتى وأنا أودعها .

— رحلة سعيدة يا كاتى ، وانى لأصارك بأن تكفى عن الاسترسال فى التفاؤل والاسراف فى الآمال .

— أهذا كل ما تظنه بى ؟ سوف يحكم الزمن بيننا صدقنى . ودعك

من كل هذا . فليس في استطاعتك أن تتحدى القدر ، ومن تكون أنت أمام ارادة الله .

وتطلع الجميع الى الطائرة حين كانت كاتي تصعد اليها ولقد عرفت ما كان يشغل فكرهم وهم ينظرون اليها ، اما عنى فقد أحسست قشعريرة تسرى في جلدى ، قشعريرة من الروع والفرع .

قد يخطر لك انك تلم بالكثير من أسرار انسان ما ، ثم اذا بك تستشعر الخطأ ، واذا ذلك تؤمن بأنك لا تعلم شيئاً مما يخبىء ومما يضر . وهكذا آمنت حقا أن لكاتي روب نفسية معقدة وأنه من العسير على وحدى أن أتبين حقيقة هذه الأثى أو أن أستجلى خفاياها لأبلغ مكنون نفسها . وفى طريق عودتى الى فندق شورهام ، عرجت على مكتب المباحث العامة .



## الفصل السابع



وفي اليوم التالي وصلت ماري الين جميلة كعهدنا بها ، ولقد كنت أنسيت جمالها الفتان وجسدها البض الذي يفيض صحة وحياء ، ولعل هومر كان هو الآخر قد أنسى ذلك الجمال ، فما كاد يراها حتى فاض وجهه بسرور خالص غير متكلف للقائها في واشنطن .

ورحت أرقب الأمر عن كثب وكأني احدى الوصيفات اللاتي يلازم من سيادة من سيدات المجتمع الراقى في غدوها ورواحها ، وكان أخشى ما أخشاه أن يكون آدم لا يزال على حنيه الى « الاطار » ولكن الأمور مضت قدما على حال لم تخطر لى ببال ، فما زل لسانه بكلمة نايبة ولا صدرت عنه حركة فيها طيش أو نزق ، وكنت سعيدا حين رأيته مالكا زمام نفسه أكثر منه في أى وقت مضى منذ أن جاء الى واشنطن .

وكانت ماري الين من العادات الفريديات اللاتي يتميزن بجمال  
وبجاذبية ونضارة وحيوية . وكافت بادية البشر تكاد ترقص طربا لرؤية  
زوجها . وهكذا مضت الأمور أمامي وفق ما كنت أشتهى وأهوى ، وكنت  
أخال هومر آدم وماري الين وقد اشتبكت يداهما عروسين في شهر العسل  
ولقد أحسست عندما رأيت هذا بالدهشة وبالحنين الى زوجي وبيتي .  
ومن أجل ذلك تركت الأمور في بيت هومر الى جين زيتر لتتولى تديرها  
وأخذت الطائرة في يوم أحد قاصدا نيويورك متعللا بأني أريد لقاء  
طومسون وأوستنهايمر لأعرض عليهما تقريرا عن آدم ومدى ماحقته من  
تقدم .

كم جعلني حنيني الى زوجي ومنزلي أحس واشنطن بعيدة عنى بعدا  
شاسعا . فما أن بلغت منزلي ورأيت مارج في زينتها وشعرها المصفف  
الرائع ورائحة العطر المحبب الى تفوح من أعطافها حتى قلت مداعبا :  
— أى شيء تؤثرين يا مارج ؟ انقضى الليلة هنا في المنزل أم نخرج ؟  
أراك تؤثرين الخروج .

— لا . بل سبقي هنا في البيت .

وخطت الى وقبلتني قبلة اختبار وهي تقول :

— ما فكرت في الخروج ، وما رغبت في ذلك ، ولقد عقدت العزم  
على أن أبقى معك هنا . ثم أن مارية وطومسون سيحضران الينا وسوف  
نستمع وقتا بلعب البريدج والمناقشة والحديث .

واثنت مارج تقبلني ثانية ، لقد كانت قبلة غريبة خلقتها معها ترتشف  
انفاسي ارتشافا وتنشد شيئا اجهله فنظرت اليها مذهولا وأنا أسألها

— ما خطبك يا مارج ؟

— ليس ثمة شيء .

— أتدهش حين أقبلك ، حين أقبل زوجي ؟

— لا ، فما جئت الى هنا الا لأظفر بقبلة منك .

عندئذ تطلعت الى مارج وهي تهز رأسها هزة ذات مغزى ثم قالت :

— ولكن خبرني أما لهوت في واشنطن قليلا ؟

— لهوت ؟ يالها من مهزلة .

قالت وهي تزيل الأثر الذي تركته شفتها على وجهي :

— أخالك أمضيت وقتا طيبا مع ..... « الاطار » ؟

فقلت لها :

— « الاطار » ؟ .. ما حملك على أن تظني بي الظنون ؟

— ليس ثمة شيء ولكني رأيت لك صورة في احدى الصحف والى

جانبك « الاطار » وأشار العنوان القصير في الصحيفة الى حديث عن

آدم بين المساعد الخاص لمدير المؤسسة القومية لاعادة الاخصاب —

استيفن ديكاتور الصحفى السابق — وبين « الاطار » في ناد ليلي للطبقة

الراقية . ولما كنت تبدو في الصورة وذراعك حول « الاطار » فقد ظننتك

تستمتع بأوقات مرحة .

هكذا كان جزائى على ما بذلت في سبيل خدمة عامة لا يجدى في

مثلها أن تتصف بالجد والرزانة ، وأنت حين تحاول أن تلقى بالمعاذير وأن

تظهر براءتك تتراءى في أعين الناس مذنبا . وقلت :

— هذه عاقبة قراءتك لصحيفة مثل « جورنال أمريكان » لا تتحرى

الصدق .

فقلت مارج :

— ما من شك في أنها فاتنة ، وما من شك في أن وظيفتك الرسمية

قد راققتها ، وما أدري لأى شيء حملت نفسك العناء وجئت تزورنى في

نيويورك ، اللهم الا اذا كانت هناك أمور هامة سوف تتبادل فيها الرأي مع مارية وطومسون .

— حقا فلدى مسائل هامة سأبادلها الرأي فيها وهذا وحده هو ما حفزني الى المجيء الى نيويورك ، وما أدري حقا كيف أستطيع أن أقضى الليلة .

ولم أجد مناصا من أن أقص عليها ما كان بين آدم وبين « الاطار » فأنشئت تقبلني ثالثة غير أنها في هذه المرة لم تكن تتشد شيئا وقالت :  
— ما من شك في أنك تلقى عناء في اقضاء النساء عنه ، ترى لو أن هذه الفتاة استحوذت على آدم واستأثرت به فأى مصير ينتظرنا جميعا ؟  
— لكنها لم تهيمن على آدم أو تستأثر به فزوجته تعيش واياها تحت سقف واحد تظلهما السعادة والرضى .

— ليس يجدى هذا شيئا .

وعن لى أن أعرف رأى مارج فى التلقيح الصناعى ، فسألته عما اذا كانت راغبة فى أن يكون لها طفل عن طريق التلقيح الصناعى . وحين لمحت رضاها أحسست غصة لا أشك فى أن كل زوج واجدها حين يستشعر ميل زوجته على التلقيح الصناعى ، وبينما كنت أرانى أنفر من هذا بعقلى ويمجه ذوقى فلقد كنت أراه فى نفس الوقت شيئا محتوما لا مفر منه وما هو بأقل شأنا أو حيوية من رغبة هومر الملحة فى الفرار مع « الاطار » او من اثاره مارج لعزى فى ان تنجب أطفالا ، فان كل هذه أشياء ضرورية وطبيعية ، .

ولقد رأيت مارية وطومسون يجلسان متلاصقين يحلقان فى سماء أخيلة جميلة ، وأحلام ذات ألوان وظلال ، عيناه لا تتحولان عنها ، وقد انبعث منهما وميض زهو وخيلاء وحب ووفاء . من أجل ذلك تلاصقا ،

وأسنحت مارية رأسها الى كنفه ، وقد تجد شيئا من العسر حين نحاول أن نكشف عن معنى الحب ومغزاه عندما يربط بين قلبى طيب وطيبية أو بين قلبى طيب ومرضة كما قد يكون عسيرا أن تدرك كيف يجمع هذا الحب بين فؤادين وبين علم التشريح الذى يعملان فيه معا ، ولعل هذا اللون من الحب النادر لا يدع لنا مجالاً غير أن نؤمن به وتقبله دون أن نعمن فى تعرف أسبابه . وعلى أية حال فهما هائنان بالحب والعمل معا لا يفترقان .

وقد تحدثنا كما تقتضى الحال فى التلقيح الصناعى وفى لاعبى البريدج وقلبنا الحديث على وجوهه ، والحديث ذو شجون ، وبقي تومى أكثر الوقت لا يشاركنا فى هذا الحديث ولا يتكلم الا لماما فلقد كان يفكر فى هدوء ولو أنك راقبته وأصخت اليه السمع مرهفا أذنيك لاستمعت الى خلجات عقله وومضات فكرة وكأنه ساعة قديمة آل اليها ارثها من أحد أجدادنا وهى على قدمها وأناتها وتمهلها دقيقة كل الدقيقة .

وفجأة قال : ما أظن العالم سيمضى هكذا عقيما الى ما لا نهاية ، بل سوف تتاح له الفرصة فى أن يتغير ويخصب وينتج .

فقلت مارج : أتعنى أن آدم سيكون وسيلة الى ذلك  
— ربما ، إذ أنه الأول الذى سيشعل هذا المشعل وبعد ذلك .....  
— وبعد ذلك ؟ أئمة شىء بعد ذلك ؟

تمهل تومى قليلا ثم قال : حسنا سأقص عليكم الخبر . لا أظنكم تجهلون أنى ألقى الوقت كله فى اجراء تجارب على البويضات المنوية فلست أومن أنها ماتت حقا ، وانى لأكاد أقطع بأنها شلت فحسب أو خدرت لحين ما ، ولست أسيغ أبدا قول من قال انها ماتت فلقد أبصرت أنا نفسى احداها وهى تتلوى .

قالت مارية : ان الأفسان اذا ما أطال النظر بالمجهر خيل اليه أن كل ما يقع عليه بصره يتلوى .

— لا يا مارية فاني مؤمن بما أقول ولقد رأيت احداها تتلوى حقا .  
وأخذ تومى يتطلع الى قدحه وكانت به بويضة تتلوى ثم مضى يقول :  
استمعوا اليّ فسأقص عليكم نبأ ذلك كله . لقد كنت أعمل كل يوم ثمانى  
عشرة ساعة من أجل تلك الفكرة التى ساورتنى ، وكم تطلب منى ذلك  
جهدا كبيرا ! واذا صح أن البويضة المنوية للرجل لم تمت كان واجبنا  
العناية بها الى أن يعود اليها نشاطها وتعود الى ما كانت عليه ثانية . ولقد  
وفقت الى تركيب مزيج ....

عندها قطعت مارية عليه الحديث : كفاك وهما أيها الرجل أتحاول أن  
تنتحل حرفة جديدة أو تلزم نفسك بتوليد أجنة ؟ يالها من حرفة ممتعة .  
ولم يأبه تومى لمقاطعته ومضى فى حديثه يقول : لقد وفقت حقا الى  
مزيج أكثره من الأعشاب البحرية الغنية باليود .

فقالت مارية : يا له من بحث ممتع ! وما أقعدك عن أن تجرب المزيد ؟  
— لقد تجربته ، الا أنى لا زلت فى حاجة الى مزيد من تجارب أجريها  
على الرجال المتزوجين .

— ما قولك يا ستيف ؟ ولتعلم أن كثرة من زملائى الأطباء بالمستشفى  
يجربون هذا المزيج كما أجره .

فقلت : لا لست أنا . ابحث عن غيرى اذ لست من خنازير غينيا التى  
تجرون عليها تجاربكم .

وما من شك فى أن الفكرة كانت قد أستهوت مارج فلقد تطلعت الى  
تقول وهى تحسنى :

— ولم لا يا ستيف؟ لا ضير من التجربة فلقد آن لك أن تسدى الى البشرية شيئاً يفيدها ، وما أشد رغبتى فى أن تكون أبا للأطفالى !  
— استمعى الى . ان علماء طبقات الأرض وعلماء الأحياء والغدد الصماء فى العالم لجادون جد تومى ليصلوا الى مثل هذا المزيج الذى وصل اليه . وقد يدرك تومى كما قد يدرك بعضهم الهدف واذا وقع ذلك وغدا هذا العلاج حقيقة فلك وعدى بأن أتجرعه ولكنى الآن غير متمىء لأن أزحم معدتى بأعشاب البحر . ان فرصتك الوحيدة فى أن تكونى أمًا ، هى أن يكون آدم أبا لأطفالك .

قالت مارج : يالك من معوق ، انك تخون الجنس البشرى .  
وخاطبها تومى قائلاً : ان هو لم يستجب ، وعدل عن رأيه ورجع فلن أتوانى عن اعطائه زجاجة كاملة من عقارى هذا ، وانى لمؤمن بأنه لن يصيبه منه ضرر فما وقع ضرر لأحد من هؤلاء الذين سبقوا فجبوه . ومجمل ما أوصى به ليكون علاجاً هو تناول قدر منه يبلغ أربعين قطرة فى اليوم وذلك خلال مدة التجربة ولقد تبينت من تتبع مرضاى فى المستشفى أنه ما من واحد منهم قد أصيب بضرر أو أعقبه ذلك سوءاً ، غير أنه لم يبد على واحد منهم أنه سوف ينجب أطفالاً .

قالت مارج : ان زوجى لن يغير رأيه وأغلب الظن أنه لا يرغب فى أن ينجب أطفالاً ، لا يرغب فى ذلك أبداً .

لم أحاول أن أناقش هذا فليست ثمة فائدة تذكر فى النقاش والمجادلة ، فزوجتى تتميز بذاكرة واعية حافظة تستطيع أن تعود بها الى السوراء عشرات السنين لتقع على أدلة وبراهين قاطعة كانت قد أضحت نسياً منسياً محاولة بذلك أن تغمرك بفيض من الأدلة تحملك على صدق ما تعتقد . وأفضيت الى تومى ومارية بما كان لى مع هومر ، وان كنت لم أشر الى

كاتبى غير اشارة عابرة . وقد وعدنى تومى كما وعدتنى ماريه بأن يذهب الى واشنطن لزيارته وتعرف حاله . وقد يكون من اليسير عليهما أن يقطعا برأى من قبل أن تتاح لهما الفرصة لفحصه فحصا كاملا شاملا دقيقا .

وفى التاسعة أخذنا نستمع الى معقب الاذاعة المعروف ونشل ، وكان يلهث وهو يذيع وكأنه قد صعد عشرين طابقا على قدميه قبل وقوفه أمام الميكروفون وبدأ حديثه بقراءة برقية من لندن جاء فيها :

اتتهى الى وزارة الخارجية البريطانية أن ثمة رجلين لم يصابا بعقم على حدود منغوليا ، وأن الروس قد وقعوا على هذين الرجلين منذ تسعة شهور ولكنهم آثروا أن يجعلوا هذا سرا ويبدو أنهما عاملان من عمال المناجم كانا يعملان كما كان يعمل آدم فى جوف منجم من مناجم الرصاص العميقة حين وقع انفجار الميسيسىبى .

قال تومى يعقب على هذا الخبر : ياله من نبأ عجيب !

وقالت ماريه : أنه لما يعقل حقا .

قلت : لست أعتقد أن الأمر كذلك ، فما من دليل يقوم على صحته وما يجيز العقل أن تعرف وزارة الخارجية البريطانية شيئا مما يقع على حدود منغوليا . وان الظن ليكاد يوحى بأن مرجع هذا الخبر شائعات ماتت الى لندن وأتاحت وزارة الخارجية البريطانية لهذه الشائعات أن تنتشر حتى تعلم ما عند الروس لتبين كنه هذا الخبر .

عندها سألت مارج : ترى ما سيكون أثر هذا الخبر ان صح على فكرة اعادة الاخصاب القومى ؟

— أعتقد أن هذا سوف يضرم جذوة التسابق العنيف بيننا وبين الروس



في ميدان الانتاج البشرى ، اذ ان مجرد التفكير في وجود روسى واحد قادر على الانجاب سوف يبلبل واشنطن ودوائرها المختلفة .

وقالت مارج :

انه لشيء يثير الفزع . فهو لاء المغول ينسلون كما تنسل الفيران ،  
أليس كذلك ؟

فقال تومى : اذا نظرنا الى المسألة من وجوهها المختلفة وجدنا ان قدرة هذا المغولى الخشن تعدل ثلاثة أمثال قدرة آدم . ويستند حكى هذا الى ما تبينته فيه .

فقلت مارية : يبدو لى أنك على حق ، غير أنى أحب أن أقول اننا اذا أفلحنا فى أن نرقى بوسائل الاخصاب الصناعى الى مرتبة الكمال بأن نستخدم حيوانا منويا واحدا فى كل حالة من حالات التلقيح ، وهذا هو مناط بحثى الآن كما تعلمون ، عندها نستطيع أن نقف على قدم المساواة مع الروس فى مجال المنافسة وهم على ذلك لا يقلون عنا شأننا ، وان صح أنهم يملكون رجلين لقاء رجلنا آدم وتعدادهم بطبيعة الحال كبير فهم فى هذه الحالة ، كما أخال ، قادرون على أن يزيدوا المواليذ زيادة تفوق زيادتهم هنا .

ولقد أدليت بدلوى فى هذه المناقشة فقلت :

— ان كل ما قيل ويقال لا يعدو أن يكون نظريا بحثا ، وسيظل هذا الزعم فرضا من الفروض الى أن تؤيده حقائق ثابتة . فان صح هذا كله وأيده الدليل فما من شك فى أنه سيكون شيئا له خطره الكبير وتناجه المرضية ، فستتاح الفرصة لكلا البلدين أن يخطوا معا فى طريق واحد ، تملى عليهما المعرفة المشتركة التعاون والتساند لانقاذ الجنس البشرى .

غير ان مارية رأت رأيا غير هذا ، فلقد كانت تعد تجاربها سرا عسكريا .

وهى لهذا تخال أن كل ما فى هذا المضمار من معلومات وتجارب يندرج تحت الأسرار الحربية ، وليس بعيد أن تكون هذه نظرة روسيا الى هذه الأمور وتلك الأحوال .

واسترسلت أشرح الأسرار العسكرية على قدر ما يوحى به علمى فقلت لهم :

— ان الدول الكبرى تلتزم نظامين ، أو جهازين هما من الأهمية بمكان . أولهما جهاز المخابرات وثانيهما جهاز مكافحة التجسس أو المخابرات المضادة ، ولما كنا الآن قد أخذنا ننعم بسلام يسود العالم كله فمن الطبيعى أن يعود العاملون فى أجهزة المخابرات الى أعمالهم المألوفة المختلفة التى كانوا يؤدونها قبل الحرب .

وكان المعروف أن رجال المخابرات ينالون أموالا طائلة ومبالغ من المال هائلة لا يرجع عليهم فيها ، ومثل هذا تعرفه بلاد العالم كلها باسم المصروفات السرية يدفع منها رجل المخابرات ما يراه ضروريا ليحصل على ما يعنيه من المعلومات .

وقالت مارج : يا له من عمل مفيد يدرّ الربح !

— آه انها فى الحق وسيلة بارعة لابتزاز الأموال . بيد أن العرف الدولى يقرها . وعلى حين يسعى رجال المخابرات دائما الى أن يوغلوا فى البلاد الأخرى يسعى رجال مكافحة التجسس السعى كله فى أن يحولوا بين هؤلاء وبين أن يوغلوا فى بلادهم وفى أن يمنعوهم بكل ما يملكون من وسائل من الوقوف على أسرار البلاد حتى لا يسيئوا اليها .

وقالت ماريه معجبة : ما من شك فى أن رجالنا بارعون وأن لهم دربة على مكافحة التجسس وهم لا يفتأون يختلفون الى مكتبى بين الحين والحين تاركين فى معاملنا سلالا يطلبون لينا أن نودع فيها مسودات

مذكراتنا وأوراقنا المهمة وما يتخلف عن الكس والتنظيف من بقايا هنا وهناك .

وسألت مارج : أهذا هو كل ما يعملون ؟ أو ليس لهم من عمل آخر ؟  
فأجابت ماريه : كلا . فهم يطلبون الينا أحيانا التوقيع على بعض الأوراق .

وقلت شارحا : ان للبريطانيين وسيلة أخرى حكيمة سديدة يحكمون تنفيذها اذ الكثرة من رجال مخابراتهم تعمل أعمالا أخرى الى جانب أعمالهم السرية في المخبرات — وهم بهذا التستر المحكم على أعمالهم في المخبرات يسدون الى حكومة بلادهم أجل خدمة . وما من شك في أن هذا التستر شيء نبيل ، وما من شك في أننا لما نصصل بعد في بلادنا الى ذكائهم فيه وبراعتهم . فلقد يقصد رجل من رجال المخبرات الى استنبول على أنه مراسل لصحف عدة ، على حين يعلم نفر أن هذه ليست الا وسيلة من وسائل التستر فانهم يحرصون على أن تظل سرا مكتوما .

عندئذ دق جرس التليفون وكانت جين زيتر هي التي تحدثني من واشنطن لتقول :

— ان القائمين على مشروع اعادة الاخصاب القومي يكادون يتميزون غيظا ، وكلهم قلقون نائرون لتلك الأخبار التي اتهمت اليهم عن المفعول . ولقد اتصل بي جيلمان كما اتصل بي بمفرى وهما يريدان أن تحضر وشيكا الى واشنطن . ولسوف يعقد مؤتمر في العاشرة من صباح الغد يحضره مندوبو الحكومة ، وسيعقب ذلك اجتماع في الحادية عشرة للجنة اعداد الخطط ، وعند منتصف النهار يذهب المدير العام بمفرى الى البيت الأبيض .

فسألت قائلاً : — أصحيحة تلك الرواية التي ذاعت عن هؤلاء المغول

الأجانب ؟

فقلت جين : انهم لا يعلمون ، ولكن سواء أكانت صحيحة أم كاذبة فما من شك في أنها سوف تحدث أثراً في الكونجرس ، ولعل هذا ما يقلق بالهم .

قلت لها : — أخبريهم أنى سوف ألقى قبل حضوري ممثلى اللجنة الاستشارية لمناقشة المراحل جميعها وسأحضر معى حين أعود ما سوف توصى به اللجنة . ألا تقرين معى أن هذا يصح عذراً لتخلفى عن الاجتماع ؟ — أرجو ذلك ، ولتعلم أن القوم ناثرون الثورة كلها .

وسألتنى عن موعد عودتى ، فأجبته أنى سوف أعود بعد يومين ان لم يعقنى عائق أو يطرأ طارئ . فرضيت ذلك وقالت مؤكدة انها سوف تتصل بالسيد جيلمان وبالسيد بمفرى لتكشف لهما عن أهمية لقائى بالمستشارين الطبيين فى هذا الوقت .

ولقد قلت لجين انها حبيبة الى قلبى ، وان فؤادى أسير هواها ، ووعدها بقبلة حين ألقاها ، قلت ذلك عمداً لأنى تبينت أن مارج كانت تتسمع الى محادثتى مع جين زير .

وقالت مارج وأنا على وشك أن أضع السماعه لأختم حديثى مع جين : لن تستطيع يا ستيف أن تحرك غيرتى ، لن تستطيع ذلك أبداً فليست جين الا مساعدة أمينة . وهى على هذا لن تثيرنى ولن تثير القلق فى نفسى ، وان وصفتها لى وصفاً دقيقاً الا أنى على الرغم مما كان لست مطمئنة البال ولا مرتاحة خاطر لتلك الفتاة الأخرى التى جاءتك من هوليدود .

ومضت ماريه وتومى فى الساعة الواحدة صباحاً ، فألقيت غرفة نومى فى تلك الساعة أكثر روعة وأشد اغراء فدلقت إليها .

وحين استيقظت في صباح اليوم التالي كانت حبات المطر تتساقط في  
عنف وترتطم بنوافذ البيت ، وكانت مارج الى جانبي تداعبنى وتدغدغ  
أذني فبقيت مسترخيا وآثرت أن أقضى نهاري مستجما في فراشي ، وأن  
أتجنب عناء الخروج في ذلك الطقس المتقلب القارص وأن أنسى كل شيء  
في واشنطن بما في ذلك مشروع إعادة الاخصاب القومي ، ومشروع التلقيح  
الصناعي ، حتى المغوليين اللذين أفلتنا من العقم .

لقد أمضينا الشطر الأكبر من حياتنا ضحايا حملة من الدعاية الطائشة  
المدمومة التي استهدفت اثارنا وبث الخوف في نفوسنا ، ففي الوقت الذي  
هادنا فيه الناس وأخذنا الى الراحة والدعة لم يتورع الناس عن الكيد لنا ،  
والوئوب علينا وكأنهم وحوش الغابنة والأجمات الضارية واني لأشيد  
بعبقرية ذلك الحكيم الذي ابتدع هذا التقليد الساحر القائل : « نم مبكرا  
وانهض مبكرا تعش سعيداً غنيا عاقلاً » وهي ليس الا قولة دعى أطلقها  
على سبيل الدعاية وما تزال هذه القولة المأثورة تلازمنا من الطفولة الى  
الكهولة ، فتضاعف بهذا قوتنا كما يؤكد تكرارها وترديدها أثرها في  
النفس . ولقد أدرك ذلك جوبلز وزير الدعاية النازية وكم من مرة سمعت  
هذه الحكمة تنتظم هذه الادعاءات الثلاثة ، وكم حملنا على الايمان بها  
معسول لفظها فاستنمنا مغررا بنا . ولوعدنا نحللها وننعم النظر في معانيها  
الخفية لوجدناها حقا أشبه بالموامرة والخداع والتتبع ، لاسيما اذا أنعمنا  
الفكر في هذا الادعاء الثالث وهو الثراء . فمن يا ترى هذا الذي يذهب الى  
عمله في موعده المحدد : أهو الموظف الصغير أم المدير الكبير ؟ وأخذ النعاس  
يداعب أجفاني وأنا مستلق في فراشي أدير في رأسي هذا القول الرنان ،  
وأقلبه على وجوهه المختلفة لأدرك مدى النجاح الذي كان يسيرا على  
صاحبه ومؤلفه أن يحققه لو كان في قيد الحياة ، وكيف كان سيقف عاجزا

حائرا أمام هذه الأشياء الخداعة التي يعانى الناس من نفقاتها ويسرفون في شرائها مثل السجائر وأنواع الصابون الفاخر ، ومقويات الشعر والمشروبات الغازية .

ومضى النهار وشطر من الليل الذى أوشك أن ينتصف وكنت لا أزال أتابع برامج التلفزيون ، وما كان أشد دهشتى حين فوجئت بالسيدة فای سمرنوت ، عضو الكونجرس المحترمة ، تطالعتى بوجهها فقالت لى مارج : انظر ألا تراها فى ثوب رائع ؟ لقد أبصرت مثله يوما فى أحد المحال المعروفة ، ولكنه كان يختلف عنه فى لونه فصحت بها : صه فانى أوشك ألا أسمع ما تقول العضو نوت .

فقالت مارج : أواه ! الى متى ستظل تستمع الى هذا الهراء فلتغلقة عليها ، انها لتثرثر فى السياسة بمجلس الشيوخ ، أليس وجهها جذابا مشرقا فى الصورة . ما قولك ؟ أليس هذا صحيحا ؟ .

وعدت أنصت فسمعتها تتحدث عن المؤسسة القومية لاعادة الاخصاب فحصرت انتباهى لأستمع أكثر مما أشاهد . ولقد كانت فای تترقب الفرصة منذ شهور لتهاجم سياسة الحكومة وتتحين لها الوقت المناسب .

وأحسست قشعيرة تسرى فى بدنى وأنا أقدر النتائج والعواقب الوخيمة ، وأكبر الظن أنها كانت على وشك أن تبدأ كلامها بقاعة الكونجرس . وأكاد أقطع بأن أول ما ستذكره هو هذا الفشل الذى منى به مشروع اعادة الاخصاب القومى والذى غدا فضيحة عامة .

واستمعت اليها تقول : اننى أتحدث فى أشد لحظة من لحظات تاريخ وطننا العظيم حرجا . لا أشك فى أنكم قد سمعتم نبأ هذين الرجلين على حدود منغوليا . وما أحاول أن أنكر على الشيوعيين حقهم فى الوجود والنسل ، ولكنى أريد لكم أن تتصوروا هذا العالم وقد أصبح مغولا كله .

وصمت لحظة وهي تبسم لتتيح للصورة التي صورتها أن ترسخ في  
أذهان المستمعين ثم وصلت حديثها قائلة :

— ان ثروتنا الحيوية الوحيدة هي السيد آدم . حدثوني أى شيء  
فعلته الحكومة لتفيد منه . يظهر أن الادارة الحكومية لا تزال تجهل أن  
الموت يحصد الناس يوما بعد يوم دون أن يولد مولود جديد ، لا سيما في  
الولايات المتحدة ، فما نعلم شيئا عما يقع هناك في روسيا . ان مشروع اعادة  
الاخصاب لم يفشل فحسب في أن يضيف الى عدد الشعب مولودا جديدا  
على الرغم مما رصد له من مبالغ طائلة ، بل انه كذلك لم يكشف عن  
سياسة في المستقبل ولا عن خطة للافادة من السيد آدم . والشئ الذى  
زاد الطين بله هو اباحة الحكومة للسيد آدم أن يخالط مجموعة من  
النساء . فلقد رأيت أنا نفسى السيد آدم يشرب الخمر في صحبة ممثلة  
معروفة بفنائحها المنكرة ، ولقد علمت كذلك من أوثق المصادر العسكرية  
أن هناك امرأة تعيش الآن في كنف آدم .

وأضافت قائلة انها لتأسف غاية الأسف حين تجد نفسها مرغمة بفعل  
الظروف على الكشف عن أمثال هذه المخازى الفاضحة التى يندى لها  
الجبين . ولقد أعطت لنفسها العذر حين قالت انها ما كانت تحب أن تدس  
بأنفها في حياة الناس الخاصة وأن تنحدر الى ما انحدرت اليه من خوضها  
فيما يحدث في الخفاء لولا ما للأمر من خطر يمس الشطر الثانى من كيان  
هذه الأمة الا وهو نساؤها وجنسها اللطيف .

وأخذت تتساءل قائلة : ترى هل يقدر لهذا الأمل المتصل الذى يخالج  
تقوس الجميع في الظفر بأمومة أبدية سعيدة أن يقضى عليه زمرة من الساسة  
المتهاونين الذين يسكون بيدهم زمام الادارة الحكومية ومقاليد الأمور؟

حينئذ ثارت مارج قائلة : رباہ أليس ثمة جريمة كبرى ترتكب في حق الوطن ؟

— كلا بل أراه شيئاً يثير الدهشة فاهدئي حتى يعرف الجمهور أن هذه السيدة التي تعيش مع آدم هي زوجته وما أسرع ما سيعلم الجمهور ذلك .

— ولكن هذا لن يغير من الأمور شيئاً .

— لا تبالي يا مارج .

ولكن فاي مضت تقول : ان المؤسسة القومية لاعادة الاخصاب ليست الا اداة جوفاء خادعة مضللة ، ان هي الا فضيحة كبرى تبدد أموال الشعب ودافعي الضرائب وتبعثرها متعلقة بآدم .

ثم أخذت تذكر التفاصيل فخرجت على « الاطار » تقول : ان اسمها الحق « كاي روب » على حين نرى اسمها في الاعلانات كاتي رايدل . وقالت مارج : اخالها تشبه القطعة واخال الغيرة الحمقاء تنهش قلبها واني على ذلك لن أعطيها صوتي في الانتخابات .

فقلت أزيدها بياناً : ان رجال دائرتها يربون على نسائها ولو كان الأمر غير ذلك ما استطاعت أن تفوز بالمركز الأول .

وأخذت فاي تذيع الأسرار والمخازي في نادي فوت لايت وقد تبينت من حديثها ان رقابة جديدة كانت تحوط السيد آدم وتمعد عليه حركاته . وحين ذكرت فاي السلطات العسكرية أخذت أشك في فيلبس سمايث وتحولت عدسة التلفزيون الى قاعة مجلس الشيوخ الامريكى تنقل الينا صورة حية لما يقع هناك . وقال المذيع : ان قاعة المجلس التي بدت شبه خالية حين أخذت العضو نوت في الحديث غدت تضيق بمن فيها على سعتها ، ويسير عليكم أن تروا ما يجري أمامكم على وجهه الحقيقي .



ولقد استطعت حقا أن أتبين أعضاء المجلس وهم واقفون في نهاية القاعة وهو ما يوحى باقتراب يوم مشهود يذكرنا بالأيام التي كانت تشهدها قديما قمة الكايتول .

وبعدها قال المذيع ان نوت قد تركت المنصة للعضو فروجهام . وسرعان ما طالعنا فروجهام بوجهه على شاشة التلفزيون وقد استرخى فكه كما يسترخى فك كلب من كلاب الصيد أنهكه الجرى وهو يتعقب فريسة في احدى مغامرات القنص . ولقد بدأ حديثه بقوله ان ما سمعه من زميلته نوت من أسرار وحقائق رهيبة تكشف عن بواطن الأمور قد أثار حفيظته ، غير أن هذا لم يدهشه أبدا لأنه كان يرقب هذا من قبل .

ثم أضاف : ان هذه لظمة كبرى لنظامنا الديموقراطى الرأسمالى وان الانسان ليعجز عن تصور تلك الخسارة الفادحة التى ستمنى بها مشروعات البلاد وأعمال الناس الخاصة والأشياء جميعها وكيف لنا أن نضرب لأبنائنا طلبة المدارس المثل برئيسهم ليحذوا حذوه في مستقبل أيامهم . أنى لنا أن نفعل ذلك وقد أخذت المدارس تخلو من تلاميذها . وأختم حديثه مقترحا على المجلس أن يشكل لجنة تناقش الموضوع برمته ، وان يعيد المجلس النظر في مشروع اعادة الاخصاب القومى على أن يعهد المجلس الى العضو نوت برياسة هذه اللجنة .

وعادت العضو نوت تظهر على الشاشة ثانية وقد اعتلت المنصة وأخذت تقول :

— لقد أرتكبنا هفوة كبيرة وأخطأنا خطأ جسيما حين تسلمنا آدم من السلطة العسكرية ، واننى لموقنة بأن ثمة أصابع أجنبية بين أعضاء المؤسسة القومية لاعادة الاخصاب .

وكانت العضو فوت قد قاربت انهاء حديثها عندما أطلقت التلفزيون  
ووثبت من الفراش فسألتنى مارج : الى أين ؟

— أشيرى علىّ الى أين نذهب . فلقد برمت بهذه المهمة الملقاة  
على عاتقى وعزمت على أن أستقيل وأن نذهب الى ساحل فلوريدا  
لنروح عن أنفسنا .

قالت مارج : ما أخالك فاعلا هذا يا ستيف وتترك لنفر من رجال  
السياسة أن يلاحقوك فى عملك ليعدوك عنه فان ثمة آخرين يعتمدون  
عليك ، أذكر آدم وأذكر مارية وأذكر طومسون ، فما اخالك ترضى  
أن تفر والمعركة على أشدها تاركا آدم وحده فى ورطته .

وارتديت سروالى واذا بالتليفون يدق فأجابت مارج ، والتفتت  
الىّ تقول : أنه هو السيد جيلمان يريد أن يتحدث اليك .

فقلت لها : أخبرية أنى لست هنا فى البيت وأنى قد قضيت نجوى  
من نوبة قلبيه مباغته قاضية .

فقلت مارج وان صوتها ليقطر شهدا يسرى فى سلك التليفون :  
أن زوجى ستيفن يريدنى على أن أخبرك أيها السيد جيلمان بأنه ليس  
هنا وأنه قد انتقل لساعته الى العالم الاخر بعد نوبة قلبية مباغته .  
وأمسكت بالتليفون أقول : انى أنا سميت الذى يخاطبك وما عدت  
معكم ولقد تخليت عن عملى وأعفيت نفسى من مهمتى .

فقال جيلمان : آه لقد سمعت بالقصة طبعاً .... حسناً ! غير أنه  
لا يليق بك أبدا أن تتخلى عن واجبك الآن ونحن نواجه خطرا شديدا  
يتركنا بين الحياة والموت ألا تدرى أنك بهذا ترتكب الحماقة الكبرى .  
وأنك بطيشك هذا تقضى على العمل كله ، وتعرض أدواته للتفكك

والانحلال ، فياله من خداع ووهم ، انه يتحتم علينا أن نشر بياننا صحفيا  
سريعا . بالله قل لى : من هذه المرأة التى تعيش مع آدم ؟  
( يتنهد قائلا ) :

— أتقول أنها زوجته ( وكان يسيرا على أن أسمع جيلمان وهو  
قائلا ) :

— ليس هذا بالشيء الذى يسوء . ولكن ما هى قصة تلك المرأة الحمراء  
الشفراء التى يحكى لونها لون الطماطم ؟  
— تلك « الاطار » ؟

وقلت غير ملتزم الصدق : ان حبهما شريف عذرى طاهر وان هواية  
علم الاثار هى التى تجمع بينهما .

— هذا ان صح فلن نذكر عنه شيئا ولن نشير اليه ؛ وغاية  
ما سنفعله أننا سوف نذيع بياننا موجزا نقول فيه ان السيد آدم يعيش  
الآن مع زوجته . وسوف يخلق هذا فى قلوب الناس عظفا عليه وعلينا ويترك  
نوت ترغى وتزبد وتعوى عواء الكلبة ولكن ماذا تعرف عن « الاطار » ؟  
فقلت له : ليس ثمة ما يدعوك الى أن تشغل بالك بها لأن المسرح  
الذى تعمل به لا يرغب فى أن تكون لها صلة بما يقع فهو يدرك أن ذلك  
سوف يكون له اثر على دخله وايراده .

— حسنا ليس هنا حقا ما يدعو الى القلق فسوف يتكشف كل  
شيء فى مدى يومين .

— أظن ذلك .

— سنواجه الأمر بصدر رحب ، وعليك أن تعود الى عملك دون  
إبطاء .

وفجأة ذكرت آدم وذكرت ماري الين وجين زيتر وأخذت اسائل

نفسى ترى أى شىء يجرى الآن فى جناح آدم بالفندق وهل انتهت مارى  
الين من سلخ وجه هومر وكالت له اللوم كيلا او أنه قد آثر السلام  
فاعترف لها مختارا - ثم ما هو هذا الأثر الذى تركته ثورة نوت على  
أعصابه ؟

وقلت للسيد جيلمان : لا ضير ! وانى لعلى استعداد أن أذهب الآن  
الى مطار لاجورديا وآخذ أول طائرة الى واشنطن .

فقلت مارج : شكرا للسماء فلقد كنت موقنة بأنك لن تتخطى أبدا  
عن واجبك .

— لا ، ان الأمر ليس كما يبدو لك على الوجه الذى ترين ، وهل  
أنا الا فضولى يجب الاستطلاع .

وأخذت مارج تعاونتى فى احكام رباط عنقى وهى تقول : حاول  
أيها الحبيب أن تجرب مزيج الطيب طومسون فانه لن يضيرك أبداً  
وأعود فأكرر لك رغبتى فى أن يكون لنا طفل تكون أنت أباه .

فقلت لها : هذا هراء . فثمة أنواع عديدة من زيت الثعبان تبلغ  
الألف ولقد جربها رجال كثيرون لا يقع لهم حصر فى أنحاء العالم كله ،  
وكم من مقادير كبيرة استنفدوها وما عادت عليهم بفائدة ما وذهبت  
كلها دون جدوى . ان فرصتك الوحيدة هى كما قلت لك آدم . فليكن  
هو وحده والد أطفالك اللهم الا أن تكون قصة المغوليين صحيحة  
ويرضى الروس أن تتقاسمهما معا ، غير أن عليك فى هذه الحالة أن  
تذكرى كم امرأة فى العالم ، تبغى أن يكون لها طفل . عند هذه سوف  
تدركين أن فرصتك ضعيفة ضئيلة بعيدة كل البعد .

ولم يرقها حديثى فصاحت : استمع الى . لا بد أن يكون لى طفل  
ولسوف يكون لى طفل . أستمع الى ، سيكون لى طفل ، لا بد من ذلك .

## الفصل الثامن

جلس الى جوارى فى الطائرة المتجهة الى واشنطن سيد يدعى سيمور فورمان يسكن مزرعة بمقاطعة هارتفورد وأخذنا معا فى حديث تناول شتى الشئون . ولقد سألتى عما اذا كنت على علم بآخر الأنباء ، وأجبتته بأنى على علم بها فقال : ان الأحوال لا تدعو الى الارتياح والأبناء مزعجة . ولقد أقسم بعزمه على الاستقالة من عمله وتحدث عما ينتويه بعد ذلك من قضاء وقته فى الراحة والاستمتاع بصيد السمك اذ لا جدوى من العمل . ولقد كان من أعز أمانيه أن يعمل ليدخر ما يقيم به بيتا له ، فمواد البناء موفورة والمهندسون على استعداد لتصميم بيوت أنيقة زهيدة التكاليف يوحي بها خيالهم الخلاق المبدع غير أن النفوس قد صدفت عن بناء البيوت .

ومضى يزيد رآيه وضوحا ويقول ان الناس لا يشيدون البيوت لأنفسهم وانما يشيدونها لأولادهم من بعدهم وما داموا لا ينجبون أطفالا فليس ثمة ما يغريهم بالبناء ، فلم يبنون وهم لا يتناسلون بعد أن أجدبوا وأصيبوا بالعقم ؟ ثم أخذ يتحدث عن التلقيح الصناعى فقال انه لا يدري لماذا لم تأخذ الحكومة بعد فى الافادة من آدم ؟

وهنا أجبتته : استمع الى يا صاحبى . اذا تصورت آدم هذا بئرا من آبار البترول فعليك أن تعرف كيف نفيد منه والآن تعجل حتى لا تنضب البئر وتنهار ثروتنا . ان بقاء الجنس البشرى رهن بالمحافظة على نسله ، ومستقبله مضمون باتصال توالده وتكاثره . وهذا شئ من الخطورة

بمكان وخاصة اذا نظرنا جادين الى أن البحث كان يستهدف الافادة من كل ما يملك السيد آدم من طاقة مطرحين تلك الوسائل الفاشلة المبعثرة للجهود ، والتي لا غناء فيها والتي أرادت مؤسسة الاخصاب الصناعي أن تفرضها .

عاود فورمان الحديث عن رأيه السابق مؤكدا اقتناعه به ، وسلامة ما ذهب اليه . ومضى يقول ان الذي يزيد الطين بلة هو أن الاستثمار الزراعي وتشييد البيوت قد أصبحا شيئين لا يعتد بهما ولا يعتمد عليهما لما لحقهما من هزة واضطراب ؛ وأنه لو كان يستثمر أمواله في تجارة السيارات أو بيع الغسالات الكهربائية أو الأدوية والعقاقير أو الخردوات لاختلف الحال وعاد اليه ذلك بالربح الوفير ، فثمة أعمال حرة وألوان من التجارة لم يمسّها تغيير ، فاقبال الناس عليها هو هو ومكاسبها هي هي .

وعلى أية حال فلقد غدا المرء يأبى أن يستثمر أمواله ومدخراته في اقتناء المساكن فهو يدرك الادراك كله أنها سوف تبقى خاوية مهجورة لا تأوى اليها غير الهوام والجرذان أو بعض العجائز الغائيات اللائي أشرفن على العقد الثامن ممن لا يزلن يصارعن الشيخوخة وتصارعنهن . أجل لقد غدا استثمار العقار لا جدوى منه في الحاضر أو في المستقبل .

قلت له : ان المشكلة أيها السيد فورمان تنحصر في نقطة واحدة ، وهي أننا اذا ما أخفقنا في أن نسوس السيد آدم بحكمة وسياسة عم الاضطراب العالم وسادته الفوضى .

فأجاب غاضبا يزمجر : لا بأس وانه لمن الواجب على ولاية الأمور في واشنجتن أن يرعوا الأمر بكفاية حتى لا تخسر الحكومة الكثير وتفقد تأييد الجماعات والهيئات — كبر شأنها أو قل — في الانتخابات القادمة .

فقلت متسائلا : وأى فرق بين الحاليين ؟ أعنى اذا نالت الحكومة تأييدا  
أو لم تنل ما دام الجمهوريون لا يختلفون فى شىء عن الديموقراطيين ،  
فهؤلاء وهؤلاء مجدبون عقيمون ، ولا مناص من أن يهتوا أنفسهم للبدء  
فى الافادة من الاخصاب الصناعى ، ذلك هو الحل الوحيد .

وتطلع الى فورمان محمقا وكأنه يرانى للمرة الأولى ثم قال : هل أنت  
من موظفى الحكومة ؟

— أجل ولوقت معلوم .

— أتعرف أحدا فى مؤسسة إعادة الاخصاب القومية ؟

— نعم .

اذا كنت حقا تعرف عضوا عاملا فى مشروع التلقيح الصناعى فمن الخير  
لك أن تخبره أن الشعب قد سئم هذا كله . أو تصدق أن ابنتى الشابة  
التي تخرجت فى الجامعة هذا العام قد أصابها مس من الجنون ، ولقد زلزل  
فكرها ألا جدوى من حياتها وأنها لن تصلح أمّا فى مستقبل أيامها .

وخلال الدقائق السبعين التي قطعناها الى أن وصلنا واشنطن عرفت  
شيئا جديدا ، شيئا لم أكن أعرفه ، ولم أكن أتخيله : هو أنه لم يعد  
انسان يقبل على الزواج بعد أن أذيع نبأ العقم العالمى فراح الناس كلهم رجالا  
ونساء يعيشون معا دون أن يربطهم رباط الزواج ، كما عرفت أن صناعة لعب  
الأطفال فى مقاطعة ماسوشتس يهددها التوقف والافلاس ، وأنه قد أصبح  
محرمًا على مخرجى الأفلام فى هوليوود أن يشيروا الى موضوع ما يعرض  
للأمومة أو للأطفال لأن فى هذا وذلك ما يؤلم نفس النظارة حين يرونه على  
الشاشة . وقد تخلت « فانى برايس » عن برامج الأطفال فى الاذاعة لتشارك  
الناس شعورهم العام وأخذ المعلمون يقيمون الجمعيات والنقابات ليبحثوا  
مشاكلهم الحاضرة ويؤمنوا مستقبلهم الغامض ، وما ادخرت جامعة هارفارد

وسعا وهي تنفق الملايين من الدولارات في سبيل اصطفاء أهم المعارف الانسانية في شتى نواحيها وتهيئتها في لفافات تعيش على الزمن مخافة أن يخفق مشروع التلقيح الصناعي ، ويحق على الجنس البشرى الانقراض كما رأى داروين ثم يأخذ الانسان في التطور من جديد من الأنواع الدنيا . ان العمل الوحيد الذي أخذ يزدهر ويبرش بمستقبل طيب هو دفن الموتى .

وكان أول ما لفت نظري واسترعى انتباهي في واشنطن هو عنوان ضخم يتصدر ثمانية أعمدة بالحروف الكبيرة يقول : آدم يعيش مع زوجته .

ولقد أدركت في الحال ان للخبر مغزى يؤكد أن جييلمان قد استطاع بدهائه وفطنته أن يقوم بعمل مضاد يرد به على هجوم فاي نوت عضو الشيوخ حين حملت تلك الحملة الشعواء بالمجلس . غير ان الخوف أخذ يساورني فأسرعت أحث الخطى الى جناح آدم في فندق شورهام .

وحين طرقت الباب فتحت لي جين بعد أن أطلت برأسها من ثقب صغير وبعد أن أزاحت رتاجا وسلسلة . فبادرتها أسألها :  
— ماذا حدث ؟

— أسرع . فلقد امتلأ الجناح بالصحفيين والمصورين ، انهم كثرة كثيرة وكأنهم الفيالق من الجنود .

— وهل أذنتهم لهم بالدخول ؟

— أجل . دون شك لأنى لم أشأ أن يحطموا الباب ، غير أنهم لما يلقوا أحدا بعد ، فلقد أنبأتهم أنه غير مباح لواحد منا هنا أن يصرح بشيء ذى صفة رسمية غيرك وغير السيد جييلمان ، فاجتزأوا بالنقاط بعض الصور .

— أى نوع من الصور ؟



— صور لآدم ومارى الين تنطق بما بينهما من محبة ووثام .

— وماذا يفعلان الآن ؟

— انهما معا فى المطبخ ؛ هى تغسل الأطباق وهو يجفنها ؛ ولقد كانا من قبل ذلك لا يفعلان شيئاً غير الاستمتاع بالقراءة . فبينما كان آدم يجلس فى كرسية يقرأ ، كانت ماري الين تجلس على طرف الكرسى تنصت له . كما كانا يقضيان الوقت فى لعب الورق أو يأخذان فى أعمال منزلية هادئة .

وقبلت جين فى أنفها ، ولم يكن أنف جين على التحقيق هو الجزء من وجهها الجدير بالتقدير والتقدير ولكنه بدا فى عيني جميلاً حين ذاك ، وقد كنت أعلم أن الصور اللطيفة المأخوذة للأسرة والمعبرة عن طيب عشرة ووافق هى أقوى دليل على بطلان تلك الاشاعات المغرضة التى تتناول حياة الأسر .

وقلت لجين : يا لك من فتاة ذكية ان ما فعلته لجدير بأن تعلمه ادارة الخدمات المدنية وأن يصلها فى مذكرة مستفيضة مكتوبة فى لغة مهذبة راقية تفصح عن حسن تصرفك وما من شك فى أنك تعرفين أنك سوف تحصلين على مرتبة أعلى فى حياتك الوظيفية نتيجة هذا العمل العظيم .  
فقال جين : انه لفضل كبير منك .

— وماذا كان أثر ما فعله آدم فى ماري الين ؟ وأى شىء فعلته به ؟

— ان الأمور تجرى بينهما على نهج طيب يبعث على التفاؤل ، ولقد حدثتني ماري الين أنها حملت ما كان لآدم على محمل طيب ، وأنها لم تجد فى تلك العلاقة أكثر من هذه الصلة العلمية بين عاشقين لعلم الآثار . ليس ثمة اذن ما يدعو الى القلق وبرهان ذلك أنهما الآن معا فى المطبخ يشربان ويأتنسان .

فخطوت الى المطبخ ، وهو حجرة صغيرة مكتظة بأدوات الطهي وبعض الآنية من أكواب وأطباق غير فضية . ووجدتها معا وبين أيديهما كأسان يرتشفانهما تظلهما السعادة بجناحيها . وعلى حين كان يجلس هومر في استرخاء وكأنه سلك مسترخ غير مشدود يقبض على كوبه مستمسكا بها خشية أن تسقط من يده ، كانت ماري الين على النقيض منه ، يتألق وجهها بهجة ويفيض بشرا وقد لبست رداء من القطن منشى زاهيا رائعا بدت به جميلة جديرة بأن تجمل صورتها غلاف احدى المجلات الأسبوعية فتكون بين يدي القراء المثل الأعلى لأسعد زوجة ماهرة تعتر بمكنسة بيتها الكهربائية .

وقال هومر يئسني ووجهه مطرق الى الأرض : مرحبا بك يا ستيف .  
وقالت ماري تخاطبني : مرحبا بك يا ستيف فقد جئت في الوقت الذي نحتاجك فيه . ولقد كنت قبل مجيئك أطلب من هومر ألا يشغل باله بما حدث ، وألا يعنى بكل ما يقع له من مضايقات هينة كانت أو جليلة ، وما شأنه في ذلك غير شأن عظماء الرجال الذين تعترض حياتهم الحافلة أشباه هذه المضايقات والمتاعب ، وليتخذ من الرئيس العظيم لنكولن مثالا ، فكم سبه الناس وكم انتقصوا من قدره . وما أقرب الشبه بين لنكولن وهومر ! فهو هدف لتلك المثالب التي ضايقوا بها لينكولن . أأست معي في الرأي يا ستيف ؟

— حقا ، وان هذا لأهون ما يكون .

— هلا أخبرته برأيك وطلبت اليه ألا يجعل لهذه المتاعب سبيلا الى نفسه وأن يطمئن باطنا وظاهرا . الا أنها السياسة قاتلها الله ، أليس كذلك يا ستيف .

— أجل هو ذلك بالتأكيد .

وأخذت أفكر وأنا أتطلع اليها أسائل نفسي عما يدور في رأسها وفيما  
نوحى به عيناها المرحتان الواسعتان . ورفع هومر الى رأسه يحاول الكلام  
غير أنه تلبث قليلا ، واذا به بدلا من أن يمضى في كلامه يعكف على  
شرايه .

وأدركت بؤسه وأحسست أنه يعاني عقدة نفسية تستخدم في كيانه  
نشأت مع تلك الشائعات التي راجت حوله في الأيام القليلة الماضية . ولقد  
تألم حين أحس أنه مذنب فيما فعل واعترف به فنطقت أساريره بخوف  
شديد وأخيرا قال :

— يا الهى ! ليتنى كنت رجلا مثل سائر الرجال !

فقلت أشجعه : لا . ان كل الرجال يتمنون لو كانوا مكانك ، وانهم  
عالمون بما أنت فيه .

وقالت ماري الين : بودى أن أخلو بك وأتحدث اليك يا ستيف حديثا  
قصيرا على انفراد ، أترفض هذا يا هومر ؟  
فأجاب هومر — كلا ، حقا كلا .

ثم أسرع بالخروج من المطبخ في نشاط لم أعهده فيه من قبل .  
ولم ترغب ماري الين في أن تمضى مباشرة الى الحديث عما تريد ،  
وقضت برهة تضع الثلج في كوبها ، وأشعلت سيجارة وأخذت ترمقني  
بنظرات متتابة ثابتة من عينيها الرماديتين ثواني معدودة ، وسرعان  
ما فهمت ما تريد وتبينت ما توحى به هذه النظرات ولقد تعودت رؤيتها  
في عيني زوجتي مارج مرات عدة ولقد علمت ان الأمر جد خطير .

وقالت ماري : انه لمن حسن حظ مؤسسة اعادة الاخصاب انى حضرت  
الى واشنطن صدفة ، في الوقت الذى انفجرت فيه القنبلة في مجلس

الشيوخ وفاحت منها رائحة الفضيحة ، أتراها وقعت كما تخيلتها صدفه ؛  
أم كانت وفق خطة سابقة قد أحكم تديرها ؟  
— أتخالين أنى مكيفيلى الصغير أحوك المؤامرات ، وأرسم خطوط  
السياسة فى مكر ودهاء ؟

— انى لا آكاد أملك نفسى من فرط دهشتى بل ان دهشتى لتكاد  
تتبدد أو تبدو هينة ان أنا لم أقطع بأنك قد حملت هومر على أن يلف  
حبله بحبل تلك الفتاة وأن يهرب معها تاركا تبعاته ازاء بيته وأسرته وهو  
بهذا يصبح ضحية سهلة حينما تزج به الى حتفه .

ورأيت أن أنفذ الى أعماقها لأتبين مدى علمها بالأمر فقلت لها : —  
— أى شىء تخالينه وقع على وجه التحقيق بين هومر وكاتى رايدل ؟  
فأجابت فى هدوء : بوسعى أن أخبرك بما وقع تماما ، فلقد غررت به  
وراودته عن نفسها ، وقد يكون ذلك قد وقع مرة واحدة فحسب ، واخاله  
كان وفق خطة محكمة .

— من قال لك ذلك ؟ أهو هومر نفسه ؟

— كلا بالتأكيد ؛ ولو أنه شاء أن يفعل ذلك لحتل بينه وبين أن يفعل ؛  
ولو أنه صارحنى بذلك لتخليت عنه لساعتى ؛ وهذا هو ما عقدت العزم  
على ألا أفعله ..

ولقد أدركت انها كانت تعنى ما تقول حقا وصدقا ؛ وانها مخلصه  
فيما تحس وتشعر ثم وصلت حديثها قائلة :

— مسكين هومر ، انه لصافى النفس ، مخبره ومظهره فى شفافية  
الزجاج . يا له من زوج أمين وديع ؛ فيه حنان وعطف لا أستطيع معهما  
الا العطف عليه ، وان حاول أن يكذب على . ولقد عرفت قصته كلها وألمت  
بتفصيلها منذ الليلة الأولى التى جئت فيها الى واشنطن ، فلقد حدثنى

عن كاتى ، كما حدثنى عن علم الآثار . وأفصح لى عن غبطته الكبيرة حين وجد انسانا يشاركه ميوله وأهواءه ، ثم أخذ يسألنى عما اذا كان ما أفضى به الى وما كشف به عن مكنون نفسه قد أثار فىّ ضيقا وحرك فى ألما .

— أو تعلمين حقيقة ما يحس به ؟

— لقد عرفت على وجه التأكيد منه شعوره ، اذ النساء يملكن حاسة قوية يدركن بها أمثال هذه العلاقات التى تربط بين رجل وامرأة ، وان كن فى الكثير من الأحيان لا يصارحن أنفسهن بما يقع بين أزواجهن وبين غيرهن من النساء ، متعللات بأن ذلك يجرحهن الى ظنون وأوهام تعرضهن للشبهات ، وقد يرمين انسانا بالباطل ، وكثيرا ما تكتم الزوجة بينها وبين نفسها خيانة زوجها ، وتخاف المغبة ان هى طالعتة بالحقيقة المرة موهمة نفسها بأنه لم يقع شىء ، وكم من زوجة تفعل ذلك حتى تمر العاصفة لتستأنف عيشها فى سلام . فى الحق أن شيمة النساء الضعف ، غير أنى لست مثلهن .

— حقا .. انك لقوية الايمان ولست مثلهن ضعفا يا مارى . وقطبت وجهها ، فبرزت عروقه وتميزت ، غير أن عينها اغرورقتا بالدمع ، وغشيتها سحابة كثيفة من الحزن وأخذت تقول :

— ألا تؤمن معى بصدق حبى لهومر واخلاصى له . انك أدرى الناس بهذا الحب — أحبه يا ستيف وسأظل أحبه ولن أبتعد عنه أبدا ، ومن أجل ذلك سأصبر ولن أشكو ضعفا ، وسأواجه الحياة بحقائقها ما دام فىّ عزم على أن أردّه الى بيته ، وما أنا غير امرأة طيبة بسيطة ساذجة لا تغرنى الفتنة ، ولا يأخذ بلبى الغرور والفتون مثل غيرى من النساء ، وسأظل دوما وفيه لرجلى الأول والأخير هو رجل واحد أمين مخلص ، آدم الحبيب ، وأشهد الله أنى سأقاوم وأقاتل كالجندى دفاعا عنه .

— يا له من شعور رائع جميل منك يا ماري ، انك لجديرة بالشكر كله . وما أملك غير أن أشجعك وأحثك على الاستمسك به ؛ غير أنني أرجو أن تنعمي النظر في هذا الموقف الشائك الذي نحن فيه كي تحسني مواجهته بلباقة .

— أعرف أنك سوف تحدثني عن الانسانية وعن واجبي نحو بلادى ، ولكني لا أجد في هذا كله ما يقنعني أو يجدي معي شيئاً ، اني لأمقت الفكرة القائلة بالافادة من هومر في تلقيح عشرة ملايين من النساء ، كما أمقت صلته « بالاطار » .

— صدقيني يا ماري انك لضيقة الأفق ، وان تفكيرك لمحدود ؛ فالأمر يختلف الاختلاف كله عما تفهمين أو تخالين ؛ فلسوف تتاح لك أنت وهومر فرصة ذهبية لحياة زوجية طبيعية ترفرف عليها السعادة ، وذلك بعد أن تنهى اللجنة الاستشارية الطبية أبحاثها التي ترمى الى مجانية الاسراف في استخدام المادة المخضبة من اللقاح ، والموضوع الآن بين أيدي الأطباء وسيفرغون منه ولن يستأثروا بك أو بزوجك غير أيام معدودات من كل شهر .

— مهما كانت افتراضاتك وقوة اقناعك ؛ فما زلت أرفض ما تفعلونه على هذا النحو البغيض ، أو لست موليني شأناً في هذا الأمر ، وقدرا من العناية بي .

— اننى أطلع الأمر كله بنظرة عامة على أنى قد أخذت أفهم الآن ما تحسین حقاً .

— لقد استبدت بي مشاعري ولم أعد أملك معها فرصة للتفكير الهادى ، وهأنذا أحس خوفاً شديداً ، ولقد كنت مغلوبة على أمرى ولم أجد الشجاعة فى نفسى لأناقش موضوعاً ما أو لأدافع عن حقى المكفول

لى اذ وجدت الأمر قد غدا فوق ما تحمله طاقتى وفوق ما يسمو اليه تفكيرى ، لا سيما عندما اختطف هومر من بين يدى فلم أقو على أن أتقدم خطوة واحدة الى الأمام لأسترده ، وبكيت ليلتها بكاء حارا ، وظللت أبكى الليالى كلها ، ولقد كدت أن أقضى نحبى فى الحال لولا تلك السيدة الفاضلة برنددج التى وقفت الى جانبى تشد أزرى وتستنهض همتى ، وتثبت ما ترزعزع من ايمانى . وأخذت أفكر فى وسائل خيالية عنيفة لاختطاف هومر ، كما أخذت أفكر فى اللجوء الى المحكمة العليا ، أعرض عليها مظلمتى ، غير أنى وجدت أن هذا كله عبث ضائع ، لأنى سوف لن أحظى بعطف ما ، لا سيما عطف النساء جميعا اللائى سيرميننى بالغيرة والأناية ، وما أولانى حقا أن أقرّ بأنى أناية فى حبى له .

وأخذت أساءل نفسى عما اذا كانت مارى الين سوف تجعل من خطط المؤسسة القومية لاعادة الاخصاب القومية شيئا معقدا كما سوف تعرقل مشروعاتها .

فسألتها : وماذا أنت مقترحة علىّ لأفعله ؟

فأجابت مارى الين : ليس فى مقدورى أن أبذل جهدا ما مفيدا من أجل الاخصاب الصناعى ، وما أنا براغبة فى الحياة ، وما أحب العيش بعد ذلك ، وأملى الذى لا أمل لى غيره هو أن يبقى هومر على حبه لى ، وان ما أخشاه على من سيدة واحدة فحسب يربو على ما أخشاه من مليون امرأة أخرى من نساء العالم أجمع .

— انى لموقن انك عاقلة أريية يا مارى .

— خبرننى يا ستيف ، هل ستكون فى عونى ؟ أأست بفاعل ذلك ؟

فاستجبت اليها قائلا : سأفعل بكل تأكيد ، ولكن قبل كل شىء انى أعمل فى الحكومة وأنى أقوم على نحو خاص بمهمة مرسومة فى مشروع

التلقيح الصناعي ، وما يجوز لي أبدا أن أتخلى عنهم في هذا الوقت بالذات ، غير أنني أعدك وعدا صادقا أن لك من الآن فصاعدا أن تعتمدى على الاعتماد كله ، وسوف أجهد في ألا أرخي العنان لهومر ليجرى على هواه ، وأقر لك أنني كنت اخالها فكرة صائبة فيما لو أجزنا له أن يبقى على صلة بالاطار صلة لا تعدو المعقول . وهو الآن يعانى الحرمان من متع عدة نتيجة تلك القيود التي فرضت عليه فرضا ، ولعلك تعلمين ذلك فوق ما أعلم ، من أجل هذا فاني موقن أن في مقدور أية فتاة رائعة الحسن والجمال أن تظله برعايتها وعطفها وعنايتها ، وان هذا كله من شأنه أن يحطم كثيرا من تلك القيود ، وما أظن فكرة أخرى تعادل هذه الفكرة صوابا ، وانه الرأي يمليه المنطق في آثاره وعواقبه .. فماذا ترين ؟

— وهل سأبقى هنا ؟

فوعدها قائلا : بوسعك أن تبقى هنا طيلة تلك الفترة المحددة ، حسبما يراه الأطباء بعد فحص هومر .

والواقع اننى وعدتها بما لا أستطيع الوفاء به أو المحافظة عليه . مضت أيام قليلة انقضت بعدها العاصفة التي أثارتها زوابع فای سمننوت وثوراتها المتتالية على الاطار ، وهذا السيل الجارف من اتهاماتها لها . غير أن الجو بقي مكفهرا بعد أن انعقدت في الأفق شائعات تبعث على القلق .

وعادت هذه الشائعات تترى وتنحرك بها الألسن فاذا هي تنطلق وتذاع ، بين الناس في مختلف الجهات . وذلك حين كتبت مجلة ايفننج ستار التي تصدر في واشنطن على صفحاتها الأولى تقول : « أنها مع حرصها على ما فيه نفع الأسرة ، وعلى الزواج والاستقرار ومع بقائها كما كانت بالأمس حربا على الآثام والرذائل والأمراض ، ترى وقد تقاطر عليها في



الأيام الأخيرة سيل من الرسائل التى تتناول موضوع آدم أن تنشر ما جاء بها فى ايجاز وتلخيص على قراءها الكثيرين وعلى الرأى العام .  
ثم ذكرت المجلة كيف دأبت الحكومة خلال الحرب على أن تحافظ على المواد الاستراتيجية الهامة ثم تشير الى الخطوات السديدة التى خطتها لحماية موارد اليورانيوم الثمينة حرصا منها على ثروة البلاد عندما شرعت فى انتاج القنبلة الذرية وعقبت تقول : ان من الواجب أن نعد آدم نفسه — من بين أثمن المعادن بل أثمن من اليورانيوم فى حين لا نملك الا آدم واحداً فان لدينا من اليورانيوم الكثير . وتساءلت فى لباقة : ترى هل الحكومة ساهرة على النهوض برسالتها فى اغناء الأجيال المقبلة ؟ أتراها قد حققت شيئاً من ذلك ؟ ان السيد آدم وزوجته يقيمان معا . وبديهي أن هذا يلزمهما بأن يكونا معا فى فراش واحد . واتتهت الصحيفة الى القول بأن آدم ذخيرة حيوية وحيدة ذات طاقة محدودة . وان على الحكومة من أجل هذا أن ترعى حقوق الشعب ، بل حقوق الانسانية كلها قبل أن ترعى شؤون الزواج والأسرة .

ونشرت صحيفة تايمز هيرالد نفس الحديث غير أنها ساقته فى أسلوب آخر فلقد كتبت فى اليوم التالى مقالا بعنوان كبير : هل هذه خيانة ؟ ومضت التايمز هيرالد تقول : ليس ثمة شىء أولى بعنايتنا الكبرى مما يحمل نذر الخطر من الكشف عن صلة هومر بكاتى أو بزوجه ، فالحالان معا تفضحان اهمال الحكومة فى أجلى صورة . وهذه هى الخيانة العظمى بعينها بل هو القضاء على المرافق العامة .

ومضت الصحيفة تشير الى حديث المغوليين اللذين لم تنف موسكو وجودهما والعثور عليهما . وأخذت الصحيفة تسأل عما اذا كان الروس قد بلغوا الدرجات العليا من التطور والرقى فى مشروع التلقيح الصناعى .

ان الظواهر لا تؤيد هذا الادعاء . فاذا كان ذلك حقا فأى السيلين يؤثر الشيوعيون سلوكها : أيشنونها على الولايات المتحدة حربا مبيدة ، أم يقضون القضاء كله على السيد آدم ؟

قد يكون الرد الوجيه الحاسم على هذا السؤال هو وضع السيد آدم في حراسة عسكرية مشددة ، وأن تأخذ الحكومة في شن حرب وقائية على الروس قبل أن يفوت الأوان .

وفي اليوم التالي وكان يوم خميس ظهرت الصحف مكتظة برسائل وبرقيات الى رؤساء التحرير . وكانت الكثرة من هذه الرسائل لسيدات تفيض كلها احتجاجا صارخا على زوجة السيد آدم ، كما تضمنت تلك الرسائل والبرقيات الاحتجاج على نواب الأمة بالكونجرس الأمريكى . ومن البديهي أن هومر ومارى الين كانا على علم تام بما يجرى ، ولقد أثارهما هذا وأقلق بالهما ، فرأيت أن أصحبهما في ذلك اليوم الى ماونت فيرنون علهما يستبدلان بجو المدينة الصاحب جو الريف الهادىء الجميل .

وكنت أرمى الى ابعادهما عن المذيع . ولقد قضينا يوما هادئا جميلا وحين عدنا تحدثت الى جين من المكتب قائلة :

— أين كنت ؟ لقد جهدت فى أن أتكلم اليك طيلة النهار . لقد غدا الجميع يوجهون اليك طعناتهم من الخلف ، وكأنك هدف لتدريب الرماة . انهم يلقون عليك التبعة كلها ويجعلونك المسئول الأول عما حدث .  
— أنا !

فقلت جين تحذرنى — انهم يريدون أن ينتزعوا منك وطبفتك .

— اليهم وظيفتى وفي مقدورهم أن يستردها .. و ..

ورنوت الى ماري الين وهي تقف الى جوارى وتكاد تمس كتفى  
ومضت جين تقول : —

« لقد أرسل اليك السيد بمفري مذكرة عاجلة فيها : أن عليك أن  
تحضر اجتماع لجنة اعداد الخطط الذي سيعقد غدا في العاشرة صباحا » .  
— حسنا سأكون هناك .

حين انعقدت لجنة اعداد الخطط في صبيحة اليوم التالي كان أعضاء  
اللجنة يبدون وكأن على رؤوسهم الطير . اذا نظرت اليهم خيل اليك  
انهم أعضاء في مجلس ادارة مصرف قد فرّ صرّافه وهو يحمل كل ما في  
الخزينة من أموال ، وراعتنى حين دخلت نظرتهم الىّ وكأنى ذلك الصراف  
الهارب .

يا للعجب ، ماذا دهى جيلمان وكلوتس (كلتز) فجعلهما يفران منى وكأنهما  
يخشيان دنسا أو يخافان أن يحسبا شريكىّ ؟ وها هو ذا بمفري ينظر الىّ  
شذرا وكأنى متهم عنده بمحاولة الاعتداء على حياته . ثم أخذ يقول لى  
وقد بدا وجهه منتفخا تعلوه نقط أرجوانية : ما أسعدنا بوجودك بيننا  
آخر الأمر أيها السيد سميث ما أخالك فى حاجة لأن أخبرك أننا فى أزمة .  
قال هذا وضباط الاتصال من وزارات الدفاع والداخلية والبحرية  
والصحة جلوس يشاهدون ومقاعدهم مسندة الى الجدار ، وهم أكثر  
ما يكونون أهبة واستعدادا للاصغاء وبدوا لى وكأنهم صبية صغار أخذوا  
يتطلعون الى معركة على الجانب الآخر من الطريق .

وجلوس فى ركن من الأركان دانى وليامز سكرتير رئيس الجمهورية  
عابسا ، وقد كان يعمل معى فى الصحيفة ، واتسمت قسماى وجهه بالجد  
والصرامة . غير أنى ما كدت التفت اليه حتى غمز باحدى عينيه . ومضى  
بمفري يقول : ما أكثر ما كنا نثق بك أيها السيد سميث ثقة لا حد لها ،

وها نحن الآن نرى أننا كنا مخدوعين — أسمع هذا أيها السيد — أقول  
لقد أصبحنا نحس بالخديعة .

— ما زلت أرى بقاء هومر الى جانب زوجته بعض الوقت شيئا تمليه  
الضرورة ، لقد وكلتم اليّ أن أردّه الى صحة كاملة ليكون على أهبة البدء  
في المشروع ، وهذا هو ما قمت به دون أن أتقص شيئا ، واذا قال واحد  
منكم أيها السادة أن في مقدوره أن يضاعف العناية بهومر ، فاني على  
أهبة لأن أنزل عن منصبى وأقولها لكم صريحة أيها السادة : اتى عندها  
سوف أكون سعيدا ، وسعيدا جدا .

وفجأة بدا في عيني برسى كلوتس ذلك البريق الطائش الذي عهدته  
فيه وصاح يقول : « لقد وقع ما كنت أنتظره ، ان هذه المهمة الضخمة  
لا يقوى على حملها جمع من الناس فما بالكم برجل واحد ، انى لأومن  
بأنكم معى على أن المهمة سوف تزداد ثقلا ، انا فى حاجة الى تنسيق جديد ،  
جديد كل الجدة ، وقد أعددت لكم أيها السادة رسما مفصلا بهذا التنسيق  
الذى أراه . وقبل أن يتكلم أحد الحاضرين نهض واقفا وجذب خيطا ؛  
فانبسطت خريطة كانت مطوية فوق الجدار طولها ستة أقدام وأخذ يقول :  
ان كل شيء سيبقى كما كان هناك فى رأس الخريطة الا هذا الجزء الذى  
فيه السيد آدم ؛ كما سوف تبقى فى قسم العمليات الهيئة المسئولة عن  
املاء السياسة الخاصة بالسيد آدم . غير أننا سنزيد أعضاء الهيئة ونضم  
اليهم مندوب الحكومة أيرضيك هذا أيها العقيد فيلبس سمايث ؟

وكان فيلبس سمايث حينئذ جالسا مسندا مقعده الى الورا وقد شبك  
ذراعيه ، وما كاد يسمع اسمه حتى استوى فى مكانه وأخذ يقول :

— نعم ان وزارة الدفاع لتقر هذا . وتعليمات القائد تملى بأن أهم  
ما تعنى به وزارة الدفاع هو مبدأ السلامة . وما أنا فى حاجة الى أن أثبت

لكم انه لو كان أمر سلامة آدم موكولا الى وزارة الدفاع وحدها من الناحية الحربية ما توالى الكوارث تباعا .

وانبرى كلوتس يقول وهو يشير الى جملة مربعات تميزت في أسفل الخريطة :

— انى لم أترك صغيرة أو كبيرة الا حسبت لها حسابا . ( ثم أضاف يقول ) وان أول شيء سوف تتناوله يد التغيير والتبدل هو السيد سميث طبعا . وأظنه لا يمانع في ذلك .  
قلت : لست أمانع في شيء .

قال كلوتس : حسنا ولسوف يبقى السيد سميث في عمله مساعدا خاصا للمدير العام على أن يعاد تشكيل اختصاصه اذ أننا سوف نمده بجملة من المساعدين يتولون عنه العناية بالسيد آدم . فسوف يكون هناك من هو مسئول عن سلامته الشخصية ، كما سوف يكون هناك من يسهر على نظام معيشتة ، ومن سيشرّف على أوقات راحته ، على حين سوف يعنى رابع بصحته الى غير ذلك .

فقال بمفرى : أراك نابغة ، وما أحسن الرأى الذى ارتأيته .  
فقال « برسى » فى زهو : انه مشروع يسير أعرضه لاعادة تنظيم المؤسسة ونظر الى بمفرى جييلمان وأخذ يسأل : أتخال هذا يوقف حملات النقد ؟

فأجاب جييلمان : اخال ذلك ان انفصل آدم عن زوجته .  
فقال بمفرى : ماذا ترى أيها السيد سميث ؟  
قلت : هذا رأى سئء . فلو أنك قيدت حرية آدم ثانية فسوف يصيبه الاعياء بل لعله يطيش صوابه فانظروا أى مصير تنتظرون .

ولقد كان داني وليمز قد بقى الى هذا الوقت صامتا ، ثم اذا هو يشارك

في الحديث فيقول : ألا ترون أنه من الخير أن يصدر تشريع عاجل يلزم آدم بمدنا بالأطفال وهذا أولى من أن نضيع الوقت في شرح ما تضمنه هذه الخريطة الغامضة .

وأجاب بمفري قائلاً : حقا حقا . هذا ما كنت على وشك أن أقوله لك اذ شعارنا يا سيدي هو الانتاج ثم الانتاج ومزيد من الانتاج .

فسألني وليمز قائلاً : استمع الي يا ستيف : أتؤمن ان آدم على حال تتيح له البدء في الانتاج ؟

— أظن ذلك غير اني لا أود أن أدلى برأى قبل أن يتبينه الأطباء ويرون صلاحة .

قال بمفري : هل ترى ان هذا السيل الجارف من النقد اللاذع والحملات الصحفية الشديدة للهجة سيقف اذا ما بدأنا بتنفيذ التلقيح الصناعي ؟

فرد جيلمان يقول : أوقن بذلك لا سيما اذا أبعدا هومر عن زوجته .

قال وليمز : وهذا هو ما رآه فخامة الرئيس وهو يؤمن بأن من الواجب البدء في الانتاج على عجل اذا كانت صحة آدم قد تحسنت . واخال أنه من الخير أن تفصل ما بين آدم وبين زوجته الآن على أقل تقدير ، حرصا على صحته وحرصا على مصلحة الوطن السياسية ، واني لأرى أنه لا جدوى من مشروع اعادة التنظيم الذي تناقشونه اذ ليس ثمة ما يوجب ذلك .

كان هذا الرأي بالطبع هو مسك الختام ، أو كان هذا هو ما تخيلت وقوعه على الأقل .

ولقد كان كلوتس كيبيا فطوى خريطته ، يبدو عليه الأسى وكأنه

مخترع صدم لأن آلتنه ذات الحركة الدائمة عجزت عن أن تعمل . وارتسمت على وجه فيلبس سمايث بسمات المرارة وأخذ يهتهم ويزمجج بكلمات لم أتبينها في جلاء ؛ وان كان يبدو أنها موجهة الى .

وهكذا قلت : اذا رأى الأطباء صلاح آدم فمن اليسير البدء يوم الاثنين .

وحين علت الى آدم وجدت مارى الين تعد حقائبها وهى تبكى دون أن يسمع لبكائها صوت ، تنحدر الدموع على خديها وهى تكفكفها بظهر كفها ثم استدارت الى تقول :

— ما عليك ان لم تصارحنى بأنه واجب على أن أغادر المكان فلقد أدركت مصيرى بالأمس منذ أن أخبرتك جين بالتليفون عن اجتماع اليوم .

— لا تراعى ، ولنحمد الله على أن الأمر لم يعد هذا .

— ولكن خبرنى على أى شىء قر قرارهم ؟

— لقد قرروا البدء فى التلقيح دون تلبث ، وبدا لهم أن يتم الانفصال بينكما الى حين ، وانى لمؤمن أن هذا من الخير ، فلسوف يصعب عليك حتما البقاء هنا فى الوقت الذى سوف يقوم فيه هومر بأداء مهمته ، أليس ذلك صحيحا يا مارى الين ؟

قالت فى صوت خافت : لا أخال ذلك ، ولا أخال ان الأمر سيبلغ من الحرج الى هذا الحد .

قلقت وأنا أحاول اقناعها : من المؤكد انه سيكون ثمة حرج ، وعلى أية حال فلن يكون هذا الانفصال غير شىء موقت الى حين ، وعندما يبدأ الانتاج ويبلغ مبلغ الرضى والقبول ويستوى على أساس مكين فسوف

يكون من اليسير اتاحة الفرصة لك ولهومر أن تعيشا معا ثانية تحت سقف واحد ، وتستأنفا حياتكما السعيدة .

قالت ماري : أضرع الى الله أن يحقق هذا الأمل .

قلت : وأى شيء يحملك على الشك في أن هذا الأمل لن يتحقق ؟  
وانتفضت واقفة منتصبه القامة لا تستشعر خجلا ما في تلك الدموع التي انحدرت وسالت ، ولأ في تلك الثورة التي ملكتها وهي مغضبة : انها تلك الفتاة « الاطار » تضيق عليه الخناق من جديد وتحيطه بشباكها .  
— تضيق عليه الخناق ، وكيف ؟

— لقد طلبته بالتليفون هذا الصباح من كاليفورنيا ، ترى أى شيء تريد منه ، ولهم تلح في تضيق الخناق عليه ؟  
— وأى شيء تريده من آدم امرأة أخرى غيرها من النساء ؟ انى لوائق أنها تنشد انجاب ولد منه .

— لا أخال ذلك فالأمر أعمق مما تخال ، واني لخائفة يا ستيف خوفا شديدا يهز كياني كله .

وعدت أذكر تلك النظرة التي ارتسمت على وجه الاطار تلك النظرة انحاقة التي ومضت بها قسّمت وجهها وهي تركب الطائرة ، وداخلني شعور غامض يثيره الخوف والشك والظنون ، غير أنى لم أشأ أن أفصح عما أحس به وآثرت أن أقول :

— لا تدعى القلق يساورك ويتسلط على نفسك وسأعنى بكل ما يقع ، هل تحدثت مع هومر في شيء من ذلك ؟

— كلا .. لقد كنت معه في حجرة الجلوس عندما طلبته بالتليفون ولقد سألته بعد ذلك مع من كان يتحدث وأخبرني انها « الاطار » وقنعت بأن أقول له : انه لجميل منها أن تسأل عنك .



— وبأى شيء أخبرها ؟ فى أى شىء حدثها ؟

— لقد كان يتمتم ولا يفصح وكأنه خنزير لا تبين كلماته وما أمسكت

أذناى غير قوله « نعم أو لا » اذ كان يوقن أنى أنصت اليه .

— وأين هومر الآن ؟

— انه فى المطبخ ينتظر وهو غارق فى تفكيره ممعن فى تأملاته .

فقصدت الى المطبخ ووجدت هومر واقفا يحملق فى قدر كبير من

اللبن وكأنه يرقب أن يثب من داخله مخلوق غريب ، فأخذت أذكره بموعد

اجتماع لجنة اعداد الخطط فما أعارنى انتباها ما ، وكأنتى كنت أتحدث

فى شأن عادى تافه لا وزن له عنده .

فقلت له : لقد انتهى الى أن كاتى كلمتك بالتليفون اليوم ..

— أجل .

ثم لزم الصمت برهة وعاد يقول : من العسير علىّ يا ستيف أن أنساها .

انها تشغل فكرى دوما .

— ولكن مارى الين تحبك حبا عميقا مخلصا ، ولقد غدت فريسة

لصراع نفسى عنيف تكبته فى أعماقها ولم تشأ أن تفصح عنه لانسان ما

أو تلمح أو تجأ بالشكوى . انها لمثل أعلى للزوجة الوفية النادرة وهى

حقا تحمل اسم الزوجة الرائعة العظيمة .

— أعرف ذلك وانها لحقا عظيمة رائعة ولكن دبرنى بربك ماذا أنا

فاعل ، وكاتى لا تبرح مخيلتى ، وقد أفلت منى زمام نفسى ، وما عاد

بوسعى أن أهيمن على مشاعرى .

— لا أنخال الحب قد برح بك الى هذا الحد .

ثم أخبرته ان الفحص الطبى الأخير الذى سيقوم به الأطباء سوف

يبدأ في الغد ، وبعدها يبدأ التلقيح الصناعي يوم الاثنين ، هذا اذا جرت الأمور على ما نحب وفقا للخطة الموضوعة المتفق عليها .

غير أنه ظل أمامي على حاله لا يلقى بالا لما أقول وكأن ذلك لا يعنيه في قليل أو كثير ولبث مرخيا العنان لخياله .

ورحت أسائل نفسي : « ترى أى شىء قالت له كاتي ! » فلقد غدا في غيبوبة وكأنه ابتلع مخدرا شديدا الأثر ففطق خياله يسبح في أحلام غريبة وما عاد يحس ما حوله ولا يدري ما يفعل .

وذهبنا مع ماري الين الى المحطة حيث أركبناها القطار الى نيويورك ودارت بينهما خلال ذلك أحاديث شتى لم تكن تهدف الى غرض جليل واضح وكل ما كان ، انها وعدته أن تكتب اليه يوما بعد يوم لتحديثه أولا فأولا عن أخبار ابنته اليانور ، ولقد وعدتها هو الآخر بالرد والسؤال ، وأفصحت هي له عن أملها في ألا تطول غيبته عنها وعن طفلته وفي أن يجمع الله شملهما من جديد .

وقال لها انه مطمئن الاطمئنان كله الى أن صديقه ستيف سيهيء له زيارة الى بلدته تارى تاون فيما بعد كما أفصحت هي عن أملها في أن يكون التلقيح الصناعي ناجحا مشرا نافعا للبشرية ، وفي أن يكون تجربة طيبة تؤتى ثمرتها على عكس ما يظن به . واختتم هومر حديثه بقوله انه يرجو أن يعتاد هذه التجربة ويألفها .

وتحدثت الى ماري الين فأخبرتها أن في وسعها أن تبتاع ما تشاء من ملابس لفصل الربيع وما عليها الا أن تبعث لى بقائمة الحساب اذ أن المؤسسة القومية لاعادة الاخصاب قد خصصت من ميزانيتها قدرا من المال يكفى لسداد كل ما تحتاج اليه من نفقات .

ونزلت ماري من القطار وانحنت تودع هومر بقبلة طويلة حارة في فمه

وتعلقت برقبته واحتضنته ، وكان من اليسير أن أعرف ما يدور بفكرها وأن أدرك انها قد شعرت بأنها تفارقه الى الأبد وانها لن تراه بعد ذلك .  
و حين عدت من الفندق اتصلت بتومى طومسن وقد وعدنى بأن يحضر الى واشنطن صباح الغد وهو يقول :

— هناك مفاجأة لك يا ستيف .. مفاجأة ستعلمها غدا .

وأخذت ألب مع هومر الورق الى منتصف الليل ، وبعدها استمعنا الى الأنباء الأخيرة وفي البداية دوى فى سمعنا خبر مثير وهو أن الأطباء راغبون فى أن يبدأوا تجربة التلقيح الصناعى يوم الاثنين وانهم لما يوقفوا بعد الى اختيار الأم الأولى التى ستحظى بأول تلقيح صناعى. والى هياتها الأقدار لتحمل من جديد علم الانسانية عاليا وتسير به قدما الى الأمام .



## الفصل التاسع

في صبيحة اليوم التالي حضر الطبيب طومسن ولم يكن وحده بل كانت في صحبته مارج ومارية أوستنهايمر ؛ كما جاء بوجي رئيس التحرير ، وقد قال لي وهو يدخل : ليست هذه زيارة من الزيارات المألوفة بل هي لجنة من الزوار ، ترى هل يتسع المكان لنا جميعا ؟

— على كل منكم أن يبحث له عن غرفة .

وما قلت هذا حتى نظرت الى مارج أقول : أما أنت يا عزيزتي فلا أخالك في حاجة الى أن تبحشى عن غرفة خاصة بك .

عندئذ قالت مارج وهي تكاد تذوب رقة : لا أخال ذلك . ألا تحب أنت أيضا أيها الحبيب أن أشاركك غرفتك .

— حدثيني يا مارج مالي أراك هكذا رقيقة لطيفة ؟

— لا شيء يا عزيزي . ألسنت سعيدا برؤيتي ؟

— لا شك ، غير أنك عودتني رقة لا تقاس الى رقتك هذه ، اللهم

الا اذا كنت تنشدين شيئا أو أنك جئت أمرا سييء .

عند هذا أنكرت على مارية قولي ووصمتني بالمبالغة في الشك .

وجرى الحديث بيننا الى أن قطعه علينا بوجي وهو يقول : أو من أن ما حدث لآدم يدل على سوء النظام الحكومي ، فلقد تكبدت الدولة نفقات طائلة لعل أيسرها هذا الجناح الفخم الذي يقيم فيه وما ينزل به معه على سعته غير أشخاص ثلاثة هذا اذا عددنا جين التي كانت تقضى فيه بعض الليالي بين الحين والحين .

فقلت له : استمع الى يا بوجى . لو لم يكن هذا الجناح للتلقيح  
الصناعى لجعلناه لدراسة قوى الرجال الجنسية .

عندئذ اكفهر وجه هومر ورأيت تومى لا ينفك يراقبه دون أن يقول  
شيئا . غير أنى لم أقلق لهذا ، فلقد أدركت أن هومر كان رضى النفس  
رعى البال ، وان همومه توشك أن تكون قد فارقتة ، فلقد أخذ يبادلنا  
الحديث .

وفى الحادية عشرة خرجت أنا وتومى نصحب هومر الى وزارة الصحة  
لفحصه وكان هناك تسعة من الأطباء أو عشرة يمثلون بجمعهم الادارات  
كلها التى كانت تعنى بهذا المخلوق التعس « هومر » . ولقد بقى الأطباء  
يفحصونه ما يقرب من ساعة ثم اختلوا فى اجتماع للتشاور دقائق معدودات  
عاد بعدها تومى الى يقول :

— لقد تبينوا أن هومر يصلح ، وسيصدر كبير الأطباء نشرة رسمية  
عن ذلك ، غير أن أهم ما فى الأمر هو انكم لن تستطيعوا الافادة منه  
الا افادة محدودة .

فقلت والعجب يملكنى : ماذا تعنى بقولك الا افادة محدودة ؟

— اذا ظلت الأمور كلها تجرى وفق ما يرام استطعنا جعل هومر يلحق  
امراتين أو ثلاثا كل أسبوع فاذا ما زاد وزنه وتحسنت صحته كان من  
اليسير أن نزيد هذا العدد .

وكلت أصرخ وعدوت فزعا الى التلفزيون وكأنى من صغار المحررين  
الذين ما يزالون يتدربون أو كأنى شبل من أشبال الصحافة قد غمره الفرح  
حين تحقق له أول سبق صحفى وتحدثت الى بمفرى وأنهيت اليه الخبر ،  
ثم اتصلت بدانى وليمز فى البيت الأبيض ، وكان كما تبينت فى حيرة وارتابك  
وكانه طائر سجين فى قفص اذ وجدته لا يفهم عنى ما أريد حق الفهم ، الأمر

الذى جعلنى أعيد عليه الكلام مرات وأكرر له كل ما قاله لى تومى . ثم سألتنى : اخالك تحس أن لا وجود لوظيفتك الآن .

فقلت : انى أحب حياتى التى ليس لى غيرها فداء لبلادى ، ولتصدقنى أيها الأخ اننى قد وهبتها لها حقا .

— آه ، كلا انك لن تفعل ذلك ولسوف لا نرضاها لك كما أننا سوف نرضى عنك حين يصل التلقيح الصناعى الى النهج النافذ الشائع .

فقلت أدافع عن نفسى : ليس هذا من العدل فى شىء يا دانى . لقد رضيت أن أهيبء لآدم ظروفًا تتيح له الانتاج المشر على أن يكون لى بعد ذلك الحق كل الحق فى أن أستمتع بحياتى الخاصة أصرفها كيف أشاء .

— فى مقدورى أن ألقى عليك محاضرة كاملة عن الواجب الوطنى غير انى أومن أنك فى غنى عن مثلها ، لا سيما وانك تعلم أن مهمتك لا تزال قائمة ولما تنته بعد . هلا فكرت فى حياتك المقبلة ؟ أتريد أن تبقى زوجتك بلا أطفال ، أمن أجل هذا الشأن تلزم نفسك وتلزمها أن تعيش معك دون انجاب . أتقبل أن تخرج من هذه الحياة هكذا صفر اليدين دون أن يحمل ابن لك من بعدك .. ( وتلبث قليلا ثم قال ) اسم استيفن ديكاتير سميث الثانى ، ودون أن يخلد ذكرك ؟

فقلت مدعنا : حسنا يا دانى ، غير أنه حين يصبح المشروع فى مرحلة المنهج النافذ الشائع تكون مهمتى قد انتهت .

— وحين تتم الأشياء كلها على خير وجه وتبلغ أهدافها بمعونتك لنا فى هذا العمل فما من شك فى أن رئيس الجمهورية لن يتخلف عن منحك والانعام عليك بوسام التقدير والجدارة لاخلاصك لوظيفتك .

وعندئذ ذكرت الكولونيل فيلبس سميث فسألت دانى عن جدوى ذلك

الوسام — وسام دانى — ذى الطرف المدبب ، غير أن تومى جذبنى بيده من كنفى وهو يقول : ان السيارة فى الانتظار وانه هو وهومر يتعجلاننى فى الخروج .

وعلى ذلك ذهبنا الى الحفل . وقد يكون من الخير أن أصوره لكم : نم نحس أنه حفل لا حين بدأ ولا حين انتهى ، ولكننا أحسنا ذلك حين غادرناه . وتفسير ذلك انه من العسير أن تحشد نفرا كبيرا من المدعوين فى عدد كبير من الغرف ثم تستطيع أن تقدم لهم الشراب فى سخاء كبير وبكميات وفيرة اللهم الا اذا كان المدعوون يعون سببا وجيها لهذه الدعوة ولا يحسون انها زمرة غير متجانسة . على أن الحفل كانت تحفز اليه مناسبة هامة ، وهى البدء فى التلقيح الصناعى واخراجه الى حيز التنفيذ . وقبل أن يغادر الحفل كان الكثيرون يرقبون الحكم النهائى والقرار الأخير . وفى الحق لقد كنت كلما عدت بذاكرتى الى هذا القرار الجماعى يبدو لى أنه شىء محال . ففى ذلك اليوم المشهود الذى أخذ فيه هومر يرسل أنفاسه الأخيرة مثله مثل السمكة التى بقيت طويلا خارج الماء ، أخذ اليأس يدب الى قلوبنا واذا أيدينا تمسك صدورنا من أن يمزقها الهم والقنوط ، غير أن القرار بعد ذلك ظل يحظى بموافقة الجميع على أنه الوسيلة الصالحة لتحقيق الهدف المرجو من التلقيح الصناعى .

وراح كل منا يتلطف الى هومر وكأنه قد ربح الجائزة الأولى . وبدا هومر رضى النفس بهذه المعاملة الطيبة ، وما كان لنا أن نصفه فنقول انه كان مزهوا فخورا حين جلس على الصدر ، بل لقد كان بطنه مشدودا على عادته ، وقد بقى أشبه بالعليل وقد تركه جمهرة من الأطباء لساعتهم بعد فحص وتشخيص دقيقين ، غير أنه كان مطمئنا الاطمئنان كله بعد أن عرف منهم ان الأمل كبير فى أن يحيا بقية عمره سليما معافى ، ولكنه على

الرغم من ذلك بقي قريبا من التلفون وكلما دق جرسه اندفع ليرد على المتحدث .

وكنت قد اتخذت منذ أمد طويل الوسائل الكفيلة بمراقبة أحداثه في التلفون وأعددت من أجل ذلك ثبنا خاصا يجمع الأشخاص الذين يتاح لهم أن يتصلوا بهومر عن غير واسطة ، كما أعددت ثبنا آخر يجمع أسماء الذين يختلفون الى المؤسسة القومية لاعادة الاخصاب ، وأخيرا دق جرس التلفون فرفع هومر هذه المرة أيضا السماعه ولم يطلب الى كما لم يطلب الى جين أو الى بوجي أو الى أى فرد آخر من الحاضرين الرد أو الحديث . وبدا وكأنه يحتضن التلفون ، فدلقت الى جواره ، وعبثا حاولت أن أسمع منه غير كلمتي لا ونعم ثم همهمة وزفيرا ولأ أستئين منهما شيئا .

وحين انتهى من حديثه هبطت الى عاملة التلفون وسألتها :

— الى من كان يتحدث هومر الآن ؟ ومن ذا الذى أباح له هذا الاتصال ؟

وقالت الفتاة في عجب : انه السيد آدم نفسه ونحن لا نمنعه من أن يتحدث في التلفون لا سيما اذا كانت المتحدثه هى الأنسة كاتي .

— ومنذ أى وقت جرت الأحاديث بينهما متصله في التلفون ؟

— ان الأنسة كاتي تتصل به كلما جاءت الى واشنطن .

فشكرتها وصعدت الى الجناح ، وما كانت ثمة نتيجة ترجى لأى اجراء اتخذه وما كنت راغبا في أن أثير هومر ، من أجل ذلك آثرت أن أدع الأمور كما هى . ولقد بدا لى أن هومر سوف يشغل خلال أيام قلائل شغلا كبيرا ليغمر الكرة الأرضية بأبنائه ولن تعود كاتي نفسها تعنيه في كثير أو قليل .



كنت على يقين من أن بوجى لم يترك أثراً طيباً في نفس هومر ؟ ففي عصر ذلك اليوم وكنا جميعاً جلوساً تعنى بثئوننا مضيقتنا مارج ، راح تومى طومسون يحدثنا عن تجاربه ، وما يأمله من الدواء العجيب الذى كشف عنه ، وأكد انه يشفى بويضة الذكر بهذا العقار الجديد الذى أعده من بعض الأعشاب البحرية ونحوها . وان كان لم يأت بعد بنتائج طبية ، وقد أحدث هذا أثراً في الذين جربوه عن مرض وغير مرض ، غير أنه لم يقع أن حملت زوجة بعد تناوله ، ولهذا فقد بدأ يعيد النظر الى التركيب من جديد ، ويخضعه لتجارب أخرى .

فقال هومر : ليت هذا الدواء يشمر ، ولتتخيلنى عندها حراً أفضل ما أشاء ، أظننى سأعود مثل غيرى من الناس يوماً من الأيام ؟ عندها قال بوجى : لا تكن كبير الأمل ، وانى على هذا لا أرى معنى لتعذيب هومر في هذا المجال خاصة وانه قد راح ضحية سوء الاشراف وسوء المراقبة .

وأشار الى تومى باصبغه النحيل وقال : انك ترهق نفسك في صراع مع القدر ، ومن الخير أن تأخذ هذه الفتاة ، وتذهب الى مكان خال ثم لتمض معها وقتاً طيباً .. ( قال ذلك وهو يشير الى مارية ثم استرسل يقول ) هناك تنسى كل شئ عن الجنس البشرى .. تنسى أن العالم الذى نعيش فيه قد أصابه البلى والوهن ، والشيخوخة ، ولقد قضت ارادة الله أن يفنى وأن يقضى عليه . وحين انفجرت القنبلة الذرية في ولاية المسيسيبي كان من اليسير أن ينجو العالم ويسطع نجمه من جديد .. ولكن الله أراد له أن يذهب بدداً ويفنى فناء قطعة من الفحم .

وخلال هذا كافت مارية تجلس على مسند المقعد الذى ارتمى عليه

تومى ، وانتظرت هنيهة تسمع اجابة هذا الأخير على بوجى ، وحين لم تجد منه الا الصمت نظرت ، هى ، الى بوجى وقالت :

— استمع الىّ سأخبرك الآن عن السبب الذى يدعو تومى الى القيام بمحاولاته . لماذا يعمل هو ؟ ولماذا أعمل أنا أيضا ؟ اننا نحارب من أجل ما هو أبعد من حياتنا .. اننا نكافح من أجل بقائنا ، من أجل ما يربطنا بالماضى وبالمستقبل .. الأطفال هم صلة الانسان بالخلود ، وهم السمة الوحيدة لبقائه ، ومن أجل ذلك نريد لهذا العالم أن يزخر بالأطفال ..

وهز بوجى راسه فى انكار واشمئزاز وقال : أنت تتظنين الى الأمر نظرة قصيرة ، أما أنا فأنظر اليه نظرة طويلة وعميقة ، هل تعتقدين أن الحياة لنا وحدنا ؟ ان الكوكب الذى نعيش على ظهره ، ليس الا واحدا من ملايين الكواكب التى تدور فى الفضاء ، وبينها مسافات طويلة تعد بملايين السنين الضوئية ، ولا بد أن بعض هذه الأجرام السماوية تحمل مخلوقات يعتقد أن لها أرواحا ، وأن بينها وبين الله صلة ، وانه لمن الانانية أن يظن غير ذلك .

وأخذت مارية تناقش بوجى وتقول : أنا معك فى هذا الرأى على انه قد تكون هناك حياة أخرى من نوع ما على ظهر بعض الكواكب ، أو الأجرام السماوية ، ولكنك لن تستطيع أن تقول عن هذه الأحياء انها بشر وانها تحيا حياة البشر .

وأجاب بوجى : ان هذه الحياة رهن بالمعنى الذى تقصده من كلمة بشر . فقد أتخيل مخلوقا بشريا على كوكب آخر كالكرة الأرضية مثلا له أربعة رؤوس وثمانى أذرع ولو رأيناه على هذه الصورة لعددناه وحشا لأن صورته تبدو لنا غير مألوفة ، ولكن قدرى كيف يكون أسعد حالا منا نحن الذين ليس لنا الا راس واحد وذراعان اثنتان ، فهذا المخلوق قد

يستخدم رأسا للرياضة وثانيا للأدب ، وثالثا للفلسفة وقد يكون الرابع للشر . فكري وأنعمى الفكر فى مدى ما يثيره هذا الانسان من مزاح ..

قالت مارج انها لتؤمن أن بوجى خبلا ثم وانه قد بدا مخيفا يثير فى نفسها الرعب ، ولكن هومر كان ينصت وهو مأخوذ مفتون وقال :  
— لو صدق مثل هذا الرأى ، وتحقق وجود مثل هذا الانسان ، فلن تسوء حالى كثيرا اذا أخفقت فى أداء مهمتى . ياليت هذا الرأى كان صحيحا ! هل يتحقق ؟

فرد بوجى قائلا : على العكس . وفى رأى انه سوف لا يتبع اخفاقك أو نجاحك شىء ، وستظل الحال كما هى عليه ..  
فقالت مارج : لا تنصت اليه يا هومر ، انى لأرى انه قد غدا عجوزا خسرَفاً .

قال بوجى : على النقيض مما ترين ، فان ما يجعلنى أستمسك بعقلى وأستمسك بايمانى بالله أن العالم الذى نعيش فيه لا يأتى الا فى الطبقة الثالثة ، وان الله لا يعنى به كثيرا . انه كالشمار التى أهملت ولم يقطفها أحد فبقيت فترة طويلة من الزمن على الشجر فأصابها العطب ، ولعل الله قد سئم تدير حياة هذا العالم وتنظيم أموره فأثر القضاء عليه ليستريح ويريح الناس من مكابدة الحياة فيه .

وسأله هومر فى لهجة امرأة تسأل معلمها الهندوسى : اذن هل تعتقد أن لا جدوى من التلقيح الصناعى ؟

— أرى ذلك — وأرى أفك لست الا صدفة فى التطور التاريخى ، صدفة لن يكون لها أى أثر ، كان لزاما الا تكون فى المنجم عندما وقع انفجار الميسيسىبى ....

وكان يسيرا على أن أرى هومر وقد ملكه التأثير بهذا الحديث ، عندئذ  
لم أملك زمام نفسى فانبريت أقول :

— استمع الى يابوجى ، انى أسألك ألا تلقى بمثل هذه الأفكار السخيفة  
فى ذهن هومر . حاول أن تشجعه ، وتبعث فيه الثقة لأداء رسالته لشيء  
واحد هو أنك تسلك طريقا من شأنه أن يبعث اليأس فى نفوس الناس ،  
ولعل ذلك راجع الى أنك رجل قد بلغت من العمر أرذله ، فأصبح من المحال  
عليك انجاب أطفال ، وانى لأرجوك ألا تثبط همة كل شاب أو رجل حين  
تلقاه بمثل هذا القول .

فأجاب بوجى وهو يرسل الكلمات من أنفه فى امتعاض :  
— اننى لا أومن بهذه الرسالة وأرى أن القدر يأبى لها أن تتم .  
قلت : سوف يبدأ التلقيح الصناعى يوم الاثنين حيث يبدأ كل شيء  
من جديد ....

وبعد ساعات قليلة جاء جييلمان وكلوتس لزيارتنا ، وقد بدا عليهما  
القلق والاضطراب ، وكنت أظن أنهما قد حضرا لمشاركتنا بهجة الاحتفال  
وقلت مخاطبا مارج :  
— أعدى لكل منهما كأسا ، وأستحلفك بالله يا عزيزتى الا غيرت  
الزجاجة التى تصيين منها الخمر ، فقد كان لكل كأس تجرعتها بعد ظهر  
اليوم طعم غريب !

وسألت مارج : أحقا يا عزيزى ؟ كم أنا آسفة . ربما كان ذلك لانى  
لا أجد مزج الخمور بعضها ببعض ، وانى لأعدك اننى سوف أبذل  
ما فى وسعى ..

أوما جييلمان التى وانتحى بى ركنا ثم قال : اليك خبرا سيئا : ان  
الأعضاء ناثرون ..

قلت : أى شىء وقع ؟

قال كلوتس : لقد جاء الأمر بغتة ، أعنى ان الشروع فجأة فى استخدام آدم فى سبيل الانتاج قد جاء بصراحة فى وقت نحن فيه على غير استعداد . قلت له : لست أجد ما يبرر ألا تكونوا قد أخذتم للأمر عدته ، فكل الأسباب مهدة الآن ؛ وهو فى أحسن حال وسأصعبه الى المعمل صباح الاثنين وفى مساء اليوم نفسه ستكون ثمة أثنى — جديرة بالشرف الذى ستناله — قد حملت ..

قال كلوتس : وهذه هى المعضلة . كيف تنتقى هذه الأثنى الجديرة بذلك الشرف ؟

— لا أخالك تقصد أنك سوف تجد صعوبة ما فى اختيار أثنى واحدة فى الولايات المتحدة من بين أولئك النساء اللاتى لم يرغبن من قبل فى أن يصبحن أمهات .. لا أخالك تمزح هذا المزاح ؟

أخرج كلوتس قلما من جيبه وورقة وقال : بل ان الأمر أعقد مما بينت انه لأصعب مما تخاله . فلقد كان واجبا على هيئة مندوبى الحكومة أن تقرر السياسة العليا التى يلزمنا العمل بها عند اختيار النساء ، وعلى أية صورة ستكون المرأة التى سنختارها لتكون الأم الأولى فى التلقيح الصناعى ، فستعلو أصوات سائر النساء محتجة ، سيكون لذلك صدئ سياسى ، أى صدئ ..

فعبقت قائلا وأنا أنظر الى هومر وكان يصغى غير مبال :

— هذا جنون مطبق .

قال جيلمان : ان الجنون فيما تقول يا صاحبي ؛ اليك ما يحيط بالموضوع من ظروف ، خذ أولها وأقلها شأنًا ، العامل الجغرافى ، فكل

ولاية من الولايات تطلب أن تكون السابقة الى النسل ، وأن يكون لها الشرف في تقديم الأم الأولى في مشروع التلقيح الصناعي .

قلت : ليس هذا بالأمر العويص المشكل ، وقدرة هومر وان بليت الآن محدودة فمن اليسير أن تمثل كل ولاية في المجموعة الأولى من الأمهات المنتخبات .

ومر جييلمان بيديه الملوئين خلال شعره الطويل الذي رجله وسواه بالزيت ثم قال في اصرار :

هذا أيسر ما في الموضوع كله كما قلت ، ثم تتعد المسائل وتتشابك من حيث الجنس والدين والمركز الاجتماعي والاقتصادي . وستظل مشكلة الزوج دائما ماثرا للشغب والقلق ، هل تعرف أى شيء يعمل أعضاء الشيوخ الديموقراطيون في الجنوب ؟ انهم يضعون خطة لئلا يعترفوا بقانونية التلقيح الصناعي ان لم يؤخذ بسياسة صالح البيض كلهم ضد السود . على حين تصرخ صحافة السود منددة بأننا نسعى الى القضاء على جنسهم وافئاه من الوجود ان لم يؤخذ بسياسة عادلة خالية من التعصب والتحيز . وخذ الدين مثلا فانا نجد أن بعض الناس يظنون أن هذه فرصة رائعة للقضاء على الكاثوليك أو اليهود ومن الطبيعي أن اليهود والكاثوليك هم الآخرون يخشون هذا ، وهم لذلك يطالبون بضمانات من شأنها أن تحفظ عليهم حياتهم من الفناء والانقراض .

ولاحظت أن بوجي قد انضم هو ومارج الى جماعتنا الصغيرة وان ظل جامدا لا أثر لعاطفة فيه ، غير أنى أدركت مع ذلك انه كان يسخر منا في قرارة نفسه .

وقلت : يا له من سخف ! ان واجبنا الأول هو الأخذ في العمل على

الفور . ألا ترى الى مارج بيننا ؟ افك تراها مثل كثير غيرها من النساء وكل ما تتمناه هو أن تعود الأمور الى ما كانت عليه ، أليس ذلك يا عزيزتى ؟

قالت مارج وهى تبسّم لهومر : يقينا اننى أتوق الى انجاب طفل ..  
وقال جييلمان جادا الجد كله : غير ممكن أن يقع هذا اذا كنت تقصدين اليه ، ولو انه وقع فلسوف يتهم الناس المسؤولين فى الادارة العامة للمشروع ، بالمحاباة وممالة الأهل والأقارب .

وهنا أخذ قلم كلوتس من جديد فى نشاطه بينما بدا يقول : ليت الأمر يقف عند هذا الحد ، فهذه ليست الا بداية الحملة .. ولنفرض انه قد وقع اختيارنا على زوجة مقبولة الجمال ، قوية الخلق ، عندها ستهب غير المتزوجات يعترضن ويقلن : انها نالت فرصتها من قبل ، وان مثل هذا يجب أن يكون من نصيب المتزوجات اللاتى لم تسنح لهن الفرصة من قبل . وهناك أيضا زوجات المحاربين اللاتى سيطلبن بأن يتقدمن غيرهن . وهو رأى وجيه يوجب عناية كبيرة خاصة وقد حان موعد الانتخابات ؛ وهناك أيضا مجندات الجيش والبحرية والطيران : ترى من أحق منهن بالسبق والتفضيل ؟ أزوجات المحاربين أو المجندات أنفسهن ؟ لا يا عزيزى ، ان المشكلة بحق من أعقد المشاكل التى تواجهها المؤسسة القومية لاعادة الاخصاب .

ثم راح كلوتس يحملق فى وجوهنا وقد بدا عليه أنه لم يعد بوسعه أن يضيف جديدا . عندها تطوع جييلمان باستئناف ذلك التحليل البديع قائلا : وعندما علمت الحكومة انه قد تم الاتفاق على البدء بالتلقيح الصناعى يوم الاثنين ، رفعت الحكومة احتجاجها للرئيس ، لأنها لم تحط علما بمجريات الأمور وهى الآن تقوم بمحادثات — على جانب كبير من

التكتم — تتناول الطريقة التي يقسم بها السيد هومر ، والمسألة بعد هذا شائكة اذا ما نظر الى وجود هذين المغولين ..

وتدخل هومر في الحديث قائلاً : في استحياء : هل لى أن أقول شيئاً ؟ .. ولكن حماسة جييلمان ألته عن أن يستمع اليه ، واستأنف حديثه قائلاً : وخلصا المسألة من الناحية الدولية أن الحكومة تحرص على ألا تظهر بمظهر الضنينة على روسيا ، واذا ما صحت قصة المغولين فهي على استعداد لأن يشاطرنا الروس نصيباً من آدم . وما من أحد يعلم ان كانت قصة ذيك المغولين صحيحة أم لا . وما تريد الحكومة أن تتورط في برنامج قد يقيد سياستها المستقبلية من قبل أن تعرف الجانب الحق من تلك الشائكة وقد أمرتنا بالألا تتعجل .

وقطع هومر الحديث قائلاً : لحظة من فضلكم لقد كنت على وشك أن أقول : ...

وقطع عليه كلوتس كلامه قائلاً : أجل أخشى أن نكون الآن في ظروف حرجة واننا أخذنا على غرة . أظننا في حاجة الى خبراء لوضع توصيات تقدم الى لجنة اعداد الخطط ، التي تقوم بصياغتها في مقترحات ترفع الى لجنة ادارية فرعية ، تلخصها في قرارات ليوافق عليها الرئيس .. وصاح هومر قائلاً : لحظة من فضلك ..

وأشهد أنها كانت المرة الأولى في حياتي وحياة الحاضرين جميعا التي نسمع فيها آدم يصيح على هذه الصورة التي روعتنا جميعا ، ودفعتنا الى أن نلوذ بالصمت المطبق ، غير أن هومر لم يكن يجد في نفسه القدرة على الحديث . عدة ثوان واذا هو يستمد الشجاعة من الأثر العنيف الغريب الذي ران على وجوهنا ، لهذا فقد مد ذقنه الى الأمام أبعد ما يمكنه مدها ، وقال متسائلاً :



الم يخطر ببال أحد منكم يا سادة أنه قد يعنى لى شىء أقوله ؟ أليس لى  
حق فى ذلك ؟ وما من شك فى أنكم على علم تام بأنى — أنا لا غيرى —  
الذى سأقوم بالتنفيذ ؛ ولا اخالكم تجهلون ذلك ؟

ولم ينبس أحد بينت شفة ، على حين تساءل هومر مطالبا :

— أليس لى الحق فى اختيار عرائس ؟ لم لا يكون لى هذا الحق ؟  
قال كلوتس محتجا : انك لا تستطيع أن تسميهن عرائس . فثمة شك  
فى أنك سوف ترى واحدة منهن أبدا أو تلقاها ؟

قال هومر : سوف يكون الأطفال أطفالي وأعتقد أن من حقى أن  
أقول انه فى وسعى أن أعرف أمهاتهم .

واقترح جيللمان فى رقة قائلا : لعل سيدة بعينها دون غيرها هى التى  
تشغل بال السيد هومر .

وقال هومر : وما يضيرنى أن أفعل ؟

ولاحت على أسارير وجهه ثورة عارمة من الغضب الذى يدفع  
بصاحبه الى العراك ، والقتال ومضى يقول : أراك تجرؤ فتقف هنا تتحدث  
علنا عن تقطيعى اربا اربا وتمزيقى وكأنى ضريبة أرباح تستنقطع من الدخل  
جزءا فجزءا ، وما دمت سأضحى بنفسى فلم لا يكون لى رأى وان هان  
فى التضحية وفق هواى ومشيتى ؟ .

وقالت مارج وهى تندفع أمامى : أرى أن يمنح هومر حقه كاملا فى  
اختيار أثاه الأولى وفق ما يمليه هواه كما يقول .

قلت : كفى عن التدخل ، فهذا أمر من أمور الدولة الرسمية ، وعلى  
أية حال فقد تبين لى الآن انك اعترمت خياتى ..

رفع كلوتس يده ، وراح يقول متوسلا : كف بالله عن هذا الكلام  
يا سيد آدم . ان مشروع إعادة الاخصاب القومى — وانى هنا أتكلم نيابة

عن السيد بمفرى ولجنة اعداد الخطط — أقول ان المشروع لا يبيح لك أن تنصب من نفسك طاغية تملى ارادتك كما تشاء ، فاذا كان لك أنت حق اختيار الأمهات فلا معنى اذن لبقاء المؤسسة القومية لاعادة الاخصاب ، ولو أن لك هذا الحق لجرت الأمور على غير ما ينشده الصالح القومي .  
وقال جيلمان بعد أن حك ذقنه مفكرا : أيها السادة ، أظننى قد وفقت الى حل . لم لا نختار الأم الأولى للمشروع بالاقتراع كما يختار الجنود للخدمة العسكرية ؟

قال كلوتس مؤيدا رأيه : لعمرى انها لفكرة صائبة ، غير أن علينا أن نكتب أسماء الراغبات فى الحمل ، وهذا وحده يستوعب وقتا طويلا . ثم اتنا اذا أبخنا لكل راغبة فى الأمومة أن تسجل اسمها فأخشى ما أخشاه أن تكون المرأة الأولى التى سيقع عليها الاختيار مثار طعن من الجميع فكيف يمكن بالله أن تجتاز مؤسستنا هذه الورطة ؟

قال جيلمان : اذن فلندع هذه الأمانة فى عنق الكونجرس ، أعنى أن يرشح كل نائب وكل شيخ امرأتين ، ومن ثم نعطى لكل منهن رقما ، وما على رئيس الجمهورية الا أن ينتقى رقما من هذه الأرقام .

وقال كلوتس مؤمنا : ما أبدعه من صنع ، انه كفيلا بأن يحل المشكلة ولكن ماذا عن الخطط الدولية اذا كنا قد وضعنا بعضا منها ؟

وقال جيلمان : آه سوف تترك ذلك للأمم المتحدة ، وان تكن وزارة الخارجية لا ترغب فى أن تمضى الأمور الى هذا المدى البعيد ..

وقال كلوتس : نحمد الله على أن هذا الأمر قد انتهى فيه الى قرار ووجد الحل المناسب له .

وقام هومر صامتا شاحب الوجه ، وخرج من الحجرة وسار فى البهو متجها الى حجرة نومه ، وأغلق الباب وراءه . ولقد ساءنى ما كان منا مع

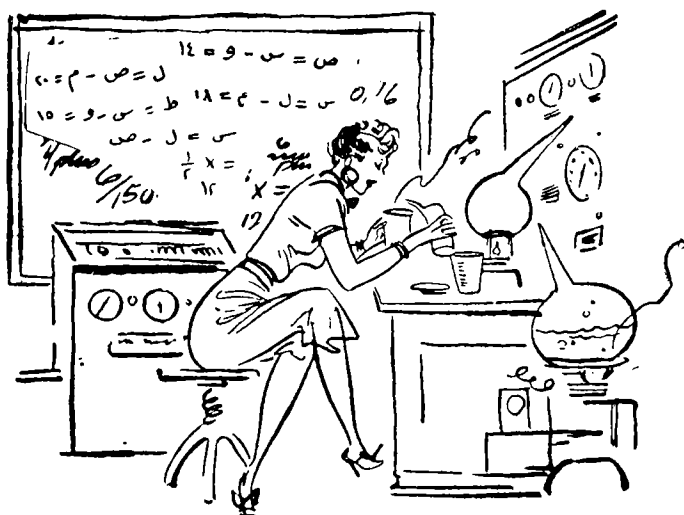
هو مر غير أنه كان جلياً أن واجبنا يقتضينا ألا نبيح له المشاركة في الأمر على هذا الوجه ما دمنا نحقق له أغراضه تحقيقاً يكفل له الخير كله .

وفي مساء اليوم نفسه جاء مندوب من مكتب المباحث الى الطابق الخامس من الفندق ومعه تقرير شامل عن « الاطار » كنت قد طلبته منه يوم أن بارحت كاتى واشنطون الى لوس انجلوس .

ومن المفروض على رجال الصحافة ألا يدهشوا من الأشياء التي تثير الدهشة غير أنهم قلما يفعلون ، فهم يقفون على أن الكبار الطاعنين في السن ، الذين يتظاهرون بالرحمة والشفقة يغازلون العذارى ، بل قد يغرون بهن أحياناً ، كما يقفون على أن القسس في الكنيسة يدسون السم لزوجاتهم في طعام العشاء ، وأن احدى السيدات المعوزات ، التي كانت تعيش على هبات شهرية من هيئة الاغاثة تمتلك آلاف الدولارات وتخفيها في حشيتها التي تنام عليها ، وأن القائد الذي يتظاهر بالشجاعة في بيته ليس الا رعيديداً جباناً حين يدعى الى الحرب والقتال في المعركة . من أجل ذلك كان حرياً برجال الصحافة أن يطرحوا جانباً دهشتهم ، فلا تثير هذه المخازى والفضائح مشاعرهم غير أنهم لا يفعلون أبداً .. وهكذا تملكنتى الدهشة وأخذت عندما عرفت قصة « الاطار » غير أنى تصفحت سجل حياتها دون أن أتروى أو أنعم الفكر ، فكنت كالقارئ العجل في مكتبة عامة لا يكاد يتلقف كتاباً من رفته حتى يأخذ في قراءة جملة من هنا وجملة من هناك ، يقرأ فقرة ويترك فقرات في غير نظام ، ويمر على فصول طويلة مرور الكرام ، ثم يلقي بالكتاب جانباً بعد فترة وجيزة وينتهي للانصراف ..

أقول لقد دهشت حقاً عند قراءة التقرير المقدم لى عن « الاطار » فلم أكن أعرف عنها شيئاً أبداً ، كما كنت أجهل عمرها ، وكنت قد قدرته بين الخامسة والعشرين ، والستة والعشرين ، على حين أنها كانت

في الواقع تناهز الحادية والثلاثين ، كما لم أكن أعرف من قبل أنها اجتازت امتحان مدرستها الثانوية في شيكاغو بدرجة الشرف ، وان كنت أعلم أن أباهما هو الأستاذ روبر العالم المعروف والحجة الثبت والثقة المعتمد عليه في علم الآثار ، وبعد أن نالت اجازة البكالوريوس من شيكاغو، رحلت الى نيويورك حيث احترفت الرقص وفي نيويورك كانت تعيش حياة غريبة مزدوجة فينما كانت ترقص في تلك المدينة التي تخلب لب السائحين ، كانت تعد نفسها لنيل شهادة الماجستير في جامعة كولومبيا .



وفي عام ١٩٤٠ ذهبت الى هوليدو، وهناك تمت خطبتها الى الدكتور « الفرد ماجرودر » العالم الأخصائي في شئون الذرة غير أنه لقي حتفه في انفجار الميسيسيبي .

وقد عملت « الاطار » خلال عامين من سنى الحرب مع خطيها وأبيها في خدمة الحكومة فيما يتصل بشئون الذرة ، وباتهاء الحرب عادت ثانية الى هوليدو وكانت تزور بورفيل بين الحين والحين وقد كتبت بضعة

مؤلفات علمية عن الانفصال النووي كما كانت تعمل — كما ذكرت —  
سكرتيرة للأستاذ العلامة فلنكس بيل في مشروع مانهاتان . ولقد جاء في  
نهاية التقرير أن اخلاصها يبلغ حد التفاني وأن وطنيتها فوق الشبهات .  
هذه اذن هي « الاطار » . انها لمخلوقة عجيبة وانى لعلى يقين أن  
مكتب المباحث لم يخطئ في صغيرة ولا كبيرة .

وبعد أن أوى كل النزلاء في جناح آدم بالفندق الى فراشهم مكثت  
بغرفة الجلوس ، مستغرقا أحل موقف « الاطار » من هومر آدم . ولقد  
اتهمت الى نتيجة واحدة حاولت طردها من ذهني مستعينا بشتى الوسائل  
وذلك لبساعتها المفرطة ، كما يحاول العقل أن يطرد حلما مزعجا أثاره  
وأقلقه غير أن الفكرة على هذا ظلت تلاحقني دون رحمة ، وتطاردني دون  
هوادة . من الجائز أن يكون سر شغل « الاطار » بهومر آدم هو رغبتها في  
القضاء على حيويته واستنفاد قواه لئتم لها بذلك القضاء على الجنس  
البشرى أجمع . وكنت أعود فأعطل نفسي بأن « الاطار » لا تبدو شريرة  
هذا الشر ، وها هو ذا تقرير مكتب المباحث يؤكد اخلاصها ووطنيتها فاذا  
بى أرجع عما رأيت وأعود فأقلب وجهات النظر دون أن أصل الى  
نتيجة ما .

كانت الفكرة غير محتملة حقا ، ولكن أكانت أبعد احتمالا من انفجار  
المسيبي وسريان الاشعاع الذرى الذى أثر فيّ وقضى على قواى  
الجنسية باشعاع غير منظور ، وغير محسوس ودون أن أدرى لذلك  
سببا ؟ وهل كانت فكرتها في القضاء على الجنس كله أقل احتمالا من القاء  
قنبلة في حجم البيضة على بلد كبير تقضى على مئات الألوف من المخلوقات  
ليصبحوا رمادا تذروه الرياح ؟ لم يكن من المعقول أن تنسج « الاطار »  
خيوط مؤامرة على هذا النحو ، كما لم يكن من المعقول كذلك أن يفكر

بعض المؤمنين الأتقياء ممن لا يهتمون فروضهم الكنسية أو نفر من المخلصين لأهلهم وذويهم ، لم يكن من المعقول أن يفكر هؤلاء وهؤلاء في صنع قبلة يستطيعون بها القضاء المبرم الماحق على أمة بأسرها في ساعات أو أيام ..

وظفقت أفكر في الحافظ الذي قد يدفعها الى ارتكاب مثل هذه الجريمة فقد تكون مختلة العقل ، ونحن نعلم كلنا أن العبقريّة قد تدفع نفرا الى الجنون ؛ وقد يكون فقدانها السعادة أو حرمانها من رغد الحياة هو الذي يسوقها سوقا الى أن تعمل على أن يفقد الجميع ما فقدته من نعيم .. ولعل هذا السلوك الغريب المريب غريزة خفية ، غير ظاهرة ولا ملحوظة عند البشر ، ولعل ما يؤيد هذا الزعم ذلك المثال الذي شهدناه يوما من أيام شهر مارس سنة ١٩٣٣ حين أغلقت البنوك أبوابها لفقدان التوازن الاقتصادي في البلاد ، ففي ذلك الحين لم يعد أحد يملك شيئا فتساوى الناس في الفقر وبات كل فرد سعيدا بفقره ، راضيا بحاله ، حين غدا الكل في الفقر سواء ..

وشعرت بحافظ جديد شديد يدفعني الى أن أبحث عن مزيد من المعلومات تهديني الى فهم علاقة الاطار بهومر دون ابطاء . فقصدت الى حجرته ، فوجدته راقدًا في فراشه ، وقد أخفى أكثر وجهه بالوسادة ، ولف يديه حول تلك الوسادة المنثنية وكأنه يهصرها . وكانت ساقاه ممدوتين ، وأصابع قدميه خارجة من الغطاء ، وكان مستغرقا في نومه فهزته وقلت :

— استيقظ يا هومر ، أريد أن أتحدث اليك .

— هيا يا ستيف ، تكلم .

— لست بالطبع حائقا على ؟

— كلا . ولماذا ؟

— ظننتك كاسفا ، مهموما لأفتى تخليت عن مناصرتك وتأيدك حين أفصحت عن رأيك في أن يكون لك وحدك حق اختيار السيدة الأولى التي سوف تسبق النساء جميعا في الافادة من التلقيح الصناعي .

— كلا لست مهموما ولا محسورا ، بل لقد كنت أحاول أن أمد يدا لصديق فحسب ..

— أرى أنك كنت ترغب في أن تختار كاتى لتكون هي الأم الأولى . وما ألومك على اختيارك هذا كما لا أشجعك من قلبى ، وما كان ضميرى يطمئن الى حملك عليه فمن شأن ذلك أن يثير ضجة كبرى ، كما أنه غبن وظلم صارخ لمارى ايلين .

واستدار هومر وجلس فى الفراش ، وكان شعره مشعثا ، وطرف بعينه ليزيل آثار النوم الذى كان لا يزال عالقا بجفنيه وقال : كلا . لم أكن أفكر فى كاتى ، أبدا ، لم أكن أفكر فيها . — اذن فيمن كنت تفكر ؟

وبدا قلقا منزعجا وكان نملا أحمر قد ملأ عليه الفراش وأخذ يلدغه وقال : من الخير ألا أبوح بشيء ..

— هيا يا هومر حدثنى ..

— كلا . يجدر بى الصمت .

— ولماذا ؟ يا لك من غبى يا هومر فاذا كنت قد عزمت حقا على اختيار شخص ما ، فقد أستطيع أن أدبر لك الأمر تدييرا يريحك وترضى عنه ، لعلها مارى ايلين ؟ أليس من المحتمل أنها ترغب فى انجاب طفل ثان لك ؟ لا أظن أن أحدا يلومك على هذا ..

وأخذ هومر ينظر فى يده دون أن ينظر الى ، بل أخذ ينظر بعيدا ويتلفت الى أشياء عديدة ، وهو يجهد فى ألا تلقى عيناه عيني ، وأخيرا قال :

لم تكن ماري الين محط تفكيرى ؟.. ثم تلبث قليلا وقال فجأة : اذا كان لا بد من أن تعرف يا ستيف ، فقد كنت أفكر في مارج ..  
— مارج ... !!!

وحاولت أن أملك نفسى ، وعلمت أنه لا بد لى من أن استمسك بأهداب الهدوء والاتزان ، وأن ابتعد وسعى عن اثارته والا منيت بالفشل ولم أعرف ما أريد معرفته ولم أصل الى نواياه .

فقال هومر : أرجوك يا ستيف أن تسمح لى بأن أكشف لك عن قصدى ، ما أردت غير أن أرد اليك بعض ما لك علىّ من فضل وجميل يطوقان عنقى ، فكم كنت دوما كريما معى عطوفا علىّ وكنت أعلم أن مارج تهفو نفسها الى طفل ، ولن أنسى أنها كانت مثلك رقيقة لطيفة معى . من أجل ذلك فكرت فى اختيارها .. ولقد قالت هى انه يسعدها أن يكون لها هذا الطفل من آدم ، وأشارت اليوم الى ذلك مرات عدة ، وأعدت القول بأنها ستكون فخورا لو رزقت طفلا بهذه الوسيلة .

— آه .. انها تريد طفلا .. أتريد هى طفلا ؟

— أجل يا ستيف .. هذا كل ما أستطيع أن أقوله لك .

قلت لنفسى : حسناً ؛ فليس هناك ما يحملنى على أن أغضب ، وعلى ألا أكون هكذا غيورا وأن أكون واسع الأفق ، وانى لمؤمن أن هومر صديق مهذب الطبع رقيق الحاشية صافى النفس ودود ووفى . ثم رفعت صوتى وأنا أقول له : استمع الى يا هومر ، لقد أسرتنى بهذا القول حقا .. وصنيعك هذا يدل على أنك مهذب ، كريم .. وأنت بهذا تمس شغاف قلبى ولكنى من أجل أسرة سميث أرفض هذا الذى تعرضه . وانك حقا لعلى علم تام بأن دون ذلك عقبات جمة بل يكاد يكون تحقيق هذا من المستحيل وكما قال جييلمان ان الناس سوف يتهموننا بالمحاباة وممالة



الأهل والأقارب ومناصرتهم في أمور الإدارة والعمل والواجب على حساب المصلحة العامة ، وسيكون ذلك شبيها بصنيع موظف في وزارة الداخلية يمنح نفسه أرضا فيها بترول وتمتلكها الدولة .

— أعلم ذلك حق العلم ، ولكن ماذا عساي أن أفعل ، ان كل ما أود عمله أو تحقيقه سوف يبنى بالفشل لأنى عاجز وليست لى حقوق أمارسها لذا كان من الواجب أن ألتمس لنفسى حقا أو شيئا من الحقوق ..  
فنصحته قائلا : استمع الى يا هومر ، ان ما أردته أو ما شئت أن تسديه الى ليس الا خدمة شخصية ، فلا يجدر بك أن تشغل بالك بالناس لتظل هادىء النفس سعيدا ..

ثم تذكرت مهمتى الأولى التى من أجلها جئت أوقظه فسألته قائلا :

— أنتظن أن كاتى ترغب فى انجاب طفل يا هومر ؟

— كلا .. لا أستطيع أن أقطع بذلك .

— أوافق أنت مما قلت ؟

— آه . انى على يقين من ذلك .. لقد أكلت لى أنها لا تريد أطفالا

الآن ..

ووجدت أن رده هذا لا ينقض أبدا الرأى الذى استمسكت به فلم أستطع تناسيه أو تجاهله فقلت له مستفسرا : هل اقترحت عليك كاتى أن ترفض أفت القيام بالتلقيح الصناعى ؟

تلبث هومر هنيهة ، وعبثت أصابعه النحيلة الرفيعة بملاءة السرير الوردية ثم عاد يتكلم : انها لم تطلب ذلك صراحة ، غير أنها قالت انها لا تؤمن به ..

— وهل حدثتك كاتى عن الانقسام النووى وغيره ؟

— كلا كانت أحاديثنا كلها حول علم الآثار ، وبعض الشئون التى

تخصنا وأرجوك يا ستيف أن تعفيني من الخوض في هذا الموضوع فهذه  
كما تعلم أمور تعينني وتتصل بي فأسراري ملك لي وحدي .  
— آسف . أنت على حق ..

قلت له ذلك بعد ان وجدت ان اجاباته قد زادتنى تمسكا بالفكرة التي  
راودتنى بادىء الأمر ..

وحدثت نفسى قائلاً : فلأنتسبَ هذا الأمر ، فلو شاءت «الاطار» القضاء  
على هومر لوجدت الفرصة سانحة في تلك الليلة التي أمضتها معه في  
الفندق ، وأخذت على نفسى عهداً مؤكداً بأن أعمل على نسيان هذا  
الموضوع . ووجدتنى — كما كانت مارية تصر على اتهامى — بأنى سىء  
الظن . غير أننى كنت أعلم أننى لن أنسى حقاً هذا الموضوع .

ثم عاد هومر الى الحديث فقال : أخبرنى ، هل أعضبك حقاً ما ذكرته  
عن اختيار مارج لتكون أول أنشى تفيد من التلقيح الصناعى ؟  
— أبداً .. نم الآن يا هومر ، ولا تجهد أعصابك بالتفكير . نم واهداً  
بالا ...

— شكراً يا ستيف ..

قال ذلك ثم ارتمى على وسادته ، فاتجهت الى مخدعى ، وأضأت النور ،  
حيث وجدت مارج راقدة في الفراش ، وحين رأتنى رفعت رأسها وقالت :  
ما أسرعك فى العودة مبكراً الى مخدعك ونظرت الى ساعتها ، واستأنفت  
تقول : انها قاربت الثالثة صباحاً ، فاذا كان هذا هو كل نصيبى من اهتمامك  
فخير لك أن تذهب الى فراشك وحدك .

فهمست اليها وأنا أقرب منها : لا تراعى يا حبيبتى ، فسأعوض ذلك  
الوقت الذى مضى .

— ماذا بك يا ستيف ؟

قلت وأنا ألقى بحدائي على الأرض : هناك ألوان كثيرة من الخيانات  
وليس حتما أن تكون الخيانة عن طريق الجسد ، وقد يخون الانسان بروحه  
على أن كلا الأمرين شر على السواء ..

— ستيف ! لا تتكلم هكذا بالأحاجي والألغاز ..

— أنت تعرفين ماذا أقصد ..

ومطت وجهها مقطبة ، وقالت : حسنا . ابق حيث أفت في فراشك .

— لقد تغيرت كثيرا يا مارج منذ الصباح ، ففي ذلك الوقت كنت

رقيقة رقة الحرير وأنت الآن لا ترغيبين في أن ألمسك ..

— انى لم أفعل ذلك ..

— أجل فعلت . قلت لى : ابق في فراشك ..

وجلست في فراشها وهى فى أبهى زينة ، وقد احمر خذاها وأشرق

جيدها ولان ملمسها ، وقالت : افك يا ستيف لا تستطيع أبدا أن تعرف

ما تريد المرأة ..

فقمى ، وأطفأت النور ..

جاء الصبح وكان شبيها بصباح يوم من تلكم الأيام التي تستيقظ فيها فتحس اضطرابا غير مألوف يشملك ، ويظل يلزمك برهة ، ثم لا تلبث أن تدرك ان الألم في نفسك أنت ، يهزك ويستبد بك .. هكذا أحسست ، ووجدت رأسى يطفو وكأنه قد امتلأ بالهليوم وأوشك أن ينفصل انفصالا عن سائر جسمى وأحسست آلاما غريبة بركبتى ومرفقى ، حين حاولت أن أنهض واقفا ، وحين جلست أخذت تتراقص أمام عيني أطياف غريبة .  
فقلت مزمجرا : اننى متعب يا مارج تماما .

فقلت مارج : وهى تنفرس فى وجهى مبدية اهتماما كبيرا : انه شىء يؤسف له ماذا أصابك ؟ أتحمس ميلا الى القىء ؟

— ما أسرفت فى الشراب فينتابنى قىء ..

— آه . أظنك أسرفت .

— كلا لم أفعل ، وأنا الآن مريض .

فقلت مارج ملتاعة وكأنها توجس شرا : آه .. أرجو أن تكون بخير . أرجو الله مخلصه أن يسبغ عليك الصحة . سأذهب لأحضر لك أقراصا مهدئة مسكنة وقلحا من القهوة .

وكان طعم القهوة غريبا مجوجا ، فقلت لمارج : ما هذا يا مارج ؟ هل وضعت فيها ملحاً ؟

— لا من غير شك ، لا يا ستيفن .. استمع الى ، عليك أن تلزم الفراش يا حبيبى وستحس تحسنا .

— استدعى لى الطيب تومى طومسون . أخالنى أصبت بالتهاب رئوى ، أو بشيء كهذا .

جاء تومى بعد لحظات ، وكان النوم لا يزال عالقا بجفنيه ، كما كان لا يزال مرتديا ثوب النوم الذى أحسب أنه اختلسه من الجيش . وجس نبضى ، وتحسس جبهتى ، وفحص عينى ؛ وقال :

— لا تخش شيئا . وليس بك شىء غير أن نبضك سريع قليلا .

— اننى أتطلع الى الأشياء فأراها غير مستقرة أمام عينى ، تثب الى هنا وإلى هناك .

— انها أعصابك . أنت مجهد الأعصاب ، خذ أجازة ، اصطحب مارج فى رحلة الى فلوريدا .

— أجازته . ! اننى لا أستطيع أن أفعل ذلك قبل أن تنتهى مهمتى وعندئذ سوف آخذ اجازة طويلة أفضيها مع مارج فى مكان ما . ألا تفضلين ذلك يا عزيزتى ؟

قالت مارج : ليتك تفعل ، وأعتقد أنها ستكون اجازة ممتعة ...

انقضت فترة بين الثلاثين والأربعين دقيقة ، ثم بدأت أستعيد نشاطى كما تنبأ طومسون ، غير أنى أذكر أن كل ما ذقته من طعام أو شراب فى ذلك اليوم كان يبدو لى شديد الملوحة .

وفى هذا المساء عاد تومى ومارية وبوجى الى نيويورك ، ورافقهم هومر وجين ومارج الى المحطة ، وكانت العبارة الأخيرة التى ذكرها بوجى وهو يلتفت الى هومر هى : استمع الى يابنى . اذا لم يتم شىء كما قدروا فلا تبتئس ، انها لن تكون خطيئتك . انه القدر فلم يكن فى الحساب أن تسير الأمور على غير ما نشتهى .

ولم أشهد فى مثل هذا اليأس والقنوط الذين لا شفاء منهما .

ومر يوم الاثنين الذي عقدنا الرجاء على أن نبدأ فيه التلقيح الصناعي ومرت كذلك سائر أيام الأسبوع دون أن نأخذ في شيء .

وكان الجمهور مطمئنا الى الوسيلة التي لجأت اليها المؤسسة القومية لاعادة الاخصاب لاختيار الأم الأولى والأمهات التاليات للتلقيح الصناعي . غير أن موسكو لم تكن مطمئنة ، وأعلنت عن رأيها في صراحة ، ولقد كان رأى الروس أنهم لا يعارضون في اختيار الأم الأولى من بين الأمريكيات على شريطة أن تكون الأم الثانية روسية ، وليس ثمة ما يمنع من أن تكون الثالثة بريطانية ، أما الدول الصغرى فلا يجوز النظر في أمرها الا فيما بعد ، كما طالبوا بمنع شعوب معينة من الاشتراك معنا باتا في البرنامج العام كالبولونيين والرومانيين والمجريين والأتراك والمصريين واليرانيين اذ من اليسير — هكذا قال الروس — اعادة سكان هذه المناطق في أى وقت ويحسن أن يتولى الاتحاد السوفيتى هو نفسه هذه المهمة .

وراحت الحكومة الأمريكية تسأل الحكومة الروسية للمرة العاشرة عن صحة خبر المغوليين . ورد الروس بأن هذه المسألة من صميم شئون الدولة الداخلية ، أما في داخل البلاد فقد سارت الأمور في تقدم ملحوظ ، وعرض الكونجرس الخطة ، وعدها هدية غير مرتقبة جديدة بالترحيب والتهليل لأن هذا يخلع عليه صفة الولاية والقيادة ، ويكسبه التعزيد والتأييد ، وكانت كلما سنحت فرصة لنائب من النواب في الكونجرس أن يستجيب لأمر قد لا يفيد في كثير أو قليل تحلى هذا النائب بالكياسة والرزانة وبدا له الأمر خطيرا ، وفي الحق لقد كانت فرصة ذهبية اغتنمها الأعضاء لیسددوا ديونهم السياسية ، وليحوزوا رضى اجتماعيا وليثبتوا أقدامهم في الحياة الاجتماعية العامة باتصالاتهم بالهيئات النسائية .

ومن الناحية السياسية فلقد بدا الأمر كله مضطربا ، غير ثابت ، يدعو

الى بلبله الفكر وانقسام الرأى ، وآية ذلك أن مشروع التلقيح الصناعى قد أعطى فسحة من الوقت لا تعدو الأسبوع للضراغ من تعيين من وقع عليهم الاختيار للتلقيح ؛ وكان الأعضاء يحتجون بأن من ييدهم مقاليد الأمور من رجال الحكومة والمسؤولين لم يوفروا لهم الوقت الكافى لاختيار المرشحات فى دقة وعناية ولم يكن هذا الادعاء فى الحق غير ستار لفشلهم فيما لو عارض الرأى العام هذا الاختيار . وقد أذاع نقر أسماء من وقع عليهم اختيارهم ، وهم واثقون بهن الثقة كلها ، وخاصة من الناحية السياسية وان لا غبار عليهن ، ولا مطعن فيهن ؛ بيد أن كثرة من الأعضاء رأّت ألا تفضى أسماء مرشحاتهن الى أن يتم وضع الخطط الكاملة للاقتراع . ورأينا أن نمح هومر وقتنا طيبا يستمتع فيه ويروح عن نفسه فصحبناه خلال ذلك الأسبوع الى الشاطيء الشرقى ليصطاد السمك ، ثم الى حلبة بوى Bowie ليشاهد افتتاح موسم سباق الربيع ومنها الى قضاء سهرات جميلة فى المسرح القومى ، ومن ثم الى رحلة خلوية فى وادى «شيناندو» — Shenandoah وحين انقضت الأيام على هذه الوتيرة وحل يوم الاثنين التالى وقد ظهرت بوادر الصحة الطيبة والانتعاش على هومر ، وما أعنى أنه قد استمد قوة تعينه على اقتلاع الأشجار من جذورها ، وانما أعنى أن أقول أنه قد أصبح أهلا لأن ينبج عددا كبيرا من الأطفال ..

وفى ظهر يوم الاثنين قصدت — أنا ومارج وحدنا — الى الكايبيتول بعد أن تركنا هومر فى الفندق وحده ، وكان هذا استجابة لرغبته والحاحه فى أن يبقى فى البيت — وأعتقد أنه كان على صواب فى ذلك — خشية أن يلقاه الناس بجفوة شديدة وهو جالس فى مقصورته خلال الاقتراع على الأرقام . وقد كان معروفا عن هومر أنه يضيق ذرعا باهتمام الجمهور ، ولهذا كان قلبه يرتجف خوفا ، وكأنه مشرف على الموت .



وعقدت لجنة الاقتراع جلستها في الدور الأرضي من مبنى المجلس .  
وكان المنظر عاديا مألوفًا للجميع بكل ما فيه ، وينطوي عليه من المظاهر  
العسكرية والأبهة الحربية ، ولم يكن في نظرنا غير صورة مكررة لنشرة  
أخبار مصورة تعرض على المشاهدين ، مع فارق واحد هو أن صاحب  
القناع لم يكن الرئيس ولسن ، أو الرئيس روزفلت ....



وحين انتهت التمهيدات تقدم رئيس الجمهورية ، ومد يده الى الوعاء  
الزجاجى الكبير الذى يحوى الأرقام ، وانتقى ورقة مطوية أسلمها الى  
سكرتير الدار الذى فضها وصاح فى المكبر :

٠٦٤٦ الرقم الفائز ٦٤٦

ومن قاعة المجلس بل من أعماقها طغت على آذان الحاضرين موجة  
هادرة نسائية تهتف متصايحة فى اضطراب .

وسألتنى مارج : ماذا حدث ؟

قلت : حركة نسائية بارعة ....

فقلت مارج : ماذا تعنى ؟ أتدرى ما هو صداها فى نفسى ، انها أشبه  
بلاعبة ماهرة تصرخ طربا وقد كسبت دورها فى لعبة البريدج ، ومن ياترى  
تلك المحظوظة التى أحرزت رقم ٦٤٦ ؟

ولاحظت حركة غير مألوفة فى رواق الصحافة وطبيعى أن رجال  
الصحافة هم أول من يسرع الى اذاعة الخبر ، غير انى أدركت أن الضوضاء  
والصخب قد انتشرا بين الصفوف جميعها ، وعما الحاضرين كلهم ؛ فتركت  
مقعدى لأستطلع الأمر ، وقلت لمارج : سأعود بعد أن أعرف ما جرى .

ولقيت زميلا من الزملاء وحين سألته عن سر هذه الضجة صاح :  
ألم تعرف من وقع عليه اختيار الرئيس بعد ؟

— لا .

— رقم ٦٤٦ وهو رقم سمنرفاى نوت .

— هل تقصد رقم احدى مرشحاتها ؟

— لا بل رقمها هى نفسها ..

— هل تأذن لى فى أن أنصرف ، فلقد بدأت أحس دوارا مضجئا .

وكنت حقا قد بدأت أحس الأعياء . وخيل الى أن جدران البهو

المزركشة على الطراز الباروكي أخذت تميل نحوى من شدة الدوار الذى أصابنى ، فتلمست طريقي عائدا الى مارج وقلت لها : هيا بنا يا مارج ، ولتعلمى ان صاحبة الرقم ٦٤٦ هى فای سمرنوت ؛ فيا لها من مأساة ويا لها من كارثة ..

وجعلت أفكر فى رئيس الجمهورية ، ورحت أحدث نفسى قائلا :

— أى رجل سىء الحظ هو . نعم انه لمتكود مسكين ..

وعندما أدركنا العربية ، قالت مارج : ولكن لماذا رشحت نفسها ؟ أن

ترشيحها لنفسها تصرف غير شريف ..

— يبدو لى أنها لم تجد بين فتيات ولايتها من تفوقها جمالا ، لذلك

رشحت نفسها لتزداد لمعانا وتألقا ، هذا هو جوهر المسألة وبيت القصيد .

قالت مارج تسألنى الرأى : وماذا تراه واقعا ؟ أليس من اليسير الغاء

هذا الرقم أو تحويره بطريقة ما ؟ أليس هذا أسوء حدث وقع ؟

— انتظرى الى أن أنهى الى هومر هذا النبأ المزعج .

ووصلنا الى الفندق وصعدنا الى الطابق الخامس منه ، وفتحت لنا

جين الباب ، ودخلت وأنا أحس وكأن لافئات من حولى تحمل هذه

التحذيرات : احترس منطقة ألغام .. خطر ....

وجدنا هومر ينتظر فى غرفة الجلوس ، وقد تناثرت حول مقعده الطبقات

الأولى من صحف المساء فما ان رأنا حتى صاح بنا ؟ ما النتيجة ؟

قلت : عضو الشيوخ نوت ..

— وما خطبها ؟

— هى الرابعة ، وستكون الأم الأولى فى التلقيح الصناعى .

أخذ هومر ينهض من مكانه ولم تحمله ساقاه ، فازتمى ثانية على مقعده

وقد ففر فاه ، وقال حين ملك أن يحرك لسانه :

لا . لا . لا . لن أفعلاها يا ستيف وربى ، لن أقدم على ما تطلبون ..  
رباه .. أتكون هذه المرأة من حظى ونصيبى ؟ انها لعمرى أسوء النساء ه  
بل أشدهن سوءا .. لأترككنم الى غير عودة .

ونفض مسرعا يتجه نحو الباب ، فوثبت أقف فى طريقة ، وتعلقت  
بذراعه لأقول له مستعظفا : انتظر لحظة واحدة يا هومر .. انتظر الى أن  
أقول لك شيئا .

وكان من العسير على أن أئنيه فلقد بدا طويلا متخشبا وكأنه أحد  
أعمدة التلغراف . غير انى أفلحت فى أن أهديء من عنفه فى اندفاعه قبل  
أن يصل الى الباب ، ورحت أقول له :

— انتظر يا هومر ، فلدى أمور أريد أن أناقشها معك ، أمور عاجلة  
وهامة .

وقدته الى مقعده ، وأجلسته حيث أطرق وأمسك رأسه بيديه ، وكان  
يهز رأسه بين لحظة وأخرى ، ويشد شعره فقلت له :

— هومر ، ان ما قدر لابد واقع لقد تم كل شيء بعدل وأمانة .  
وأراهنك على أن الرئيس لم يكن فى نيته أن يسحب الورقة من الإناء  
الزجاجى فهو يقدر هذا فوق قدرك له وقدرى ، غير ان هذا هو ما يفرضه  
منطق الديموقراطية بل انه النهج القويم الذى يجب أن تسير عليه الأمور  
يا هومر .

قال محتجا : ان الجميع ينعمون بالديموقراطية غيرى . ان مائة وأربعين  
مليوننا من المستبدين والطغاة يتشبثون برقبتي ، وهذا ما لا أرضاه ولهذا  
فانى راحل ..

— ليس الأمر على هذا القدر الكبير من السوء كما تخال .  
وأشرت الى مارج لتحضر لنا شيئا من الشراب ، ثم وصلت حديثى :

— أحمد الله على ان الأمور لم تصل الى أبعد من هذا ، ولم تبلغ غايتها من سوء . وفكر فيما لو اضطررك الأمر الى الزواج منها ، والعيش معها . كم يكون هذا مخيفا بشعا . فلتطمئن فما أحد بملزمك حتى أن تراها ، ولن يزعجك أن تكون هي صاحبة الرقم الأول أو الرقم الحادى عشر مليوناً وثمانمائة ألف وستين واثنين وأربعين ، ألسنت معى على أن الأمر لا يحملك على أن تهيج هذا الهياج كله ، وتثور هذه الثورة كلها ؟

— بل يزعجنى حصولها على رقم ما آتيا كان هذا الرقم ، ولتتخيل معى هذه الصورة الشاذة حين يصبح لها طفل هو ابنى وأنا أبوه ..  
فقلت أحاوره : ان أطفالك جميعا لن يختلفوا أبدا فى أشكالهم ، واقطع أنك لن تستطيع أن تفرق بينهم بعد مرور سنوات طويلة حين يكبرون .

— لم تغب عن بالى مثل هذه الفكرة لحظة واحدة ، وانى لكاره لها حقا ولا أود لها أن تبقى فى ذهنى برهة .

وعادت مارج تحمل الشراب ، ولاحظت أن يدها تهتز وترتعش فأيقنت أنها تجب هومر وأنها تجد فيه عونا ونصيرا لها .  
قلت لهومر : هيا اشرب ثم لنناقش الأمر على وجه أقرب الى العقل .  
وأمن هومر فى عبوسه وأخذ يقول :

— وهذا أيضا ما لا أحب أن أناقشه ، قل لى بربك أى شىء تحس اذا سرت فى الطريق العام وأيقنت أن الوجوه كلها من حولك متشابهة لا تختلف فى قسامتها وملامحها تراها صورة منك وعلى مثالك فحسب .  
فقلت أويد قوله : لا بأس ، اخاله أمرا يدعو الى الحيرة والجرح حقا ، بيد أنه من البين فى الوقت نفسه انه لا يمت لك بصلة ، ولا يخصك فى قليل أو كثير ..

أخذ هومر أنفاسا طويلة عميقة وأفرغ الكأس كله في فمه .. وفي هذه اللحظة دخل جييلمان وبمفري وقد تهلل وجههما بشرا وجورا ، واختطف بمفري يد هومر محييا مرحبا وهو يقول :

— حسنا . حسنا . اننا نسير في طريقنا المرسوم يا هومر . أليس كذلك ؟ لقد اقتشعت الغيوم ، وبدا الطريق واضحا جليا أمامنا .

فقال هومر : هذا ما ترى ، غير أنه بدا أسوأ وأثكى ..

وقال بمفري : عليك ألا تدع مثل هذا الشعور يخامرك ، لقد كانت معجزة يا بنى أن تكون العضو نوت الأم الأولى في التلقيح الصناعي . يا لها من معجزة وليس لانسان أن يجد ثغرة ينفذ منها ناقدا المؤسسة القومية لاعادة الاخصاب فيلومها على هذا الاختيار الموفق .

بل أن هذا يا سيدى يؤيد بالدليل القاطع ان الادارة غير متحيزة أبدا ولا تستلهم الا العدالة حين أتاحت لعضو من حزب المعارضة أن يكسب القرعة . وسوف يحس مجلس الشيوخ أنه ليس دون غيره ابتهاجا حين تكون الأم الأولى واحدة من بين أعضائه .

ولاذ هومر بالصمت ، فدفعت الي يده بكأس أخرى .

وتبسم جييلمان ابتساما عريضة كشفت عن أسنانه العفنة الفاسدة وقال :

— ان عضو الشيوخ « نوت » في طريقها الآن الى الردهة ، ولقد جاءت في هذه اللحظة الحاسمة ليلتقطوا لكما معا بعض الصور انها سيده تفيض حيوية وجاذبية ، أليس كذلك يا هومر ؟ وعلى الرغم من أنها قد أثارت بعض المتاعب منذ وقت قصير مضى ، فلست أجد سواها أسعد حفا وأسطع نجما باختيار رئيس الجمهورية لها ، وهذا بالطبع تقدير الدوائر السياسية .

وما كاد هومر يسمع هذه الكلمات حتى غص حلقه بالشراب ولهث  
قائلا : هل قلت انها آتية الى هنا ؟

فقال جييلمان : أجل ستحضر حين يصل مصورو الصحف والسينما .  
وفجأة أخذت عضلات هومر تتقلص وتترأخى وحل عليه الهدوء شيئا  
فشيئا كالمصارع حين يسترخى ويرخى لعضلاته في ركن من أركان الحلبة .  
وقال في دقة وحزم : اذا جاءت الى هنا فسوف أخنقها وأزهق روحها ..

وصاح آبل بمفري قائلا : ماذا أنت فاعل ؟  
واتنفخت أوداجه ، وكادت تنفصد دما ، وهي تبرز من تحت ياقة  
قميصه .

وعاد هومر يقول : سأمزقها اربا ، وسألتقى بأشلائها طعاما للطيور  
الجارحة على هذه الصورة — ومد ذراعيه الطويلتين ليوضح طريقته .  
وعزمت على أن أتدخل حين أجد الفرصة مواتية ، فقلت :

أيها السادة : ان السيد آدم مجهد ومكدود ، وقد أخرجه عن وعيه  
وهدوئه عبء يثقل روحه واضطراب نفسى عنيف ورجائي أن ترق قلوبكم  
له وأن تلتمسوا له عذرا . والأجدر بكم أن تهبطوا الى عضو الشيوخ  
« نوت » فتقدموا لها اعتذار السيد آدم وأسفه الشديد لأن يحظى بشرف  
لقائها فاني أرى انه لن يتورع عن ضربها وصفعها اذا جاءت اليه هنا ..

وأقتدتهما الى الباب ، مودعا وعندها راح جييلمان يسأل :

— أى شيء أصابه ؟ أبه مس من الشيطان ؟ أطار صوابه ؟

وقال بمفري : رباه لم أكن أدري ان الغضب سوف يقلبه هكذا رأسا  
على عقب . عجبا ! انه يمثل دوره بنجاح فائق وكأنه أعظم شخصية في  
المؤسسة القومية لاعادة الاخصاب . ولقد كنت الوحيد في المجلس كله  
الذي أثارت حفيظتي ، وملأت قلبي حقدا تلك العبارات التي فاهت بها

العضو « فوت » غير أنى تغاضبت عما قالت ، وباعدت ما بينى وبينها وهآنذا أرحب بمقدم عضو الشيوخ « فوت » على انها السيدة الأمريكية الأولى ، والمثل الأعلى للام الأولى فى مشروع التلقيح الصناعى ، ولقد أغدقت عليها الحياة جمالا وذكاء ومالا . فما باله يصر على الرفض فى أن ينشئ معها فعلا — وأكرر فعلا — رابطة زوجية ؟

فقال جييلمان : انها لمسألة تعنيه وحده الى حد ما ، وانى لأتخيل دائما أن ثمة روابط مشتركة وميولا ظاهرة وراء ستار علم الآثار . وقال بمفرى ناصحا : لقد رأيت أن أراقبه عن كئيب . أراقبه مراقبة دقيقة فانى على يقين من أننى لا أفهمه ، لا أفهم طباعه أبدا . وكان هومر لا يزال متربعا فى كرسيه بحجرة الجلوس حين أخبرته قائلا :

— حسنا ، اطمئن فلقد خلصت منهم جميعا .

فقال لى : شكرا لك يا ستيف . بيد أننى أعتقد أننى لن أبقى على هذا الحال طويلا فانى لم أعد أسيغه .

وكان يحدثنى فى هدوء وبصوت خفيض يبلغ الهمس ، شأنه فى ذلك شأن الصراف الذى قرّ رأيه على ألا يقدم قرضا مشكوكا فى أمره .

— سأقول لك فى صراحة يا هومر انه ليس من المرتقب أن تحصل فائى فوت بالتلقيح الصناعى أو بأية طريقة أخرى ، فلقد تزوجت مرتين ولم تنجب وهذا أبلغ دليل على عقمها ، وعندما مات زوجها الثانى زعم الناس انه مات من شدة البرد .

فقال هومر : انما أثور على المبدأ الا غير يا صاحبى .

— عظيم ورائع . وهال من المبادئ السليمة أن ينصب فرد من نفسه الها ومن ثم يحكم على العالم بالفناء ؟ لا أظنك ترضى لنفسك هذا .

— لست أرضى لنفسى هذا . غير أنى لا أريد أن أقرب هذه المرأة .  
كانت مارج تجلس على طرف مقعدها ، وتهز ساقها الطويلتين الناعمتين  
وراحت أصابعها تعبت بشعر آدم وكانت هذه المرة الأولى التى أشاهدها  
تتحسس رجلا — غيرى — على هذا النحو ، حاولت أن أتكلم غير أنى  
أحسست أن كل ما تجمع من كلمات على طرف لسانى قد ذاب على شفتى .  
فقلت مارج : بالله ألا فكرت فيما تؤول اليه حال غيرها من النساء ،  
حالى أنا وحال النساء جميعا اللاتى ينطوين على أنفسهن ويقضين نجبهن  
كمدا اذا انقطع جبل أملهن واستولى اليأس عليهن ، أما تدرى بعد أنك  
موضع آمال النساء قاطبة يا هومر ..

وأطرق هومر برأسه الى الأرض ولاذ بالصمت العميق لقد كنت أعلم  
انه كان يفكر ، وظننت أن مارج قد هدأت من روعه ثم قلت : سنهبط الى  
المعمل عند الظهر يا هومر ، من ثم فليس هنا ما يدعو الى القلق حتى  
ذلك الحين . تماسك وتشجع فلن يصل الأمر الى ما تخال وتتوهم من  
سوء . سوف تتبع من الآن فصاعدا منهاجا يسيرا : فحين تجدهم فى غير  
حاجة اليك فى المعمل سنذهب الى مشاهدة السباق . أظنك تهوى السباق ،  
أليس كذلك ؟

وفى الحال أقبلت جين زيتر وكانت تحمل آخر الأبناء من الكايتول  
بعد أن استمعت الى هذه الأبناء فى غرفة نومها . ولقد خلتها مبتهجة مشرقة  
الوجه وكأنها كانت تعبر تعبيرا صادقا عن غريزة الأمومة الكامنة فيها وعن  
فرحتها ببعثها من جديد ، من أجل ذلك سارعت فى سرد أسماء الفائزات  
فى المجموعة الأولى بعد فوز « فای نوت » وكانت من بين الفائزات امرأة  
عضو فى اللجنة القومية بكاليفورنيا وملكة جمال العالم السابقة فى اثلاتيك  
سيتى ، وبعض الأرامل اللاتى تركهن أزواجهن كئييات بلا أطفال وزوجة



مدير سكة حديد . وحفيذة المليونير الأمريكى « فاندربيلت » (١) قلت لهومر « أسمعت ؟ اذن فعليك أن تفكر فى هؤلاء النساء جميعا بدلا من أن تحصر ذهنك فى نوت فتجفل عن أداء واجبك ، فكر فيما سيصيبهن من خيبة أمل لو حدث لك مكروه أو تخليت عن العمل .

وأوماً برأسه عن رضى فأرسلت زفرة وتنفست الصعداء . أخالنى قد كسبت الجولة أو أدت رسالتى ونجحت فى مهمتى . ولهذا انصرفت أدير خطط المستقبل . فرأيت أن أصطحب مارج فى رحلة بحرية الى هونولولو « وقد نذهب الى ريو . وعندها سوف يبدو لنا العالم فى أبهج صورة تحفزنا الى مواصلة الحياة فيه والاستمتاع بنعيمه ، بل لقد خلق بى الخيال الى أن أدفع مارج الى اقناعى بالموافقة على إتاحة فرصة لها فى اللقاح الصناعى ، لتتم سعادتنا بطفل .

وعندما دق التليفون تقدم هومر ليحيب ، وفجأة بدأ طقوسه التقليدية « لا ونعم » الشئ الذى فهمت منه أن « الاطار » كانت فى الجانب الآخر تبادلته الحديث ، فأخذت ألوم نفسى اذ لم أطلب من مكتب المباحث تسجيل كل ما يدور بينهما ، وكنت فى تلك اللحظة على أتم أهبة لأدفع أى مبلغ بغية أن أعرف ما تقوله « الاطار » لهومر . ولكن قسمت وجهه ظلت جامدة لا تنبئ عن شئ .

(١) كورنوليوس فاندربيلت Cornelius Vanderbeilt ١٧٩٤ - ١٨٧٧ أغنى أغنياء امريكا فى القرن التاسع عشر ، جمع ثروة طائلة بلغت عشرين مليون جنيه استرلينى من مساهمته فى بناء خطوط السكك الحديدية ، ولقد ورثه ولده وليام هنرى فاندربيلت ( ١٨٢١ - ١٨٨٥ ) ، ونما هذه الثروة وأضاف اليها بعد أن انتظم فى مهنة أبيه وتبرع أولهما بمبلغ مليون دولار لإنشاء جامعه فى « ناشفيل » تحمل اسمه ، وتبرع ثانيهما بمسلة فى الحديقة المركزية فى نيويورك ، وكذلك فعل سائر أبناء هذه الأسرة .

وفى تلك الليلة لعبنا البريدج ، وفى التاسعة فتحت المذياع وسمعنا جبريل هيتير يقول : « هاكم خيرا سارا الليلة ، نعم هاكم نبأ طيبا ترى هل بوسعى أن أجرؤ فأسرده ؟ نعم . أظن ذلك فالجنس البشرى يمضى قدما الى الأمام .. فسوف نشهد غدا تحقيق أعظم تجربة حدثت فى التاريخ ، ترى هل سيكتب لها النجاح ؟ أم سيقضى عليها بالفشل ؟ لا . بل ستكفل بالنجاح فكل نبرة من نبرات صوتى تؤكد ذلك » .

قلت مخاطبا هومر : أسمعت ما يقول ذلك الرجل الأمين ؟

ومضى هيتير يقول : « ان هيتير يتنبأ للتجربة بالنجاح . ولعلكم سيداتى وسادتى تذكرون أن هيتير قد تنبأ لكم من قبل بنهاية هتلر وموسهوليني أما الآن فهو يتنبأ لكم بنجاح التجربة . فبعد تسعة أشهر منذ الغد ستقوم عضو الشيوخ فای سمنر نوت ذلك المثل الرائع للأنوثة الأمريكية ستقوم من جديد بحمل شعلة الأمموة العظيمة عالية ، وبعد تسعة شهور من الغد . ستحدث المعجزة « سيولد طفل » أيها السادة .. » .

وهنا ابتسم هومر ولم أرتح لتلك البسمة فسألته : فيم تفكر يا هومر ؟  
أجاب : لا شىء . لا شىء البتة .

وانتقل هيتير فجأة وبطريقة خادعة من وصف شعر آدم الجميل وذكر محاسنه الى حاجة الرجال الملحة جميعهم الى مقو للشعر . عندما أغلقت الجهاز عدت أسأل هومر ، وما زلت أشعر بالقلق لتلك البسمة .

— أسمعت ما يقوله ذلك الرجل الأمين جبريل هيتير ؟

— أجل ، اننى مولع بالانصات الى صوته ، وأحس من خلال نبراته وتعبيراته أنه متفائل الى حد كبير .

وقالت جين مؤيدة : أجل . ففى خلال المعارك التى دارت رحاها فى

بلجيكا لم أكن أجد حماسة لمتابعة أحداث الحياة الا حين أستمع الى هيتير ؟

— أما أنا فلا أعده مديعا أو معلقا على الأخبار فحسب ، بل هو عندي منشد في جماعة من المرتلين ، واني على هذا أحب سماع صوته حب هومر له لأنه رجل متفائل يبعث في نفوس المستمعين الأمل ، واني بهذا أرى أنه ما دام الله في علاه وهيتير على الأرض يصرفان مقاليد الأمور فلا سبيل الى القلق ولا ضير علينا .

وتشاءب هومر وقال : هل تأذن لي في الانصراف فاني أحس حاجة الى النوم لا سيما أن أمامي يوما حافلا بالأعمال الجسام كما لا يخفى عليك .

ووافقته على رأيه ، ورجوته أن ينسى متاعبه وقلت له مشجعا : لتمض هذه العملية سهلة هينة ، ولتعددها عملا من الأعمال اليسيرة المألوفة ، وبهذا يبدو لك العمل وكأنك في حجرة مكتبك ، وأنت ملزم بالجلوس فيها أياما معدودة تمضى بعدها أوقاتك راضيا خالي البال ، لا تعمل شيئا ، كن كرجل الأعمال والمال الذي يذهب الى مكتبه ساعة أو بضع ساعات كل أسبوع مرة أو مرتين أو ثلاثا لينجز أعمالا عاجلة فاذا أخذت الأمر يا هومر على هذا النهج السليم الهين فلن تحس منه أو تشعر نحوه بسوء كما لن تتوقع منه البلاء .

وابتسم هومر ابتسامة بريئة كأنه لم يستشعر الجدة أو الطرافة في حديثي واكتفى بأن قال : أجل .. طاب مساؤكم .

وغادرتنا جين الى فراشها وهكذا أصبحت أنا ومارج وحدنا فقلت لها : حسنا يبدو لي أن هذا العبء الثقيل قد بدأ يخف ولعله قد أشرف على نهايته ، ثم طففت أتحدث عن هونولولو ويو والجمال المساحر المتعدد

الألوان على شاطئ سيدنى ، والقمر المعلق فوق المآذن والقباب ذات الحراب فى سماء اسطنبول ، والروائح العطرة العفنة التى تفوح من نابلى وفينيسيا .

وكانت مارج تصفى الىّ فى شغف وانتباه وهدوء وسكينة تدعو الى التساؤل ، كانت كالنموذج الحلو الجميل فى واجهة محل من المحلات الكبرى ثم قالت لى : هل ترى أن هذا الأمر سيتحقق ويحدث من جديد ؟ لا أعتقد انك تثق بنتيجة ثمرة ولا أخالك تصفر الآن الا لكى تحفظ رباطة جأشك وشجاعتك .

فقلت محتجا : ليس لدى أدنى شك فى أن الأمر جد وخطير ، ولن يهل منتصف فصل الصيف حتى يتم كل شىء ويصبح مألوفاً معروفاً للناس جميعاً ، وعلى ذلك سنجد أمامنا فسحة من الوقت لنروح عن نفسينا ونستمتع بحياتنا .

وسألتنى مارج : هل تحب أن تعرف فيما أفكر ؟

— أجل .

— لو افترضنا أن فای نوت قد رزقت بطفل ، أظنك ستقول أنه جاء

نتيجة حمل شريف ، لم يخالطه دنس ؟

— أنت شديدة السخرية مثل بوجى .

— انتظر وسبرى .

وكان الحديث ذا شجون فظلنا نتجاذب أطرافه الى ما بعد منتصف الليل وطوال ذلك الوقت كانت لا تنى ولا تنقطع عن التأكيد فى اصرار والحاح بأن الأمور لن تسير الى غايتها المرتبة وأنها لا ترضى عن الطريقة التى يسلكها هومر ، غير أنى لم أر رأيها ، ولم أوافق على حرف مما قالته : وأكدت لها أنى لن أحاول أن أضع جهدى وطاقتى كى أقلب حياته رأساً

على عقب ، أو أحاول اثارته ، وقالت ان الطبيعة وهبتها حاسة سبق  
الحوادث .

ففندت زعمها هذا قائلا انى لا أؤمن بهذه الحاسة أو بخرافات الأشباح  
والجن .

وقالت : افك رجل عنيد ، أحقق ، متلون ، ولا مبدأ لك .  
فقلت : أنت عجوز شمطاء ، عصبية تتخيلين أوهاما وأشباحا حين تجددين  
نفسك وحيدة خلال الليل .

وعادت تذكرنى بأنى كنت دوما مخطئا في تقديرى للأمور كلها ، أما هى  
فسديدة الرأى ، حكيمة عاقلة .

وقلت اننا على طرفى تقيض ، هى فى الجانب المظلم وأنا فى الجانب  
المشرق ، وأنتى لست مثلها أحصى كل صغيرة وكبيرة فى سجل خاص  
كما دأبت هى على أن تفعل ، واننى لا أحب أبدا أن أضعها فى مواقف حرجة  
بغيضة الى نفسها ..

وأخيرا قالت : خير لى أن أنام فى فراشى وحدى وأن يعتزل كل منا  
الآخر .

وقلت لها : ان هذا ما أرتضيه وأنشده .

تمددت وحدى فى فراشى وغلبنى النعاس .

وعندما استيقظت فى الصباح ، وجدت مارج جالسة على حافة الفراش  
تحقق فى وجهى ثم نهضت وانحنت فوق رقبتى وقبلتنى قبلة فى جبينى .  
وقالت : أعتذر لك عما بدر منى ، هذا اذا بدأت أنت بالاعتذار .  
فقلت : آسف .

وقالت : رأيت حلما جميلا ، حلما من أحلام الصباح الوردية . كان  
يوما من أيام الربيع والطيور تحلق وتغرد فى كل مكان وقد أخذ بعضها

يحاول أولى زقزقائه ، على حين امتدت خيوط الشمس الفضية عبر النافذة  
فغمرت الغرفة بالضياء وهب النسيم العليل من الحديقة محملا بأريج الأزهار  
العطرة المتفتحة الندية .

كانت الساعة العاشرة صباحا فقمنا وارتيدينا ملابسنا وهبطنا الى غرفة  
الجلوس وأخذنا نقرأ صحف الصباح .

فقلت جين تسألني : اننى أعد طعام افطار بسيط أتريد البيض مسلوقا ؟  
فأجبت صائحا : نعم بيض مسلوق وعسل فحل وأعدى مثله لمارج ،  
أين هومر ؟

قالت جين : لقد خرج يتريض في الحديقة .

— متى خرج ؟

— في الساعة التاسعة وقال انه سيعود سريعا ليتناول طعام الافطار ،

يا له من صباح وضاح مشرق ..

— انه صباح بديع حقا . وكيف كانت حال آدم ؟

— لم أره أحسن منه اليوم . لقد كان جذلا طروبا وكأنه طفل ذاهب

الى المدرسة للمرة الأولى ، وقد خرج ليشتري حلوى ..

— هذا رائع . ونظرت الى مارج ، واعتدلت في جلستها ولوت رأسها

ناحية وقالت : نعم . انه بديع حقا . أليس كذلك ؟

وصاحت جين تقول قبل أن تنصرف : سأعد البيض والافطار في

لحظات .

أخذت الصحيفة وبدأت أقفل بصرى من عنوان الى عنوان دون أن

يمسك ذهنى كلمة واحدة أو عبارة واحدة رغم ما حاولت من تركيز انتباهى

الى أن سألتنى مارج بلهجة عذبة قائلة : أليس من الأوفق أن نخرج للبحث

عن هومر ؟

— أرى ألا داعى لذلك فان أخشى ما أخشاه أن نذهب من طريق  
ويعود هو من طريق . فلا موجب للقلق ، فلن يلبث غير قليل ثم يعود .  
أتظن ذلك يا .. عزيزى ؟

— ماذا يضيرنا لو ذهب هومر يتريض فى الحديقة ، فلقد اعتاد أن  
يفعل ذلك مرارا .

وأحضرت جين طبقا ووضعتة فوق ركبتي ، وكافت فيه بيضتان على  
خبز مقدد بالزبد فبدتا كأنهما عينان صفراوان تتطلعان الىّ فى خبث وريبة .  
وفجأة فقدت شهيتى للطعام فنحيت الطبق جانبا ، وعادت مارج تكرر  
قائلة : ألا ترى أنه من الجدير بنا أن نخرج للبحث عن هومر الآن  
يا عزيزى ؟

ولم أرتح حقا لهذا الأسلوب الذى كافت تنادينى به ، قائلة يا عزيزى :  
فلقد كان أشبه بنصل سكين حادة ينحدر فوق رقبتي ، فكرهت كل شئ  
فى ذلك الصباح الجميل ، وخت أن الشمس والطيور والحشائش والأزهار  
تسخر منى ولحظت جين ترقبني وكان وجهها ينضح عرقا فى حبات صغيرة ،  
كما ظلت أصابع يديها مشتبكة فى عصبية .

ومضت قائلة : أجل . أظن أنه من الخير أن أخرج للبحث عن هومر  
فارتديت ملابسى على عجل ، ولم أعن بوضع رباط العنق .

وما كدت أعادر مدخل الفندق حتى تطلعت أنعم النظر فى الطريق ، ثم  
خطر لى أن أمكث فى انتظاره على باب الفندق ، اذ لعله يسلك طريقا بعينه  
من بين عشرات الطرق التى تفضى كلها الى مدخل الفندق ، ولعله الآن  
يسلك احداها .. وقد صبرى بعد دقائق خمس ، فيممت وجهى شطر  
شارع كوتتكت ، ولكن سرعان ما غيرت رأبى فعدت ثانية الى الفندق ،  
وسرت من وراء مبناه سالكا طريقا يعطف نحو الحديقة العامة ، ووجدتنى

أحث الخطو نحوها . وبعد مسيرة نصف ميل توقفت ، وقلت لنفسي : ما هذا الغباء . يا له من غباء مطبق ! حقا انى أغبى انسان فما أدرانى لعله الآن رجع الى الفندق ولعل جين ومارج تسخران منى لاندفاعى وما كدت أصل حتى سألت البواب : هل رأيت السيد آدم ؟

— لا يا سيدى . لم أره منذ انصرافه فى الصباح . لقد خرج مبكرا ولم أره عند عودته .

— متى خرج ؟ وماذا فعل ؟

— لست أدرى ماذا كان يفعل ، وكل ما لاحظته أنه سار الى حال سبيله .

— هل كان معه أحد ؟

— دعنى أتذكر لحظة . كلا لم يكن معه انسان . وكل ما كان أنه سار فى طريقه لا يلوى على شىء ، وان يكن قد عاد الى الفندق فأعتقد أنه قد أخذ فى عودته طريق الشرفة وحمام السباحة . فهذا أسرع له لو أنه قد قصد الحديقة ليتجول فيها .

— هو ذلك بالتأكيد . أشكرك .

ووجدت حقا أنه من الطبيعى أن يسلك هومر طريق الشرفة الواقع خلف الفندق لو أنه ذهب الى الحديقة ، وقد يكون عاد فعلا حين كنت أنتظره فى الناحية الأخرى أمام الفندق ، فان كان قد فعل فلا بد أنه مر بمسجل الفندق ، وعلى هذا فيكون ذلك الأخير على علم بعودته ووقت وصوله . وعلى ذلك صعلت الى المسجل أسأله هل شاهد السيد آدم ، فأجاب بأنه قد شاهده فى التاسعة وأنه قد ترك رسالة لى فى ظرف وأنه أمره بأن يسلمها الىّ حين عودتى الى الفندق على فرض انى قد أعود متأخرا وأنزل فى الصباح متأخرا عنه . وأتجه الى صندوق الرسائل وأخرج



منه ظرفا سلمنى اياه فوضعتة فى جيبى وشكرته ابتسمت له علامة على الرضى كما يفعل الناس جميعا فى مثل هذه الظروف عندما يتسلمون أشياء مألوفة مثل خطاب أو طرد صغير ، أو اعلان فحسب أو قائمة حساب . وبعد ذلك خطت قدمائى الى المصعد وطلبت من العامل الصعود بى الى الطابق الخامس ، ورحت أعلل نفسى بأن الرسالة قد لا تحوى شيئا مثيرا أو لعلها تحوى اعتذارا عن تأخر هومر فى الرجوع قليلا ، وقلت لنفسى ليس ثمة ما يدعو الى تهويل الأحداث . أشياء لا مبرر لها !

وأخيرا وجدت من الخير أن أفض الرسالة قبل دخولى الى جناحه فأخرجتها من جيبى وتأملت الظرف وكان من ظروف الفندق وكان مكتوبا عليه اسمى هكذا « ستيف سميث » وبالطبع لم يكشف لى ذلك عن شيء ولم يزدنى علما ، ثم رحمت أحدث نفسى عما اذا كان هومر قد لاذ بالفرار وكان على أن أعلم ذلك فى الحال لأن هذا أجدى وأتفع ، لهذا أخذت فى فض الغلاف ، ثم ما لبثت أن طويتها ، وأعدتها الى جيبى وفتحت الباب ودخلت الى الجناح فاستقبلتنى مارج قائلة : خيرا .

فسألتها أنا الآخر : ألم يعد ؟

بيد أنها لظمت الصمت ، فقلت : لقد ترك لى رسالة . أظنه ترك لى رسالة حاولت أن أفضها غير انى لم أجد ثمة فائدة من فضاها .  
قالت : هاتها .

والتقطت الظرف من يدي ودست ظفر ابهامها فى الغلاف فبرزت الرسالة دون غناء ، وكانت صفحة كاملة من الورق مكتوبة على وجهيها ، بسطتها مارج فوق المائدة ، ورحت أطلعها من فوق كتنفها وأقرأ :

« عزيزى ستيف :

أرجو أن تعد رسالتى هذه استقالة من المؤسسة القومية لاعادة



الاخصاب فان الدستور وقوانين الدولة تخولني حق الاستقالة وهانذا  
أقدم استقالتي .

اقسى آكره أن أفعل ذلك ويؤلمني أن أتصرف هذا التصرف لأنني أعلم  
أنه سيؤدى بك الى المتاعب ، ولقد كنت صديقا لطيفا لى ، ولن أنسى  
اهتمامك بى وأعتذر لك الاعتذار كله عن أنى كنت مبعث بعض المتاعب

والمشاكل ، غير أنى واثق بأنك قادر على أن تخلص نفسك من أية ورطة أو حرج أو أزمة .

ولابد لى مع هذا من أن أقر لك بالحقيقة التى لن تلبث قليلا حتى تصل إليها : انى ذاهب مع «كاتى» . ولقد بذلت أقصى ما فى وسعى كى أودى واجبى كاملا . ولكنى أقر فى الوقت نفسه أنه لو لم يقع الاختيار على عضو الشيوخ « نوت » لتكون الأم الأولى ما أثارنى الأمر الى هذا الحد . لقد كان الاختيار ضربة قاضية لأحلامى ولى مع هذا أن أستشهد برأى وجيه لكاتى فهى تقول ان الطفل الأول من مشروع التلقيح الصناعى سيرث كل الصفات السيئة التى تجتمع فى العضو فإى نوت وفى ولا أجد لى ازاء هذا الحق فى أن أفرض مثل هذه الضريبة القاسية على العالم البشرى .

كم أنا آسفة لاضطرارى الى التخلّى عن مارى ايلين واليانور الصغيرة . غير أنه مما يخفف حزنى أن هناك قدرا طيبا من المال يمكنهما من الاتفاق عن سعة . ولا أخال مارى ايلين الا مدركة أن فرصتى الوحيدة فى السعادة هى الاستقالة وأن أذهب بعيدا مع كاتى ، ان كاتى هى الشخص الوحيد الذى أحس أن فى مقدوره أن يساعدنى .

وبعد فالى اللقاء يا ستيف . هومر . » .

ملحوظة : تحياتى وحبى لمارج ، وبلغ عنى جين تحية الوداع ..

وما أن انتهيت من قراءة الرسالة حتى أمسكت سماعة التليفون ، الشيء الذى جعل مارج تسألنى عما أتتوى عمله . والواقع أنى فعلت ذلك دون هدف مرسوم ، وقد خطرت لى أول وهلة فكرة الذهاب الى نيويورك والعودة الى منزلى . غير أن مارج أخذت سماعة التليفون من

يدى وهى تقول : ليس من اليسير عليك أن تفعل يا ستيف فأنت رجل  
مسئول ولو تخليت عن هذه المهمة فسأهجرك أنا أيضا . وأقسم لك  
على ذلك .

وخلال هذا كانت جين تقرأ الخطاب فما كادت تنتهى منه حتى سقطت  
على الأرض ، فاقدة وعيها ؛ مما جعل مارج تصيح قائلة : انظر ماذا فعلت  
أيها الرجل . لقد فقدت وعيها ، هيا أحضر خرقة مبتلة ، واعمل على أن  
تعود الى وعيها وتفيق ثم فكر وفكر على مهل ..

---

## الفصل الحادي عشر

كانت نتيجة هذا الحادث الحقيقية أن استيقظت غرائزي وأخذت تصيح بي أن أفر وأن أفر على عجل ، غير أن هذا الفرار كان أمرا مستحيلا إذ كان على أن أفعل أمورا بعينها ، فاتصلت بالمؤسسة القومية لاعادة الاخصاب تليفونيا وطلبت السيد بمفري ، وأجابت مساعدته الخاصة متسائلة عن المتحدث فطلبت اليها ابلاغه أن ستيف يريد التحدث اليه ، فطلبت مني أن أرجيء ذلك لأن أمرا هاما يشغله لا يستطيع أن يفرغ منه لحظة . فقلت : ان الأمر جد عاجل ولهذا أرغب في محادثته سريعا . فقالت انه لا يرغب في أن يزعجه أحد ، فهو منهمك من رأسه الى أخمص قدميه في اعداد خطاب بمساعدة السيد جيلمان لتسجيله والقائه في الاذاعة عن بدء التلقيح الصناعي .

فقلت : أريده للأمر على جانب كبير من الأهمية يتصل بخطابه هذا ارتباطا حيويا .

— لا ضير اذن من أن أهيبء لك الاتصال به .

ورد على حين سمع صوتي : من المتحدث ؟ أهذا أنت يا سميث ، اني جد مشغول الآن هل تستطيع أن توجل ال ..  
فقاطعته : لقد هرب هومر آدم .

وبعد ذلك سمعت صوتا مختنقا في الجانب الآخر من التليفون ثم هذه الجمل الموجهة الي : أخالني أفهم ما تقول يا سميث ستيف . هل قلت ..

فرددت للمرة الثانية : لقد هرب هومر آدم . ذهب واختفى تماما ولم يعد له أثر .

وبعد ذلك سمعت أصواتا عالية غريبة غير مألوفة في الجانب الآخر من التلفون وكانت عبارات وكلمات متقطعة ومنفككة ، لم يكن مصدرها آبل بمفري .

وقالت مارج : ماذا حدث ؟

— لست أدري ! لا أكاد أسمع شيئا غير أصوات مبهمه ، وكأنه قد شاعت في المكان فجأة حركة دائبة لعمال ينقلون أثاثا .

غير أنى رحمت أنادى : « هالو . هالو . » وبعد بضع دقائق سمعت من يجيب :

— هالو .. هالو أنت سميث . أنا جييلمان . ما الذى فعلته بيمفري ستيف ؟

— وما الذى حل به ؟

— انه في غيبوبة وجسمه بارد برودة الثلج . أظنه قد أصيب بنوبة قلبية وها نحن ذاهبون به الى المستشفى .

وحدثته عن هومر آدم ، وأنه قد استقال وفر هاربا .

عندئذ صرخ جييلمان وكأنه يعانى مغصا شديدا وهو يقول :

— لا ، لا تقل هذا ، لا تقل شيئا . سأحضر اليك في الحال وانتظر حتى أصل .

قلت : سأتصل بمكتب المباحث . ينبغي أن أفعل ذلك . وانى آسف لما أصاب السيد بمفري .

— رباه ! لو ذاع هذا النبأ ! أتظننا سوف نعثر عليه سريعا ؟

— لست أدري اذا كان في وسعنا أن نعر عليه . انا سوف  
لا نجده أبدا .

— حسنا اتصل بمكتب المباحث على شريطة ألا تضيع الخبر فتقضى  
على مستقبلنا جميعا . ولا تنس أنه من المحتمل العثور عليه .  
ثم انتهت المحادثة .

وقالت مارج : ما أغربها من محادثة .. ماذا حدث ؟

— آه لقد أصيب بمفري بنوبة في قلبه وقد أخذ جيلمان يسيطر  
على الموقف .

— لو مات « بمفري » لوقعت الطامة على رأسك واتهموك بقتله .  
ومن ثم اتصلت بعامل التليفون ، وطلبت منه الاتصال بمكتب المباحث .  
ثم أخبرت مارج محذرا اياها أن تقول لى شيئا آخر عن بمفري والا استقلت  
وذهبت مثل هومر الى حال سيئ ، واذا بقيت حال بمفري تسوء ، وظل  
قلبه لا يرجى شفاؤه وقدر له أن يودع الحياة في صباح هذا الربيع الجميل  
فلا لوم على ولا تثريب . وأخذت مارج تعطس ، وبدأت جين تعود الى  
نفسها وتسترد وعيها ، ثم وضعت ذراعها حول كتفها وأصصت أنى وحدى  
انسان تافه حقير ، لا جدوى منه ، ثم تسللت خارجا وقصدت مكتب  
المباحث وقابلت المفتش تكس روت . وكان تكس روت رجلا نحيلاً ضئيلاً ،  
سريع الحركة ، مرنا كالسوط المصنوع من جلد الثعبان الأسود ، ولم يبد  
عليه شيء من الدهشة بعد أن فرغت من سرد قصة هرب السيد آدم لأنه  
كان دوما يدير في رأسه رأيين تجاه أية فكرة أو مشكلة تعرض له وأذكر  
أننى قابلته من قبل حين ذهبت اليه أطلب تقريراً عن ملف « الاطار » ولهذا  
فقد قال حين أخبرته نبأ فرار هومر : هل تملكته تلك الفتاة ؟  
— أعتقد ذلك .

— لقد ارتقت هذا الأمر ، ولكن لا تبتس وتشجع ، اذ ربما جرت الأمور على العكس مما تتصور وأظنك تحرص على ألا يذاع الخبر أليس كذلك ؟ .

— أجل فقد يؤدي هذا الى عدم وقوع نفر من الأبرياء تحت طائلة القانون ظلما كما يجب كثيرا من حوادث الاغتيال والقتل وأشياء أخرى لا أدرى عنها شيئا على وجه الدقة .

فوافقني « نكس » على رأيي وقال : حقا قد يحدث هذا ....

رأيت فيه رغبة متصلة في الأبتسام واستأنف حديثه يقول :

— حسنا . لن نعلن عن هروب هوامر . لما يحن الوقت بمد . أظنك

تري معي أنه قد هرب مع تلك المرأة رايدل .

— لقد ترك وراءه ما يفيد ذلك وأعنى به ملحوظة صغيرة .

-- حسنا سأبعث برجال الشرطة السريين ليراقبوها في محطات السكك

الحديدية وفي المطارات والسيارات العامة والأجرة وان كنت على يقين

من أنها — لذكائها — لن تلجأ الى وسيلة من هذه . على أية حال انتظرنى

فسأحضر اليك بعد خمس دقائق .

وصل جييلمان أولا ولم يكن وحده فلقد كان معه كلوتس وكان

يتقدمه ، غير أنى رأيت الاضطراب والخوف يسيطران عليه فبدا غير

متماسك لا يكاد يثبت وما كدت أراها حتى وخزنى شعور بالذنب والاثم

فصحت عندها قائلا كيف حال بمفرى ؟ فأجاب كلوتس : يؤسفنى أن حاله

لا تدعو الى الاطمئنان وانا لنشفق عليه ونرثى له ، ولست أدرى ما هى

العواقب السيئة التى سوف تقع مع موت بمفرى لو قدر له أن يموت

الآن . ان المؤسسة سوف تتحطم وتنهار ولست أجد كفتا يخلفه وسيظل

مكانه شاغرا بكل تأكيد .



فقال جيلمان : ان الأمور تنذر بالسوء ، فهناك لفظ كبير وجدل كثير حول وضع المؤسسة القومية لاعادة الاخصاب تحت اشراف وزارة الداخلية أو الصحة ، هذا اذا أصاب بمفرى مكروه لا قدر الله اذ من العسير عمل شيء خلاف هذا . فالانتقال المفاجيء أمر لا مفر منه ، وليس عنه محيص ، وسوف لا يؤثر هذا الأمر فينا طبعاً كما لن يكون له أثر علينا . هذا الى أن وزارة الداخلية تحثى على الانضمام اليها وكذلك تحاول وزارة الخارجية أن أقبل العودة الى عملى السابق بها ، انه لشيء يدعو الى الأسف والجزع أن نهجر مثل هذه المؤسسة الرائعة المحكمة الدقيقة الصغيرة — المؤسسة القومية لاعادة الاخصاب .

فقال كلوتس : يقينى أنه الاحساس نفسه الذى أشعر به لو تركت هذه المؤسسة ، بل ان أسوأ ما فيه أنى سأظل محتفظاً بعملى ومهمتى الى أن يحين الوقت لوقف المشروع .

هز جيلمان رأسه ثم جلس وقال : لست أجد وسيلة انقاذ فى هذا الموقف الشائك، فاذا أخفقنا فى العثور على آدم سريعاً فلن نعرف كيف تهدأ الأمور ، لست أدرى حقا كيف نستطيع أن نسيطر عليها بوسيلة ما . واذا ما علم العقيد فليس سمايث بفرار آدم فلن يتوانى عن اللجؤ وشيكا الى وزارة الحرية ولا ندرى ما سوف يقوله حقا للمسئولين ، وما سوف يتخذونه هم حيال هذا الأمر الجلل .

ووصل المفتش تكس روت فأحسست سروراً لرؤيته ولم يكن يبدو عليه الاتزان والتعقل فحسب ، بل كنت تدرك أنه قادر على البقاء على حاله . وأعطيته خطاب هومر فقراه مرتين بصوت عال ثم قال :

— لن يستطيعا الافلات منى .

قلت : ولم لا ؟

— لأنهما مشهوران معروفان مثل جوزيف ستالين وونستون تشرشل بل لعلهما أكثر منهما شهرة ، انه لا يكاد يقصد مكانا حتى تعرفه الجماهير وتلتفت حوله ، ولا تنس أن اليوم هو موعد بدء التلقيح الصناعي ، فاذا ظهر في مدينة ما مثل كنساس فلا بد أن يصيح القوم « هذا هو آدم » ما الذى جاء به الى هنا اليوم والمفروض أن يكون في واشنطن لبدء تنفيذ المشروع ، وهكذا الى أن يقع في قبضتنا .

— لعمري انه تحليل معقول .

هو تحليل معقول ويزيده قربا الى ذلك اذا ما أنذرنا الجهات كلها وأبأناها بما حدث . ويقينى انه لو تم هذا فلسوف نمسك بهومر والفتاة خلال ساعات .

قال جييلمان وهو يذرع الغرفة جيئة وذهابا : حسنا ، ولكن هل تستطيع أن تتخيل ما يقع لو أذيع النبأ ، لو أذيع ان هومر آدم قد فر ؟ ويبدو أن تخيل نكس روث لما سيقع عقد لسانه فاستحال عليه الكلام ثم قال فى هدوء :

— أرى أن فى هذا اثارا للفتنة والاضطراب وأنه لا يقل خطورة عن معركة « بيرل هاربر » بل انه يفوقها سوءا كما أنه ينذر بعواقب وخيمة وقد يقضى على عدد كبير من أعضاء المؤسسة القومية لاعادة الاخصاب هؤلاء الذين يحرسون — دون غيرهم — أشد الحرص على الحياة ويعملون من أجل بقاء حياتهم وحياة الآخرين ، لقد زاد ايمان الجماهير بهومر آدم ، وبمشروع التلقيح الصناعي وانى على بيته مما أقول لأنتى زوج . ولقد تعقدت الأمور حين علم الناس أن آدم يعاشر زوجته الشرعية ، ولست أدرى ماذا سيفعلون حين يعلمون أنه قد هرب مع عشيقته المثلة ..

قال جيلمان : صدقت . سيعم الاضطراب ، وستسود البلاد الفوضى  
والخراب .

وأخذ تكس روت يفكر في الأمر ملياً على حين ظل ينقر بأصابعه الرفيعة  
الدقيقة على ذراع كرسيه ثم قال :

— ان العثور على آدم من واجب مكتبنا ، ويجب العثور عليه بأسرع  
ما نستطيع ، اننى أميل الى أن أعد الحادث اختطافاً ، فاذا لم يتم لنا  
الاهتداء الى آدم حتى منتصف الليل ولم يعثر مخبرونا على أثر له  
فلا مناص من اذاعة الخبر ، فوافقته ورحت أروى له كل ما تعنيه معرفته  
عن هومر آدم وقصصت عليه ما أعلم عن محادثات « الاطار » فى التليفون  
مع هومر وكذلك كل شىء يخصهما . وعندما وصلت الى النقطة التى تتصل  
بعلاقتهما واهتمامهما المشترك بآثار الأزتريك أو ما روث برأسه وقال : أرى  
انهما قد وليا شطرهما صوب بلاد المكسيك فاذا كانت هذه وجهتهما  
فسنعرف ذلك فى الحال .

واتصل المفتش بمكتبه وأملى على مساعده بعض تعليمات أخرى  
وعاد الى يستأنف حديثه :

— وهكذا ترى أنه قد استقر رأينا على مراقبة كل المصالح التجارية  
والطرق التى تتصل بالمكسيك ، على أن نراقب الطائرات الخاصة التى  
تزمع الاقلاع الى هذه البلاد .

وقصصت عليه كل ما أعلمه عن محادثتهما مع هومر ، وبعدها قصدنا  
معا الى شبكة التليفون بالفندق ، فقالت احدى العاملات انها تذكر أن  
الآنسة رايدل قد اتصلت به مساء أمس ، ولم تكن المكالمة خارجية بل كانت  
محلية وان كانت لا تعرف مكانها ، فقد اعتادت الآنسة رايدل الاتصال

به من خارج المدينة غير أنها لاحظت أن محادثتها طوال الأيام الثلاثة الخالية كانت من واشنطن نفسها .

قال روث لدى عودتنا الى الطابق الخامس :

— هذا يفسر لنا انها كانت بواشنطن الليلة السابقة . أين تقيم هذه

الفتاة عادة عندما ما تحضر الى العاصمة ؟

ولما ذكرت له اسم الفندق اتصل به بالتليفون واتضح ان ادارة الفندق

لا تعلم شيئاً عنها ولا عن وصولها حتى الى واشنطن . فقال روث :

— لقد ظلت مختلفة مدة ما ، وهذا يدل على أنها قد دبرت خطتها بعناية

والخشى ما أخشاه ألا نعثر عليها الا بعد جهد جهيد . انها لفتاة ذكية ،

وشديدة الذكاء .

دق التليفون فردت جين زيتر وخاطبتني قائلة :

— ان معامل مؤسسة اعادة الاخصاب تقول ان الأطباء على استعداد

لاستقبال السيد آدم وانهم في الانتظار منذ وقت طويل .

وكنت قد أنسيت ان الوقت قد جاوز الظهيرة فقلت :

— قولى لهم ، قولى لهم .. ماذا أقول لهم يا جيلمان ؟

قال : رحمتك يا الهى . دعيني أفكر . خبريهم ان السيد آدم لا يستطيع

القيام بما فرض عليه اليوم .

قلت : هذا سلوك معوج . ومن الواجب علينا أن ندير الأمر على

طريقة أفضل وبقينا سوف نجد الطرف موافقاً فيما بعد ، في وضوح النهار

أو هذا المساء عندما تتصل بنا فإى نوت وتطلب تحقيق فرصتها في الحمل .

وقال جيلمان وهو يتأوه ؟

— أواه . ليتنى ما تركت عملى في وزارة الداخلية ! كم أنا نادم على

ذلك ، ان شيئاً مثل هذا لم يحدث أبداً في هذه الوزارة .

وقالت جين في التليفون : أرجو أن يظل الخط متصلا .

فسألت : ألم يخطر ببال واحد منكم رأى من الآراء ؟

قالت مارج تعرض رأيا : لم لا تدعون أن ثمة مشكلة دولية عرقلت

سير المشروع ؟

فقال جيلمان : يا لها من فكرة رائعة : مشكلة دولية ! قل لهم ان

السيد آدم لن يستطيع القيام بما هو مطلوب منه اليوم لأن الجو السياسى

مشحون ببعض الخلافات الدولية ، وأن ثمة أمورا ينبغي تصفيتها قبل

البدء فى مشروع التلقيح الصناعى .

فانبرت جين تسوق الخبر الى المعامل .

وقلت : ولكن ما هى هذه الأمور التى ينبغي تصفيتها ، اذ من الخير أن

نكسب الحيلة صفة الحقيقة الواقعة .

قال جيلمان : ليس هذا بالأمر العسير ، وفى وسعى أن أعدد جملة من

الأمور التى هى فى ميسر الحاجة الى التصفية ، فلدينا بين ملفاتنا أكوام

من الاحتجاجات ، وهناك تلك المذكرة التى وصلتنا من الروس مساء أمس ،

يتهمون فيها فاى سميرنوت بعداوتها للاتحاد السوفيتى ، هذا الى أنهم

لم يعثروا بين القائمة كلها على أية مرشحة مشهود لها بالميل الى الاتحاد

السوفيتى ، وانهم على ذلك يعترضون على قائمة الترشيح كلها .

أما الفرنسيون فثائرون ، قد أعماهم الغضب وكذلك الصينيون وهؤلاء

وهؤلاء يتصايحون بأنه اذا لم يمنح السبق لدول معينة كان ذلك شهادة

صريحة بأن الولايات المتحدة لا تريد أن تقدم الضمان على أنها تتبع سياسة

لا تقوم على الأثرة الذاتية .

قلت : تكفينا هذه الحجة وحدها ، فهى كفيلة بأن تشد أزرنا الى

منتصف الليل على الأقل .

قال جيلمان :

— حسنا وسأذهب الآن الى المؤسسة حيث أبدأ العملية الحربية المعوقة . غير أنى أريدكم على أن تفهموا عنى ما أقول . اذا لم يسو الأمر على الوجه المرضى قبل منتصف الليل فعدونى مستقيلا وعدوا مهمتى معكم قد انتهت . وعند منتصف الليل سأغادركم وأترك المكتب ولن أعود وستجدونى فى صباح اليوم التالى فى وزارة الداخلية .

قال كلوتس وهو ينهض : لو كنت قد قبلت أيها السيد سميت أن تعمل بمشورتى منذ البداية فسححت للسيد آدم أن يعمل فى كفالة لجنة تحمل معها المسئولية وزارة الحربية لما وقعنا فى هذه الحيرة ، كما لا تنس أنك قد عرضت حياتى ومهمتى للخطر أيها السيد .

وظفقت أتحدث معجبا لأن مارج وجين كاتتا حاضرتين . ولكن جيلمان وكلوتس كانا قد خرجا ، ثم دلفت الى المطبخ فوجدت نكس روث قد وضع أمامه قطعة من الجبن على عيش مقدد ، فأشرت عليه أقول : اذا كنت تحس الجوع فسأبعث لاحضار طعام لنا معا .

فأجاب : لست جائعا ، ولكنى أرخى لتفكيرى العنان فحسب فانى أحسن التفكير حين أتسلى بمضغ العيش المقدد .

وسألته : فيم تفكر الآن ؟

— كنت أفكر فى أن هذا الذى قالته زوجتى ذات يوم يشبه كثيرا هذه المشكلة التى نحن بصددھا والتى نعانى منها ، اذ قالت يحدث أحيانا نقص فى بعض السلع وفى الحال يبدأ الانتهازيون فى استغلالها فى السوق السوداء .

— أأست تقصد بقولك هذا ان كاتى قد اقتنصت هومر لتستغله فى

تجارة الأطفال فى سوق سوداء ؟

— نعم ان هذا هو ما تود أن تقوله لى زوجتى صراحة ، وهو فى الحق احساس غريزى فيهن ولكنى لست واثقا من أن هذا هو ما يحفز « الاطار » فلعل هنا بواعث أخرى علاوة على استغلال السلع فى السوق السوداء ولكن يصعب علينا اكتشافها .

استطعت أن أتخيل « الاطار » فى صورة انسان تجمعت فيه وفرة من الأضداد ، وما خطر ببالى على أية حال أنها جشعة نهمة فى جمع المال .

وقلت : ما أظنك الا ساخرا ؟

— أتظن ذلك ؟ حسنا . أدر المذياع .

— وما صلة المذياع بهذا ؟

وقضم تكس روت قطعة صغيرة من الخبز المقدد ومضغها وان لمضغه لصوتا ثم حشى فمه بقطعة أخرى ، وقال وهو يمضغ : ان لهومر آدم أثرا فى سوق الأوراق المالية . أليس كذلك ؟

فأجبت : بالتأكيد ، اذ كلما كان آدم بخير ارتفعت قيمة الأوراق المالية واذا انخفضت فان هذا يبدو ايذانا بأن آدم اما مريض أو أن المؤسسة القومية لاعادة الاخصاب فى ورطة شديدة .

— وعلى قدر ما يصل اليه علم الجماهير يعد هذا اليوم يوما مشهودا يحصل رواج كبير لكل شىء . أليس ذلك كذلك ؟

— بالتأكيد . فانه يوم التلقيح الصناعى .

— وعلى ذلك أينبغى أن ترتفع أسعار سوق الأوراق المالية ؟

— آه أظن أنها ترتفع ارتفاعا وسطا . ومهما يكن من شىء فان التجار

المحترفين كانوا قد قاطعوا يوم الاخصاب الصناعى .

— وما رأيك اذ أدرت المذياع فعلت منه أن سوق الأوراق المالية

قد هبطت ؟

وفكرت ملياً في هذا الأمر وقلت : حقا لو حدث كساد عام في الأسواق فتفسير هذا أن الحرب قد أعلنت أو أن العالمين ببواطن الأمور من رجال الأعمال والمال قد ظنوا أن حياة آدم قد انتهت وأصبحت في خبر كان .

قال تكس روت : حسنا انى أستحكك على أن تدبر المذيع . وأدرت المذيع فسمعنا شيئا من الموسيقى ثم غنت فتاة أغنية ضاحكة قصيرة عن منع الحشرات من الوصول الى الفراش . ثم أعلن الاتحاد القومى للصناعة عن تقديم السيد هنرى موليت للتعليق على الأخبار كما يرى هو بطريقته المبتكرة التى لا تخضع للرقابة .

وقال لى تكس روت : انصت منعما .

بدأ السيد هنرى موليت حديثه بتقرير دقيق قاطع بأن السوق المالية قد هبطت على أثر انتشار شائعات مصدرها واشنطن ، بيد أنه لم يفسر لنا ما هى هذه الشائعات .

وقال تكس روت : لعلك تدرك الآن سبب تهكمى ، انك ترى أنك قادر على أن تخفى خبر هروب آدم . ولكن تأكد أنه اذا علم انسان ما بهذا السر فسوف يفشيه ويذيعه ثم يستخدمه أسوأ استخدام بل قد يخطر له أن يبيع البشر والبشرية لتوه .

ولم تعجبني منه عبارته عن بيع البشرية وكاشفته بذلك فنصحنى بأن أكون واقعيًا وأيد رأيه بما حدث خلال الحرب ، فقد جمع كثير من الناس ثروات طائلة من بيع السفن والطائرات ، على حين مات من كانوا يقودونها معدمين وراحوا ضحايا شهداء . وبعد أن انقشعت غمة الحرب أثرى كثيرون من بناء البيوت عدا هؤلاء الذين يستأجرونها ليسكنوها فقد ظلوا فقراء ، فقلت له ان هذا كله لا صلة له بالأسواق السوداء غير أنه



قال ان حديثه هذا يوضح اقتصاديات نقص السلع وانه كذلك يوضح الأسباب الأخرى التي من شأنها أن تدفع الاطار الى اقتناص هومر واختطافه علاوة على تلك الأسباب التي ذكرناها آتفا .

ظل التليفون يدق دقا متصلا وكنت في كل مرة أدعو الله أن يكون تكس روت هو المقصود ولكنه سبحانه وتعالى لم يشأ أن يستجيب لدعائي .  
واتصل بي كلوتس وأخبرني بأن صحة السيد بمفري في تقدم وأنه قد اجتاز مرحلة الخطر وأن ضغط دمه قد ارتفع ولقد نصحه الأطباء بأن يلزم الراحة شهرا ، وأن الأمل في شفائه كبير .

واتصل بي أيضا السيد جيلمان ليخبرني بأنه قد أصدر نشرة يعلن فيها عن تأجيل التلقيح الصناعي أربعا وعشرين ساعة ، وأن هذا النبأ كان له أثر سييء في الناس وأن الصحافة ترغب في أن تعرف مغزى هذا التأجيل وقال يفسر : أما عن المشاكل الدولية الطارئة المزعومة أو بمعنى آخر الستار المزعوم فقد أصبح من العسير ان يخدع الناس به طويلا أو أن يؤدي الى تحقيق الهدف الذي قصد منه فقد تقلتها وكالات الأنباء الى موسكو وما تزال موسكو تجهل حقيقة الأمر ، وبهذا أصدرت تكذيبا لها ، فإتار ذلك سخط وزارة الخارجية التي فكرت هي الأخرى في أن تكذب دوائر موسكو .

وأضاف : لقد كان يوما من تلك الأيام التي تبعث اليأس في قلب الانسان واني أفضل لهذا السبب العمل في وزارة الداخلية .

وعندما حل وقت العشاء التهم تكس روت وجين ومارج بضع شطائر بالدجاج وجرعوا أكوابا عديدة من اللبن أما أنا فلم أعد أحس الجوع ، وظلمت كذلك حتى أوشك الليل أن ينتصف وبدأت الرؤى المخيفة تتراقص أمام عيني وأنا أتخيل نفسي وقد أصبحت عدو الشعب بعد قليل ، بل عدو

العالم رقم ( ١ ) وأن لا قوة على الأرض بوسعها أن تنقذنى ، ولا مهرب لى ولا نجاة ، وحدثت نفسى طيلة الوقت أقول ان الانسان ليفقد القدرة على التفكير ويصبح ما يرى وما يعتقد وما يستمسك به من مبدأ ممزق الأوصال تحت وطأة أزمة كالتى نكبنا بها ، وبما زاد الطين بلة أن كل شيء كان يبدو فى عيني على صورة سوداء كثيبة لا تمت الى الواقع بصلة ، ثم اتصل بى داني وليامز من البيت الأبيض وأطلعنى على مجريات الحوادث والأمور هناك وكانت لا تقل سوءا عما هى الحال فى كل مكان .

قال داني : لقد اجتاحت رئيس الجمهورية ثورة من الغضب ونوبة من الغيظ كادت تخرجه عن اتزانه ووقاره ، بيد أنتى لا ألومه فليس الذنب ذنبنا والا فما بالهم لم ينبئونا بما وقع ؟ .

قلت معتذرا : لقد ظننت أن شخصا ما فى المكتب سوف ينبئ الرئيس بذلك بيد انتى لم أوافق على نقل الخبر الى البيت الأبيض فلن يكون له غير وقع سيئ . كما انى كنت أعرف كما يعرف داني أيضاً ان ليس ثمة انسان فى مؤسسة اعادة الاخصاب بوسعها أن يكون رسولا يحمل أبناء غير سارة .

— لم نكن نعلم شيئا الى أن أنبأتنا وزارة الحربية .

— آه . هل كانوا يعرفون هذا الخبر ؟

— حقا وكل فرد فى واشنطنون كان يعلم عدا رئيس الجمهورية وحده

الذى لم يكن على علم بشيء وهو لذلك يطالب برأسك ، غير أنى رجوته فى أن يعطيك فرصة أخرى وأعلم أيضا أن مكتب المباحث قد أعطاك مهلة أخيرة على شريطة ألا تتجاوز منتصف هذه الليلة .

— هذه خطوة سديدة ، بيد أنه ليس عندى شيء من الأخبار الطيبة .

— حسنا فان وزارة الحربية سوف تتدخل اذا لم يعد آدم حتى منتصف

الليل وهم يدبرون ويرسمون الخطط الحقة الكفيلة بارجاعه . ان الموقف لجد خطير يا ستيف .

أعرف ذلك .

— آسف يا ستيف ، وأرى أن هذا هو الطريق السليم الذى ينبغى أن يسلك .

ووافقتة على رأيه ، واتفقت المحادثة وشعرت بتعب شديد ثم قلت لمارج : لقد قضى علينا جميعا وان زوجك لغارق فى فضيحة فمن الخير أن تبدئى باعداد حقائبنا .

فسألت وهى تحاول أن تصطنع قلة المبالاة : أقول من ؟

— هكذا يقول رئيس جمهورية الولايات المتحدة .

فقلت فى صوت خافت : كم أنا آسفة محزونة من أجلك يا ستيف ؟ ما الذى سوف يفعلونه بك ؟

قلت : لا شأن لهم بى من الناحية الرسمية . أما من الناحية غير الرسمية فانى لا أريد أن أتنبأ بشيء . قد يخطر ببالك ما يفعله الجمهور الأمريكى بلاعب البيسبول حين يفشل فى لعبه ، أو بلاعب كرة القدم الذى يخطئ ، وما أنا بمستطع أن أتخيل ما سوف يفعلونه بى .

واتصل بى جيلمان مرة أخرى ليقول ان فاى سمرفوت نائرة ، وانها قد خرجت عن شعورها كالعروس التى فر زوجها مع امرأة غيرها فى ليلة زفافها . وقلت له أريد أن أخبرك بأتنى قد أعددت أوراقى وانى على أهبة الرحيل فلا أريد أن أشارك بقسط ما من الجهد فيما سوف يحدث .

وفى العاشرة اتصل تكس روت بمكتب المباحث فوجد أن مخبريه لم يصلوا بعد الى نتيجة ما . فبعد أن وصلت كاتى الى واشنطن منذ أربعة

أيام اختفت اختفاء الابرة في كوم من التبن كما اختفى هومر آدم حين  
سار لا يلوى على شيء الى غابات روك كريك بارك المنسقة .  
قلت : وما الذي يحملنا على الانتظار ، ولماذا لا نكشف عن الحقيقة ؟  
فلقد تكون اختطفته في سيارة وكلما طال انتظارنا قبل أن نذيع النبا ابتعدت  
به عن قبضتنا .

قال روت في عزم وقد تناول احدى المجلات وراح يقلب صفحاتها .  
— لا . سننتظر الى أن ينتصف الليل كما قلت وعلى أية حال  
فلن نستطيع رجال الشرطة المحليون أن يعملوا شيئاً يبعث الطمأنينة .  
— رجال الشرطة المحليون ؟

— نعم ، فعليهم أن يفتشوا الحدائق العامة كلها بحثاً عن جثة . هذا  
عمل طبيعي .

رفع روت عينيه عن المجلة وقال : ليس هذا غير احتمال ، وكل شيء  
محتمل . وانخرطت جين في البكاء وكانت جالسة في مقعدها هادئة  
تحاول اخفاء دموعها ثم بدأت تفقد قدرتها على كتم صوتها وفي النهاية  
أخذت تنسج نشيجا عاليا جعل جسدها كله يهتز في حركة عصبية كما  
لو كانت تحركها يد خفية . ووضعت مارج ذراعها حولها ورافقتها الى  
حجرة النوم . ثم عادت وهي تقول اذا لم تهدأ خلال بضع دقائق فلا مناص  
من دعوة الطبيب .

قال روت : ماذا أصابعها ؟

قالت مارج : انها لا تحب كاتي رايدل بل تخافها وتعدها امرأة شريرة .  
ثم ان جين تحب آدم وتعشقه .

قلت : لا أظن كاتي تبلغ هذا الحد من الوحشية .

كنت أعلم — وأنا أقول ذلك — أنه دفاع أخير ضعيف ، كان الغرض

منه بمث الطمأنينة الى نفسى ، وتذكرت حينئذ تلك النظرة التى ارتسمت على محياها حين كنت أودعها بالمطار ، وما اعترانى من جمود وذهول لنظرة الأثرية التى بانّت فى عينها . ثم عدت فى النهاية أقول :

— تكس ، هل تظننى قد جننت حين فكرت فى أن تكون كاتى رايدل قد دبرت خطتها مبتغية القضاء على هومر آدم ؟ وهل تظننى جننت حين قلت لك ان المسألة أكبر من أن يكون هومر قد تملكه الاضطراب واستحوذ عليه الضيق ، وفر هاربا لأنه يمتقد أنه يجب كاتى ؟ وأعنى لو فسرنا الأمر خاصة على ضوء تقريرك عنها وعن وطنيتها وولائها لبلادها ؟ .

قال : ما الذى ترمى اليه ؟

— لنفرض أن ثمة جمهرة من العلماء لا يريدون القضاء على هومر فحسب ، بل على الحضارة كلها ، لنفرض أن انفجار المسيسيى لم يكن قضاء وقدر ، لنفرض أنه لم يكن الا حادثا مدبرا ، وأن ظهور آدم قد أفسد الخطة ، ماذا هم فاعلون ليتم لهم تحقيق أغراضهم ؟ ألا تراهم عاملين على شل مشروع التلقيح الصناعى ؟ أو بمعنى آخر على ابعاد هومر آدم عن الوجود ؟

قالت مارج : هذا أمر مخيف ، لا يطاق ، ان الخوف يسرى فى كيانى كله وانى أرتعد رعبا لذلك .

وزادت التجاعيد فى وجه تكس روت النحيل عمقا وهو يفكر فى هذا الافتراض :

— لعلك تذكر اننى كنت أعمل مع كثرة من العلماء فى مشروع مانهاتان وانى أعرفهم معرفة وثيقة . انهم فى مجموعهم أعقل من عرفت وليس فيهم غير مجنون واحد ولكن الباقين عاقلون كلهم .

قلت : أجل . أنت على حق .

قال تكس : هذا الى أن كاتى رايدل فقدت خطيبها فى حادث انفجار المسييبي .

— اذن لننس ما قلت ، أظن الخيال قد جمع بى بعيدا .

— لا . انى لا أستطيع أن أنسى ذلك فانه عالم ملئ بالعجائب ، ولعل أعجب ما فيه هو هذا العقل البشرى ، غير أنه اذا صح أن كاتى رايدل قد اشتركت فى مثل هذه المؤامرة ، فمن المؤكد أنها ليست العقل المدبر وأنها لا تزيد عن عجلة ضئيلة فى الآلة الضخمة شأنها شأن جين زايتر فى المؤسسة القومية لاعادة الاخصاب . انها قد تكون ذات فائدة ، ولكنها ليست كل شئ .

— يخيل الى أن استعدادها للغواية والاغراء ليس بعده استعداد .

— صدقت غير أنني أتساءل عن شركائها ورؤسائها . وأخذ روت يعدهم على أصابعه ! الواحد بعد الآخر وهو يذكر أسماءهم ثم أخذ يقول : — المعقول أن يكون أولهم روب أبوها الأستاذ بجامعة شيكاغو ؛ وهناك أيضا كانبى وولز وقد سبق لها أن عملت معهما ، وهناك من ناحية أخرى الأستاذ فلक्स بل فى نيويورك .

— انه الوحيد الذى لا أحبه من بين هؤلاء العلماء كلهم . وهو يشبه عندى مجرما من مجرمى الشاشة ..

وضحك روت وقال : حقا انه يمثل عندك البطل الشرير على الشاشة ولكنى أراه واحدا من أجمل الرجال المسنين الذين قابلتهم فى حياتى . وقد يقرنى على هذا رأى شباب جيلين من خريجي جامعة كولومبيا ممن يعرفونه معرفتى فهو يتزعم تقريبا كل حركة من حركات النهضة والتقدم التى تظهر فى مدينة نيويورك ويقف على رأسها دائما ، كما أنه لا يتوانى عن الاسهام بأوفر قسط من دخله فى الأعمال الخيرية ، وأذكر أنه قد تبرع

بمكافآته المالفة فى جائزة نوبل للمحتاجين ولأعمال البر على الرغم من أن لديه خمسة أطفال ، وعددا كبيرا من الأحفاد لا أستطيع تحديدهم .

— رغم كل ما تعدد له من محاسن فما يزال يمثل عندى دور مجرم من المجرمين .

— على آفة حال فلا ضير من التأكد وستعرف شيئا عما قليل .

قال روت هذا وهو ينهض من مقعده ويتناول التليفون الذى كان بجوارى ، ثم طلب من العاملة أن تصله بالأستاذ روب بشيكاغو ، والدكتور بل فى نيويورك ، وما هى الا لحظة حتى تم الاتصال بشيكاغو غير أن الأستاذ روب لم يكن هناك . وحين انتهت المحادثة قال روت :

— انه هنا فى واشنطن ويمكننا الوصول الى مقره عن طريق مؤسسة كارنيجى ، أليس هذا عملا عظيما يا ستيف ؟ .

وبعد قليل تم الاتصال بنيويورك وبدأ روت يتكلم بلهجة مهذبة ثم ألقى السماعفة بهدوء وهو يصيح : أنا لا أصدق نفسى أصدق أن الدكتور بل بواشنطن ؟ انه هو الآخر يقيم فى بيت الأستاذ بيتر فلوم الذى يدير فرعا من فروع مؤسسة كارنيجى .

اختطفت دليل التليفون ووجدت ان الأستاذ فلوم يقطن فى شارع رايبدان وهو شارع حديث على مسيرة عشر دقائق من الفندق ثم صحت قائلا :

— كم هى يسيرة بديعة تلك الخطة ما كان عليه الا أن يغادر الفندق ويعبر الحديقة ليجد نفسه فى المنزل ، فى قبضة صاحبه وما أشبهه فى هذه الحال بنملة عمياء تسير فى اثر خيط دقيق من السكر على ورقة مصبغة لصيد الذباب . يا له من أضحوكة ..

قال روت : تمهل قليلا .. فان كل ما حدث الى الآن ليس الا محض مصادفة وقعت دون اتفاق عليها ولعلنا نكون قد انحرفنا عن جادة الطريق .  
— ولكن ألسنت متفقاً معي في الرأي ؟

— اننى لا أقتنع بشيء حتى تراه عيناى وعلى أية حال فاننا لن نخسر شيئاً هيا بنا فعربتى فى الخارج .

وأخذ يسير متمهلاً ليتناول معطفه ودق جرس التليفون مرة أخرى ، وردت مارج : وقالت انها مكالمة للمفتش روت ، وقال روت عندما سمع هذا: ألا لعنة الله على الجميع ... ثم التقط السماعة بيد ، وأخذ يزر معطفه باليد الأخرى وسمعته وهو يجب على متحدثه يقول : نعم يا سيدى العقيد .. ثم أرهفت أذنى فلم ألتقط من المحادثة سوى بضع كلمات متقطعة مثل: « لا أرى ثمة ضرورة لذلك » .. « ولكن من العسير أن يقوم هذا برهانا على » « ... » « الى هذه اللحظة لا أجد ما يرر وجود جواسيس » « ... » « يقينا أن وزارة الحربية هى المسئولة عن الأمن » .. « وكذلك مكتب المباحث لا بأس أيها العقيد » .. « ستظل المهمة خاصة بك الى الثانية عشرة، ولكن حتى ذلك الحين سأسير فى طريقى ، وأهتدى بتفكيرى وأصدر حكى » .

فسألت : ماذا حدث ؟

— انه رفيقك فيلبس سمايث . انه يريدنى أن أقبض عليك .

— تقبض علىّ ، ولماذا ؟

وخلت أن أحشائى تتجمع وتتشابك وكأنها عقدة صغيرة من الألم .

— لا تقلق انه لا يقصد غير حمايتك . فهو مقتنع أن هناك مؤامرة شيوعية . ولقد قام المكتب الخاص بجمع معلومات عن مساعدتك جين زايتز ، ولقد تبين أنها قد تلقت مؤلفات من جماعة السلام



والديموقراطية . فقلت له ان ذلك ممكن ولكن كيف تكون شيوعية على هذا الأساس فحسب وقال : أتذكر ما حدث في كندا حيث كانت ظواهر الأمور تدل على مثل ما يجرى الآن ؟ ولذلك فهو يطلب منى أن أقبض عليك .

— هل معنى ذلك أنني مقبوض على ؟

عندئذ صاحت مارج محتجة :

— لا .. هذا لا يكون . ان زوجي ليس شيوعيا انه يكسب الكثير

وليس بحاجة الى هذا وان أكبر دليل على انه لا ينتمى الى أية خلية شيوعية أنه كسول تماما ولا يرغب في أن يعمل شيئا .

قلت لها : ياله من دفاع ، على أية حال شكرا ، يا عزيزتى .

أمسك روت بيدي وقادنى الى الخارج وهو يقول :

— هيا ننصرف من هذا المكان ، فأخشى أن لو طال بقاؤنا هنا ان

يطير صوابى وأفقد عقلى واتزانى ويصبح شأنى شأن سائر صحبك .

ثم انصرفنا ...



## الفصل الثاني عشر

لم يكن بينا الفندق وبين منزل الدكتور فلوم غير دقائق خمس ولكنها كانت كفيلة باثارة الرؤى وجعلها تتدافع الى مخيلتي . ليتنى لم أشهد فى حياتى شيئا من أفلام فرنكنشتين . فقد بدأت أتخيل هومر آدم فى القبر وقد سلطت عليه أجهزة غريبة ، وآلات مخيفة . رحت أتخيل أننا سنعثر على بضع عظام محترقة هى كل ما بقى من هومر آدم التعس ، بل اننى تخيلت الشرزمة من العلماء المهرة وقد أخفوا بقايا هومر اخفاء .

لا لم يكن هذا أسوأ ما كنا نتوقع بل كان الأذى والأشد سوءا هو أننا قد لا نعثر لهومر أو لكاتى على أثر ما .

عندما تركنا الحديقة ، ودلفنا الى شارع رايبدان أطفأ تكس روت أنوار السيارة وأوقفها فى هدوء بجوار الافريز ثم خرجنا منها ، وحملق روت فى أعلى الجدار عله يستدل على رقم البيت ثم قال : لا بد أنه يقع فى نهاية هذا الشارع أو لعله ذلك البيت الذى تنبعث منه الانوار .

كان المنزل كبيرا ، مشيدا على الطراز الحديث ، غير أنه لم يكن متميزا مساعده ، انه من ذلك النوع الذى تحس وأنت تراه أن به مكتبة ضخمة وغرفا عديدة ، أعدت لاستقبال الضيوف ، وبه غرفة خاصة تستخدم للمخلوة ، وأخرى للعب الورق .

وكانت الى خلفه أشجار حور تحمى ملعبا للتنس من الرياح والهواء . انه بيت من تلك البيوت التى تصلح لسكان من علية القوم : عضو شيوخ على المعاش أو قاض من قضاة محاكم كولومبيا أو مدير كلية أو عالم من

العلماء ذى دخل مستقل مثل الأستاذ بيتر فلوم ، وكان طابقيه يشعان بالضوء على الرغم من تلك الستائر الثقيلة التى كانت مسدلة فوق النوافذ . من أجل هذا انبعث خيط رفيع من الضوء وسألته ونحن فى طريقنا الى الباب : والآن ماذا نحن فاعلون ؟

قال روت : أرى أننا سنبدأ بدق الجرس .

ثم دق الجرس ، وانتظر لحظة ، ثم عاود الدق من جديد ؛ وظل واضعا ابهامه على جرس الباب ، وظل يضغط عليه الى أن فتح الباب شيئا وبدا من تلك الفتحة الضيقة رجل فى منتصف العمر يضع نظارة فوق عينيه . وقال لنا من خلال تلك الفتحة :

— ماذا تريدون يا سادة ؟

فأجاب روت متسائلا : هل أنت السيد فلوم ؟

— نعم . أنا فلوم ، فماذا تريدان فانتى فى شغل الآن .

— جئنا من أجل حديث قصير الى القاطنين هنا .

— ولكنى لا أرى أنتى قد تشرفت بمعرفتكما من قبل ، فاذا شئتما

لقائى فى فرصة أخرى فأرجو أن تتكرما بالحضور الى مكتبى بعد العاشرة من صباح الغد .

— آسف لازعاجك يا سيد فلوم ولكن لا مفر من مقابلتك وأعرفك

أننى من مكتب المباحث .

وغاصت الابتسامة المهذبة من على وجه فلوم وبقي عابسا ثم قال :

ألا يمكنك أن ترجىء المقابلة الى الغد ؟ فانى لا أفهم ماذا تعنى بمكتب المباحث .

— لا يا سيد فلوم لا أستطيع الارجاء ، وأعتذر لك سلفا وينبغى على

فى الوقت نفسه ان أدخل البيت .

وطقق فلوم يقول ويتحدث ، ولكنه نظر الى وجه السيد روت ،  
وقرأ ما فيه من تعبيرات وأدرك أن لا جدوى من اطالة الحديث ، واختفت  
الابتسامة الوداعة من وجهه في الحال . وفتح الباب قائلاً : ولكنك لم  
تخبرنى ماذا تريد ؟

قال ذلك بلهجة العارف ما نريد .

— اننا نبحت عن السيد آدم .

— رباه ... وكيف اهتديت اليه ؟

لم يجب روت واندفع فلوم يتقدمنى وأنا في اثره ، وأدركت أننى  
استمعت حين كنا ننتظر بالباب الى أصوات أناس يتحدثون ثم سكتت  
هذه الأصوات حين دخلنا البيت .

سأل روت فلوم ونحن نسير في الردهة : أين هو .

فأجاب فلوم وهو يسير خلفنا : هناك عند ذلك الباب الى اليمين .

ما كنت أتوقع أبدا أن يقع نظرى على ما رأيت ، وأنا أسير خلف فلوم  
الى غرفة المكتبة . لم أكن أتوقع غير أن أرى هومر آدم ، وهو مقيد  
اليدين مكتم الفم ، أو ممددا على ظهره وقد فارق الحياة . وعلى أية حال  
فان ما كنت أتوقع رؤيته ، لم يكن هو الذى رأيت . وأظن أن دهشتى  
لرؤية هومر وكاتى لم تكن لتقل عن دهشتها لرؤيتى .

ولم تكن المكتبة تشبه غيرها من المكتبات ، فقد شيدت هذه خصيصا  
للقراءة والدرس والبحث ، وكانت رفوف الكتب تغطى الجدران وتمتد من  
الأرض الى السقف ، وكان فى ركن من أركان الحجرة سلم متنقل ، وفى  
ركن آخر مكتب ضخم تتكدس فوقه كتب وأوراق تحوى أبحاثا ومقالات  
وبعض القصاصات وما من شك فى أن السيد فلوم كان يجلس الى هذا



المكتب حين طرقتنا الباب ، فلقد كان هو الكرسي الوحيد الذى لا يشغله انسان عند دخولنا الغرفة .

وفى غرفة تكاد تكون مستديرة وجلت الأستاذ « بل » ومعه رجل هولندى فارغ القامة ، أدركت لأول وهلة أنه الأستاذ روب وكان هناك أيضا شاب حديث السن لم أستطع أن أعرفه ، وفى مقعد مقابل جلست « الاطار » وفى فمها سيجارة تكاد تلمس شفيتها المنفرجتين والى جانبها جلس .. هومر آدم وقد تشبثت يداها الغليظتان بذراعى المقعد وكانت تبدو عليه حيرة لم نألف له مثلها . لقد كنت أرى أن أقول لهما شيئا ولكنى أحسست ارتباكاً يسيطر على ، وأنتى غريب ، قد اقتحمت المكان على أسرة تتحدث فى جلسة عائلية خاصة ، وبدا لى أن هذا الشعور قد خامرنى لوجود السيد آدم وحده لا لوجود أحد غيره ، وقال فلوم فى لهجة ملؤها التنافر :

— أليس من الخير يا سادة أن أحضر لكم مقاعد لتجلسوا ؟ ألا تريدون الجلوس ؟



لم أر روت وهو يخرج مسدسة من جرابه المدلى من كتفه ولكنني رأيته فجأة ممسكا في يديه مسدسا كبيرا ، وأخذت أساءل كيف استطاع رجل ضئيل مثل روت أن يخفي هذا السلاح الضخم عن الأنظار وقال روت في صوت هادىء لا يعوزه العزم :

— أعلم حق العلم أن هذا المسدس سلاح مبتذل عقيم لا يصلح للقضاء على أعداد كبيرة من السكان ، ولكنه من اليسير أن يحدث ثقباً كبيراً في جسم أى انسان منكم اذا حدثته نفسه بأن يأتى بحركة ما .

وعلى نحو ما فرج هذا الأمر وذاك التهديد عن نفوسنا توترها وأعادنا جميعاً الى أحوالنا النفسية الطبيعية ، ولم نحس أننا ضيوف غرباء فحسب بل أحسننا أننا جننا الى هذا المكان يجمعنا هدف واحد هو اقتاذ هومر آدم ..

قال فلوم : ولكنى لا أستطيع أن أفهم كيف خطر ببالكم أنه ...

فقال روت : لست فى حاجة الى أن تفهم ، بيد أن ثمة أشياء بعينها أريدك أن تفكر فيها ملياً .

فقال بل : رويدك يا هذا .. وأخذ رأسه الكبير يهتز ويتأرجح فوق رقبته الرفيعة :

ليس منا من اقترف جرما وأظنك تجاوزت حدك باقتحامك هذا المنزل ، وتهديدنا بهذا المسدس كما لو كنا أفرادا فى عصابة . أأست تعلم بأننا كلنا أعضاء بمجلس الأبحاث القومى ؟

قال روت : ألا يعد الاختطاف جريمة ؟

فاحتج بل قائلا : وأين الاختطاف يا هذا ؟ ألا تعلم أن آدم قد أتى الى هنا بمحض ارادته ، واننا كنا نعقد مناقشة هادئة حول بعض الأمور الهامة ؟ عندئذ حاول هومر النهوض ، ولكنه كان كلما نهض قليلا عن كرسيه تطلب منه ذلك بذل جهد عنيف شاق لا سيما فى هذا الموقف الحرج وكأن ساقيه تأييان أن تعينه على النهوض فى مثل هذه الأوقات . وقلت : أجلس يا هومز يقينا ان هومر قد جاء الى هنا بمحض ارادته ، ولكن وجوده فى هذا المكان لم يكن فى حسابنا ، أليس هذا صحيحا يا هومر ؟ فأجاب هومر : انى آسف كل الأسف يا ستيف ، وفى الحق أنى لست واثقا ثقة كاملة بما يحدث حولى .

فقلت : بالطبع انه ليس واثقا تمام الثقة . وكل ما فى الأمر انه يظن أنه بعمله هذا يهرب من المؤسسة القومية لاعادة الاخصاب . وما أستطيع أن ألومه أو أعنفه من أجل هذا ، ثم يفر مع « الاطار » الى هذا المكان . وما أستطيع أن ألقى عليه اللوم أيضا من أجل هذه ، ثم ماذا يحدث بعد ذلك ؟ انه يجد نفسه سجيناً فى أيدي جماعة من العلماء المجانين ، قل لى بربك ما اسمك يا هذا ؟ وأشارت الى الشاب الذى لا أعرفه ..

— اسمى جون كانبى ، وأتسب الى جامعة كاليفورنيا ...

وحين أخذ يتحدث وينطق شرع ينهض من كرسيه غير أن مسدس

روت برز ملوحا له في الهواء وكأنه يعطيه الأمر الحازم بالجلوس ثانية .  
قلت : لا شك أنه اتفاق على لقاء هنا . فياله من موعد لطيف ولقاء صحية  
صغيرة في مكان مريح هادىء . أليس هذا كل ما في الأمر ؟ قل لى يا هومر  
ماذا يفعلون هنا ؟ وماذا يريدون أن يفعلوا بك ؟

قال هومر : لا أعرف حقا . اننى لا أفهم شيئا ، وكل ما أعرفه اننى كنت  
سأقضى مع كاتى بضعة أيام هنا قبل أن أرحل الى المكسيك .

قلت : يالك من انسان ساذج برىء يا هومر ، انك أشبه بالعجل الذى أقتيد  
الى الحظيرة . حسنا اذا لم تكن تعلم ما الذى سوف يفعلونه بك فجدير بى  
أن أبين لك أن هذه الشردمة المحترمة من العلماء ، بل هؤلاء المتوحشون  
كانوا على وشك القضاء عليك ، لا تعجب يا هومر فهم يمتنون الجنس  
البشرى ويريدون أن تعود السحالى والزواحف من جديد لتعمر هذا العالم .  
نهضت « الاطار » واقفة ووثب الدم الى وجهها وتدلّت خصلة من  
شعرها عليه واتجه المسدس فى دقة بالغة وتصويب محكم الى وسطها ،  
وصرخت قائلة : هذا كذب محض واقترأ !

وقال پل ، وهو يرتجف وقد امتنع لونه : هذا ادعاء باطل وسأقاضيكم  
واتخذت طريقى الى المكتب ، ووضعت قبضتى يدى فوقه ونظرت  
اليهم جميعا وقلت مهددا : ان روت يملك الحق فى أن يقتلكم جميعا أيها  
السفاحون الآثمون ، ولكن أليس من الأفضل أن تترك للناس تأديبكم ؟  
وانى لعلى يقين من أنهم سيؤدون واجبهم نحوكم على أحسن وجه وهم  
ثائرون قادرون أشداء لا يهابون أحدا ولا يتورعون عن تمزيقكم اربا اربا .  
وانكم لتستحقون هذا المصير . ثم نظرت الى « الاطار » وقلت لها متوعدا :

— ستؤدبك النساء ..

— انك لا تعتقد ذلك حقا ..



وبدأت « الاطار » حديثها وقد امتزجت الدهشة والخوف بنغمة صوتها مما سرنى وأبهجنى .

— أعتقد .. أعرف ما تقصدين . انتظري الى أن يتبينوا . انتظري الى أن يكشف الناس عن هذه الشذمة من العلماء اخوان الشياطين الذين صنعوا انفجار الميسيسيبي فأنزلوا العقم بجميع الرجال . هم أنفسهم الذين اختطفوا السيد آدم . وبعد مرور أربعين ساعة سنردكم جميعا قتلى ولن يجد أهلكم فرصة لوداعكم ودفنكم .

وحاول هومر أن ينهض على قدميه ، وامتنع وجهه حتى كدت أقرأ خطوط أساريه التي لم تكن واضحة من قبل ، وقال : لم تكن هذه هي الخطة يا كاتى أليس كذلك ؟ ان لم تكن كذلك فخبيرنى ، أمن أجل تحقيق هذا الهدف أحضرتم ذلك الجهاز الموجود فى الطابق العلوى .

ونظرت اليه من بين رأس والدها ورأس السيد « بل » وقالت فى اتران وهدوء :

— لا ياهومر لم تكن الخطة كذلك . فهذه الآلات قد أحضرناها لاجراء التجارب الأولية لفحص تأثير الأشعة المنبعثة من الراديوم على الحيوانات المنوية لدى الرجل ، وكنا قد هيأنا كل الاحتياطات التى تضمن سلامة الرجل وحياته .

وتحدث الأستاذ روب للمرة الأولى ، وكان أكثرنا هدوءا اذا استثنينا روت الذى احتفظ بهدوءه منذ البداية : أرى الآن يا كاتى أن كل ما أديناه وكل ما كنا نحب تنفيذه قد أسىء فهمه ، ألا ترين معى أنه من الأفضل أن نخبره بكل شيء .

قال فلوم : أظن أن هذا هو أفضل سبيل فانى أخشى أن يفضب الشعب على ، وأن ينكل بى ويمزقنى اربا أو يصلبنى على سارية الكايتول.

قلت أوافقك : نعم أرى أن هذا هو الرأى وأن يعرف الناس ما يحدث فعلا .

وسألت « الاطار » : هل توافق على ذلك يا « پل » ؟

وتساءل روت : ما هذا ؟ هل نحن حول دائرة مستديرة للمناقشة ؟

— ان كان عندك ما يستحق القول ، فالأجدر بك أن تقوله في الحال .

فقال « پل » — أوافق .

وهوى برأسه الى صدره وكان رقبتة الرفيعة لم تعد قادرة على أن تحمل رأسه . وأزاحت « الاطار » خصلات الشعر التي تهدلت فوق جبينها ، ثم قالت :

— أحب أولا أن أعتذر لهومر فأنا الذى أقنعتته بالتخلي عن أداء واجبه حيال مشروع إعادة الاخصاب ، وبديهي أننى كنت أخدعه وأنظاها بوجهه ولكنى كنت مرغمة اذ لم يكن هناك مفر من تمثيل هذه الرواية ما دمنا نريد تنفيذ خطتنا قبل الأوان . وكنا بصدد تفسير كل شىء لهومر فى اللحظة التى وصلتم فيها .

ثم تطلعت الى هومر بصفاقة وقالت : وحين أنتهى من توضيح رأى له فلست أعرف حقا ان كان سيوافق عليه أم لا .

فقلت لها : أرجوك أن تكفى عن الدعاية لنفسك ، ولتكن لغتك وأسلوبك واضحين معبرين عن هدفك .

— حسنا جدا يا ستيف لا تكن هكذا صلفا متكبرا وهالك خطتنا كما هى على حقيقتها : لا شك أن نتائج انفجار الميسيبى كانت فظيعة ولكن شاء الله للحضارة ألا تندثر فقيض لها هذه الفرصة لتنهض من جديد ولتسهم فى خلق عالم عظيم يعمره أناس ممتازون خلقا وخلقا .

قلت وأنا أقاطعها ومقترحا عليها : وماذا كنتم تريدون ؟ هل كنتم

تبعون رؤية الناس جميعا فى المستقبل وهم يحملون أرقى الشهادات فى العلوم ؟ .

قالت : اسكت أفت يا ستيف ، وان قاطعتنى مرة أخرى فلن أتكلم .

— استمرى . ماذا حدث ؟

— ينبغى أن تعرف الحقيقة . كنت تسير فى المشروع الى أن بلغ منتصفه وكنت الى حد ما مسؤولا . أما أنا فكنت وما زلت أرى أنه من العار على الحكومة القائمة أن تمنح هومر للمؤسسة القومية لاعادة الاخصاب بدلا من مجلس الأبحاث ، ومما زاد الطين بلة أن الحكومة لم تتخذ أية خطوة من شأنها أن يتم اختيار أمهات المستقبل وفق الطرق العلمية . والى هنا أتاحت لنا فرصة رائعة . فماذا نفعل ؟ ولكن الذى حدث فعلا أن رجلا معسوب العينين تحسس بيده فى الوعاء الزجاجى لاختيار الرقم لمن تجرى عليه تجربة التلقيح الصناعى ، وهكذا جرى مستقبل الجنس البشرى خبط عشواء وباختيار أعمى بكل ما تحمل هذه الكلمة من معنى . ولم يقف الأمر عند هذا الحد ، فعليك أن تفكر فى تلك المخلوقات ، التى انتقاها الكونجرس ليكون من حظ بعضها أن تأخذ الرقم الرابع من ذلك الوعاء فاذا ما تزوجت وتآلفت مع هومر فلن يكون نتاجها الا وحوشا ذات رؤوس حمراء .

قاطعتها عندئذ ساخرا : ان كنت تنوون اذن اختطاف هومر وقصر استخدامه على الطبقة المستنيرة التى تنتمون اليها ثم تعملون على استثماره بين أصدقائكم الأغبياء لتعمروا العالم فيما بعد بنماذج رائعة من أمثال الدكتور « بل »

وبدا على الاطار أنها قد صدمت صدمة هائلة هدت كيانها كله فقالت محتجة :

— لم تكن فريد أن تفيد من آدم أبدا في حمل مباشر ، وان هومر نفسه أول من يوافق على أنه من الحماسة أن يكون أبا لأطفال ينجبهم من صلبه مهما كان شأنهم — هذا اذا كنا نريد حقا خلق جنس سام سليل ذرية راقية سامية .

قال هومر : تبا لك يا كاتي ! ما كنت أظن أبدا أن يكون شعورك نحوى ، ورأيك في على هذه الصورة . وأعلم أنني لست فاتنا جميلا ، وأننى لست طفلا مدللا أو دمية ، ولا أظن كذلك أن من حقك أن تزعمى بأنى غير صالح للانجاب ... ألا تظنين ذلك ؟ . ومض خد « الاطار » بابتسامة خفيفة فيها شيء من المزاح . وسكتت عن الكلام لحظة ثم استطردت تقول :

— أنت عذب وحلو يا هومر وأنا مفتونة بك ، وأرى أنك أهل للانجاب من الناحية العقلية ، أما من الناحية الطبيعية فلا ..... قلت أنصح بعد أن لاحظت أثر كلامها فيه وهو يتهالك غائرا في كرسيه :

— لا تعرها أدنى اهتمام يا هومر وأعتقد أن نظرية الجنس السامى لم ينتكرها أحد في الوقت الحاضر ، وليست جديدة علينا ، فلقد سبقنا إليها هتلر . بيد أن ثمة فارقا بين نظريتها ونظرية هتلر . فهذا الأخير قد أسس جنسه السامى وشيده ، أما هى فتريد أن تبدأ نظريتها من شق ضئيل .

قال الأستاذ روب :

— لا أود أن تفسر نظريتنا بهذه الطريقة فإنى أظن أن معظم المفكرين الأذكياء سوف يقرون صحة نظريتنا وسلامتها .

قال روت وقد لاحظت أن مسدسه لم يعد يظهر في يده وأنه اختفى  
بالطريقة الغريبة التي ظهر بها ..

— هذا قول بديع ، ورأى وجيه ، ولكن خبرونى : من كان سيستخدم  
آدم ، اذا صح أنكم عدلتم عن استغلاله ؟  
وأخذت الاطار تبدي رأيها موضحة :

— نعم . كنا سنستخدم آدم حقا ، ولكن ليس للتلقيح الصناعى .  
ان هومر يعد فى الواقع معيناً لا ينضب ، بل انه كثر ثمين يساعدنا فى  
اجراء التجارب . انه المورد الوحيد الفريد من نوعه . وخلاصة الأمر  
فى بساطة أننا كنا ننوى استعارة هومر بضعة أيام فحسب . وذلك لاجراء  
تجارب معينة بعد أن وصلنا الى مرحلة حاسمة . وكنا موقنين أنه اذا بدأ  
مشروع التلقيح الصناعى فلن يقدر لنا الحصول عليه ، وكنا نعتقد أننا  
اذا حصلنا على هومر استطعنا أن نجد الوسيلة التى يستعيد بها الذكور  
قوة اخصابهم وما علينا بعد ذلك الا انتخاب الأفضل من الذكور والاناث ،  
وفى مدى أجيال قليلة يصبح هذا العالم وقد امتلأ بالبشر الذين بلغوا حد  
الكمال ، على العكس من مشروع التلقيح الصناعى الذى كان سيخلط  
الحابل بالنابل .

فسألته قائلاً :

— وماذا كنتم ستفعلون بعد ذلك بهومر ؟

— لم تفكر كثيراً فى هذا الأمر . فبعد أن نجد خدماته لنا قد انتهت  
نعود الى التفكير والتدبير فى مشروعنا وهذا هو الذى يعيننا ، وأظن أننا  
كنا سنطلب منه العودة بعد ذلك الى مقره .

— وما هى الآثار المترتبة على مثل هذا العمل ؟

وهزت كاتى كتفها وهى تقول :

-- بعد أن يعود هومر الى مقره ، سيحس كل فرد منا بالراحة تخالط قلبه وسينسى كل شيء ، وسوف ترى أن عملنا هذا على أى حال ليس اجراميا دبر في الخفاء أليس كذلك يا ستيف ؟ .

قلت : كم أنت شريرة خبيثة جريئة ياكاتي ..

قالت وقد لمعت عينها لمعانا ألفت أن أراه فيهما من قبل :

— انى جريئة حقا . وكذلك كل النساء ما دمن يطلبن شيئا وما دام لهن هدف غير أنى لست شريرة ، ان الشريرة هى مؤسسة اعادة الاخصاب ، اننا نم نعمل سوى ما أملته علينا ضمائرنا ورأينا فيه خير البشرية ، وجملة القول لقد كنا أدوات اختارتها ارادة الله .

فسألت روت :

— أخبرنى ما الذى ستفعله بهم يا تكس ؟ .

وفكر تكس مليا فى هذا الأمر وهو يزن كلام كل من الاطار وأبها والأستاذ بل وكانبى . لقد كان يقيسهم جميعا كما أعلم على قدر ما فيهم من خبث وخيانة كما يقيس الخياط المجرب قطعة من القماش بعينه ، وقال :

— ما أظننى أستطيع أن أفعل شيئا . اذ ليس بالهين أن تتهمهم بخطب هومر ، وعلى أية حال فان هذا الأمر لا يبدو لى غير شىء ضئيل قامت به نقاية لا قيمة لها فى جهاز الحكومة الضخم ، الا اذا شاء هومر أن نرفع عليهم الدعوى وما أظنه سيفعل ذلك ، لأنه ممن لا يحشون بالعهد .

قال هومر : آه . لا . لا دعوى ولا اتهامات . لست فى حاجة الى أية

دعوى وحسبى أن أخرج من هنا .

لقد كان يائسا من فرط ما اعتراه من خجل .

قلت « للاطار » : حسنا لا شك أن عليك أن تلزمى الصمت ، وأنه قد

حان لك أن تسكتى وتنزوى . انك بارعة ماهرة فاذا سنحت لك فرصة الخطف أصبحت عجيبة مخدرة .

وأعتقد أننى قصدت الى أن أرميها بهذا الاتهام وأن أدمغها به كى أنتقم منها جزاء ما ألحقته بهومر من أذى وألم .

وقالت فى هدوء : لم نفرغ من هذا الأمر بعد . كلا . لما يحن ذلك بعد . وألقيت نظرة على ساعتى ودهشت لأننا لم نبلغ منتصف الليل ، ولقد بدا لى أننا قد تركنا الفندق منذ يوم أو يومين ، ثم رحت أفكر فى مارى ايلين وما قد يصلها عنا من أبناء ، وأثرها فيها وقلت - من الأفضل يا روت أن نحيط هذا كله بالهدوء ، والكتمان . ألا توافقنى على ذلك ؟

قال روت : نعم .

وقال پل : أرجو ألا يذيع أحد شيئاً عن هذا الأمر اذ أن هذا من السوء بمكان . وأشعر الآن أننا قد نكون جاوزنا حدودنا وأننا لم نعمل كما يملى العقل والضمير .

قلت له محذراً : حسناً أرجو ألا تعاود الكرة مرة أخرى . اذا أصاب آدم مكروه من الآن فصاعداً فسيصيبك أنت أيضاً وقد يقضى عليك وعليه . وفى هذه الأثناء كانت كاتى تبتسم وكأن الأمر لم يكن غير ملهاة وقالت : — اننى واثقة أن كل شىء سيسير على ما يرام . اننى واثقة الآن تمام الثقة ، اذهبوا جميعاً حيثما تشاؤون لأنكم قد أضجرتمونى .

عندما خرجنا كان الليل هادئاً والسماء صافية فملت على هومر أقول له : أليس الجو جميلاً ؟ .

غير أنه لم يجب بشىء فمضيت فى حديثى وأنا أدفعه الى سيارة روت . — استمع الى يا هومر : أنا لا ألومك ، انها لم تكن خطيئتك .

فلما أخذنا أماكننا فى نهاية العربة وجدت أنه لا ينطق بشىء ووجدت

أنه ينبغي عليه أن يقول شيئاً فقلت : استمع الى يا هومر ، لم تقع بعد خسائر أو أضرار وكل ما في الأمر أنه قد تأجل بدء التنفيذ يوماً . ووضع هومر رأسه بين يديه وأخذ يشد شعره وقال وقد أخذت الكلمات تخرج من فمه في عسر وصعوبة :

— لقد كنتُ أحمق . لقد جعلوني أحمق ، نعم أحمق .

— لا تقل هذا يا هومر . انك لست أول من خدعت امرأة . لقد حدث هذا للملايين قبلك وسيحدث للملايين بعدك . انك لم تكن شر الضحايا . انهن عادة يبغضن عن المال أو الشهرة وذيوع الصيت في الحياة الاجتماعية أو عن ادارة أعمالهن الخاصة من خلف الكواليس ، أما عنك فان الأمر يبدو مختلفاً كل الاختلاف والدوافع اليه تختلف هي الأخرى . غير أنه مهما اختلف الطريق وتنوع الغرض فالنتيجة واحدة . ولتأخذ من هذا درساً ينفعك ثم اتس الأمر كله .

لم يقل شيئاً وظل رأسه مختفياً بين يديه على حين قاد روت السيارة الى أن وصلنا الفندق وخرجنا منها جميعاً ، وسار هومر الى المصعد صامتاً ورجلاه مشدودتان كما لو كان ذاهباً الى ساحة الاعدام .

كانت مارج تنتظرنا لدى الباب وصاحت حين شاهدتنا وكان ذلك في الوقت الذي دقت فيه الساعة الثانية عشرة : أنا سعيدة يا هومر لأنك عدت .

لم يجبها هومر وسار الى جوارها صامتاً دون أن يتكلم وتطلعت هي الى وجهه ولم تزد على قولها كلمة واحدة . أما هو فقد اتجه الى غرفته واندفع الى الداخل وأغلق الباب فالتفتت الى مارج قائلة :

— أخبرني ياستيف ما الذي حدث ، ما الذي حدث له ؟ هل أحضر له

شرباً أو أى شيء آخر ؟



— أظن أن من الخير لنا أن نتركه وحده . لقد مر بتجربة قاسية .

وفي هذه الأثناء كان روت قد اتصل بمكتبه وتكلم مع من شاء أن يتكلم معه ، ثم اتصلت أنا بجيلمان وأخبرته بما حدث فسر بما اتهمنا إليه وقال : اننى سعيد جدا بسماع هذا ..

قالها مهتما كما لو كان قد سمع أن ابن عمه الثانى القاطن فى دى موان قد انتخب مساعدا فى كيوانيس بنيوزيلاندا . واستأنف حديثه يقول : لقد تركت عملى الحالى يا ستيف وعدت الى مركزى السابق فى وزارة الداخلية وأظنك تحسن صنعا لو أنك تركت مؤسسة اعادة الاخصاب وعدت الى وظيفتك السابقة فى وكالة الأنباء ، لو شئت أن تسترشد برأى فى الأعمال الحكومية لصارحتك بأنه ليس من رأى السيد أن تبقى فى المؤسسة القومية لاعادة الاخصاب . طبت مساء يا ستيف .

ثم تحدثت الى كلوتس الذى أراضاه ما كان ، وان أحسست فى صوته رنة الخوف والاضطراب . ولقد أبدى رغبته فى ألا ننشر شيئا عن الموضوع فطمأنته بأننا سنلتزم الصمت فأعجبه هذا رأى ، وقال انه سوف يزور السيد بمفرى فى المستشفى فى الصباح وسينقل اليه أخبارنا السعيدة هذه ، وأنه يأمل أن يكون صدى هذه الأخبار ووقعها عليه حسنا فتعجل بشفائه . ثم اتصلت بدانى وليامز وأخبرته بكل شىء فقال لى انه سوف يحمل هذه الأنباء الى رئيس الجمهورية توا دون تريث ، وحين طلب منى تفصيل ما حدث اعتذرت له بأننى لا أستطيع أن أصف كل شىء وصفا صريحا فى التليفون وأنا قد عدنا بهومر دون أن يلحقه أذى .

وحين انتهيت كان روت يرتدى معطفه ويقضم قطعة من العيش المقدد وهو يقول :

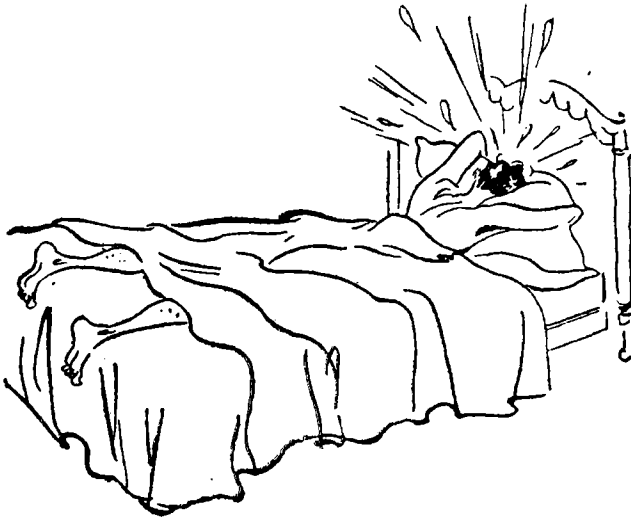
— حسنا . طبت مساء اذا حدث شيء آخر فلا تتصل بي واطلب شخصا آخر فهذه المهمة فوق طاقتي .

— هل أنت مقتنع حقا أنهم لم يسعوا للقضاء عليه ؟

— لا . لم يكن هذا أبدا .

— واني معك على هذا . غير أنني أرى أن « پل » مجرم .

وهز روت رأسه نضيا . وقال :



— ان تجاربي في مهنتي لا حد لها فبوسعي القبض على جواسيس خونة أما الاختطاف من أجل الفدية فأمر سهل يسير ، وأما الاغتيال والسرقات والاختلاس فهي حوادث مألوفة ، ولكن المشكلة التي كنا نحاول أن نجد لها حلا تختلف عن كل ما عداها اختلافا كبيرا . ولا أحب متابعتها ، اذ أنني لا أعلم من المجرم ومن المنيء ، ولا أستطيع أن أذكر هل أتم على حق أم كاتي رايدل ؟ بيد أنها فتاة ممتازة وقد تكون على صواب ، ولعله

قد دفع بعجلة الحياة الى الوراء عشرة آلاف عام . طب مساء ياستيف .  
طبت مساء يا مارج . مع أسعد الأحلام .

— ائظر لحظة ، بماذا تشير على أن أفعل ؟

— قال قبل أن يغلق الباب : لو كنت مكانك لعدت الى منزلى ...

ذهبت بعد ذلك الى غرفة هومر وكان قد خلع ملابسه واستلقى على  
فراشه وغطى رأسه بوسادة ولذلك لم أستطع أن أتبين ان كان نائما أم لا .  
بيد أن قدميه كانتا خارجتين عاريتين من طرف الفراش . وقلت لنفسي وأنا  
أطفئ النور علينا أن نحضر سريرا مع هذا أطول منه . وفي غرفة الجلوس  
كانت مارج ترتب الملابس . فسألتها :

ماذا تصنعين ؟

فأجابت : أحزم حقائبنا للرحيل ....

## الفصل الثالث عشر

في اليوم التالي ، صحوت مبكرا ، وحفزني شعور ما الى أن أنهض من فراشي وأتسلل من غرفتي قبل أن تستيقظ مارج ، ودخلت غرفة هومر على أطراف أصابعي فوجدته غارقا في نوم عميق ، مسترسلا في شخير رتيب وراعتني الفوضى التي سادت فراشه ولقد بدا لي كأنه آلة حصاد .. ودخلت الى المطبخ لأعد قدحا من القهوة وشطيرة ساخنة ثم أدت المذياع واستمعت الى نشرة الأخبار الصباحية .

قال المذيع بصوت يفيض بهجة وسعادة :

— اذا كنت أيها المستمع ممن احتفلوا أمس ببدء مشروع التلقيح الصناعي فبوسعك أن تعيد الاحتفال من جديد لأن المشروع سيبدأ منذ اليوم ، فلقد أعلن البيت الأبيض في ساعة مبكرة من صباح اليوم أن كل شيء سيسير وفق البرنامج الموضوع ، ولكن بعد موعده بأربع وعشرين ساعة .

جاء هومر الى المطبخ وكان يرتدى جلبابا مخططا قصيرا قصرا يثير الضحك ، وحين وقف معتمدا على التلاجة الكهربائية بدا لي أنه يشبه بعض الشيء مظلة من مظلات الشاطئ طويت بعد انتهاء موسم الصيف وقال لي :

— هل أستطيع أن أتناول قدحا من القهوة ؟

قلت وأنا أتأنتق في تقديم السكر والبن :

— بكل تأكيد يا هومر . هل تحس تحسنا اليوم ؟

— نعم يا ستيف ولكني أراك تتمتع بحال طيبة . اني أرثي لك يا ستيف .

— ولم ؟

قال هومر في هدوء . :

— ان كنت ترى أن اليوم هو بدء التلقيح الصناعي فحري بك أن تفكر كثيرا قبل أن تتخيله واقعا . ان هذا هو ما استقر عليه رأيي ، وأعلم أن استقالة الأمس ستضاف إليها أخرى . لقد ضقت ذرعا بكل شيء .  
— ماذا هناك يا هومر ؟

— أنا آسف يا ستيف ، ولكن الأمر انتهى ، لقد فكرت مليا .  
— أخبرني هومر ما الذي جعلك تفكر في هذا الأمر ؟ وأنت تعلم علمي حقا أن لا مفر من هذا الأمر . أنظر الى ما حدث لك بالأمس عندما انطلقت مرتاعا مذهولا . فما بالك تعقد الأمور اليوم بل تزيدها تعقيدا في طريقك ..

— لقد فكرت في كل شيء يا ستيف وما تعقدت الأمور في طريقك ولكن النساء سيعانين من الآن فصاعدا كثيرا من المتاعب ، ولن يجدن الطريق أمامهن سهلا واضحا .

لم ترقنى طريقته في الحديث اذ كان يبدو عليه أنه واثق مفرط في الثقة فقلت أسأله : أتقول النساء ؟

— نعم ليذهبن الى الجحيم . أجل ليذهبن جميعا الى الجحيم .  
— ماذا دهالك يا هومر انك رجل ولا يجدر بك أن تقول هذا .  
وشرب قهوته دون أن يبالي بما قلت . ثم عاد يملأ فنجاناه من جديد  
وسأل :

— ولم لا ؟  
— لأن القدر قد اختارك ليكون لك معهن شأن عظيم .  
— آه . كلا لن يكون منذ الآن . لن يكون لي بهن علاقة فوق ما تمليه

الضرورة القصوى . هذا طبعا عدا زوجتي ماري الين ، وابنتي الصغيرة  
الينانور .

— أليس هذا الأمر على الرغم من كل شيء حظك ونصيبك ؟

— كلا . لقد فكرت في الأمر مليا وان كنت قد قررت شيئا فليس  
ثمة قوة تستطيع أن تثنييني عن عزمي . وهأنذا قد قررت ألا أعمل مع  
مؤسسة التلقيح الصناعي ، وما من وسيلة ترغمني على الذهاب إليها ،  
أليس كذلك ؟

وكان هذا احتمالا لم أعد له عدته البتة فقلت :

— كلا ، لا أظن أن هناك وسيلة ما للضغط عليك ولكن ...

— حسنا لن أعمل معها ، وإذا حاولت أن تأخذني الى المعامل اليوم  
فعليك أن تجرني جرا . وما في استطاعتك أن تتخيل ما سيقع هناك ، وغاية  
ما هنالك أن بعض المعدات الطبية سوف تتحطم .  
قلت دون أن أخفي شيئا من الاعجاب : هومر ؟  
قال وفي صوته رنين التشفى :

— فليشقين . فليتعذبين . فيلولولن .

وخلال هذا دخلت علينا مارج وآثار النوم ما زالت عالقة بعينيها  
وارتسمت على وجهها مسحة خفيفة من الدهشة عندما واجهتنى أنا وهومر  
وقالت : يا لها من محادثة لطيفة شائقة هل أنضم اليكما ، وأشارككما  
الحديث ؟

قلت لها : ستندمين لهذا . فلقد صمم هومر على الاستقالة انه يلعنكن  
جميعا ويقول : الى الجحيم يا نساء الأرض ...  
وقالت مارج في ثن محبب لطيف :

— هل بوسعك أن تلومه ؟ لو كنت مكان هومر ما وددت أن يكون لى  
أنا أيضا مع النساء شأن .

— لقد استثيت من النساء مارى الين واليانور ، وانى لأستثيك  
أنت الأخرى .

قلت : استمع الى يا هومر . ان الكثيرات من النساء يحكين مارج رقة  
وجمالا . نعم لقد كنت سىء الحظ ، ولكن لا يجرك سوء حظك الى القول  
بأن النساء كلهن من فصيلة واحدة .

— ليذهبن جميعا الى الجحيم .. اننى لا أجد ثمة ضرورة لمناقشة  
هذا الأمر . فانى قد رأيت رأى ، ان كل ما أريده الآن هو أن أعود الى  
منزلى فى تارى تاون .

— استمع الى يا هومر ، أرجوك ألا تزيد متاعبى ، حقا اننى  
لا أستطيع ارغامك على الذهاب الى المعامل ، غير أننى من ناحية أخرى  
لا أستطيع أن أحمل وحدى عبء عودتك الى منزلك . فان كان على أن  
أعمل فليكن بطريقة رسمية وكل ما أستطيع أن أفعله هو أن أقدم تقريرا  
الى المؤسسة والى البيت الأبيض .

أجاب هومر : أنا معك يا ستيف ، ودعنا تتناول فنجانا آخر من القهوة.  
وبلغ سمعى رنين التليفون وهو يدق فى غرفة الجلوس فأجابت جين ثم  
نادتنى وقالت : ان كلوتس يطلبك فأخذت السماعة من يدها وقلت : نعمت  
صباحا يا برسى ..

— صباح الخير يا ستيف ، لقد وصلت الآن الى مكاتبى وستنعد  
لجنة التخطيط بعد لحظات وسوف أقدم لهم تقريرا عن السيد آدم . كيف  
حاله اليوم ؟

— على أحسن حال . اننى لم أره من قبل على حال مثلها .

— ان هذا هو خير خبر ، ولقد اغتبط بمفرى المسكين حين أخبرته  
بعودة آدم . وأخاله سوف يشفى شفاء تاما خلال أيام قلائل .  
— لا أظن ذلك .

— ماذا تظن ؟  
— لا أرى أن السيد بمفرى سوف يكون سعيدا حين يعلم أن هومر  
قد قرر الاستقالة .  
— ماذا تقول ؟ ...

قال ذلك بالفاظ لم أتبينها ثم عاد ليقول : ومن خوله أن يتخذ مثل  
هذا القرار ؟ انه لمن حق لجنة العلاقات الداخلية والكونجرس ولجنة  
التخطيط ، وليس له هو في ذلك من الأمر شيء .  
— أخشى أن يكون الأمر على العكس من ذلك .  
— يا له من هراء وسخف !

قلت مقترحا : اذا كان هذا رأيك فلتأخذوه الى المعامل اليوم ولتفرضوا  
عليه غير ما يريد .

وكان هومر خلال هذا واقفا على مقربة مني ، ينصت الىء وهو يتسم  
ثم قال : ما من شك في أنك فهمت ما يدور بخلدى يا ستيف .  
وكان كلوتس الى الناحية الأخرى يثرثر بكلام لا معنى له وأخيرا قال :  
سأنهى الأمر الى لجنة التخطيط وسوف أتصل بك لأبلغك قرارهم .  
— وماذا يستطيعون أن يقرروا ؟

— ماذا تقول ؟ ما الذى تستطيع لجنة التخطيط أن تقرر .. ؟ حسنا  
ان فى وسعهم أن يحيلوا الأمر الى لجنة العلاقات الداخلية واذا كانت ثمة  
ضرورة بعد ذلك فلتأخذ الأمور مجراها الطبيعى الى أن تعرض على رئيس  
الجمهورية .



— وماذا يستطيع الرئيس أن يفعل ؟

— ان في استطاعته كل شيء . اسمع أيها السيد سميث لا بد أن تقوم بعمل ما . فأنت المسئول عنه واعمل ما يدركك المسئولية .

— اننى آسف ليس لى لدى ما أستطيع أن أفعله الآن .

ومضت مدة طويلة وكلوتس لا يتكلم حتى ظننت أن الاتصال قد انقطع بينى وبينه . ولكنه استطاع جاهدا فى النهاية أن يصل حديثه :

— أرى لزاما على أن أقوم بعطلتى السنوية . لقد مضت على سنوات

دون أن أستمتع بأجازة وقد اجتمع لى الآن واحد وثمانون يوما وأخشى أن يكون هذا الأمر فوق ما أحتمل وانى لفى ميسس الحاجة الى الراحة وعلى أية حال فسوف أخبر لجنة التخطيط وبعدها أقوم بأجازة . الى اللقاء أيها السيد سميث .

وارتمى هومر متمددا على مقعد وهو يضحك ضحكة عريضة ويقول:

حسنا . كيف كان وقع الأمر على ذلك المجرم ؟

وكادت دهشتنا تخرج بنا عن طورنا اذ قلما كان هومر يستخدم من التعبيرات التى تدل على نفوره أو حنقه أكثر من كلمة « الجحيم » أو « اللعنة » ولذلك أيقنت عندها أنه تغير التغير كله أو أنه غدا رجلا ناضجا ان صح هذا التعبير . وأخبرته أنه سوف يقوم بأجازته وهذا يعنى أنه سوف يهرب من تحمل المسئولية . ثم قلت مستطردا :

ليكن حديثى اليك أنت ومارج وجين . سأقول لك رأى : اننى لا ألومك ولا أعتب عليك وسأظل لك عضدا ونصيرا .

قالت جين : وانى لكذلك ، فأنا لا أعلم ان كنت على صواب أو أن التوفيق قد جانبك ، ولكننى اذا نظرت الى الأمر نظرتك اليه فاننى لا أعتب عليك .

فصحت متعجبا : أفا ؟ ثقي أنى لن أحاول ذلك ، ولكن سأصعبه الى البيت الأبيض ليخبر داني وليامز أو الرئيس نفسه بما استقر عليه رأيه ، فلتست أريد أن أحمل وحدى وزر هذا القرار .

قال هومر : أنا سعيد بهذا ، دعنا نلبس ملابسنا وعجل بنا . وهكذا ارتدينا ملابسنا واتصلت بداني وليامز ليدير لنا موعدا بعد أن قلت له ان الأمر على أكبر جانب من الخطورة فقال :

— ان فى وسع الرئيس أن يلقى هومر فيما بين لقاءه لوزير العراق المفوض الجديد ولقاءه لرؤساء هيئة أركان الحرب المشتركة فى الحادية عشر والرابع . وكان يبدو على هؤلاء الرؤساء الاضطراب فى ذلك الوقت ، بعد أن بات من المأمول اعلان انتهاء الحرب رسميا فى العالم كله وذلك يعنى عودة كثير من الضباط الى رتبهم الأصلية . وأخبرت داني وليامز بما استقر عليه رأى هومر . فطمأننى بأن الرئيس سوف يتولى الأمر بنفسه . فتمنيت أن يكون الأمر كذلك . والآن حين أعود الى نفسى لا أدرى ان كنت قد تمنيت ذلك حقا أم لا .

ان النظام فى البيت الأبيض دقيق يثير العجب ، والهدف المقصود منه هو حشد أكبر عدد مستطاع من الزوار لمقابلة الرئيس فى أقصر وقت مستطاع ، وقد دخل هومر فى نهاية صف الزائرين الطويل ، وطفقت أجاذب داني وليامز أطراف الحديث خمس عشرة دقيقة فى الغرفة التى اعتاد « ستيف الأول » أن يقيم بها الى أن خرج هومر وكان ما زال يتسم فأدركت أنه قد نال بغيته .

وفى الحق أنى كنت مزهوا به وان كنت أعلم فيما بينى وبين نفسى أن حياة هذا العالم قد أوشكت على النهاية وقد رافقنا داني وليامز الى السيارة ثم قال مودعا :

سأتصل بك فيما بعد يا ستيف .

وما اتقضى وقت طويل حتى اتصل بي داني ، اذ كان هومر قد وضع قنبلة ذات فتيل قصير على مكتب الرئيس . فما كدنا نصل الى الفندق حتى صاحت جين : لقد طلب البيت الأبيض أن نتصل به فوراً .

فاتصلت بداني وليامز ، ويبدو أنه كان قد فقد هدوءه المألوف اذ صاح متخبطاً تخبط آلة ذات ثمانية محركات تحاول أن تسير بغاز الكيروسين بدلاً من البترول .

— انها كارثة يا ستيف . أتدرى ما قاله هومر للرئيس ؟

قلت : أعرف أنه صرح له بأنه لن يشترك في مشروع التلقيح الصناعي ، وأنه قد قدم استقالته .

قال : ليت هذا كل ما قال . لقد قال للرئيس ... أظن أنه ليس بوسعي أن أعيد ما قاله بالتليفون .

فقلت استحثة : هل قال شيئاً يتصل بالنساء ؟

قال : نعم قال شيئاً يتصل بالنساء ويجدر بي أن أقول ان الرئيس قد « صعق » ورأى أن هومر مخلوق ينقصه الأدب ، غير أن الرئيس معنى عناية كبيرة بتنفيذ مشروع التلقيح الصناعي ولو اقتضى الأمر استمالة هومر ، ولهذا قرر الرئيس تأجيل مشروع التلقيح الصناعي الى أجل غير مسمى على أن يقدم آدم الى مجلس الأبحاث القومي لأنهم يطالبون به ...

قلت : رباه !

— ماذا بك ؟

— ان كنت تخال هومر شاذاً في نفوره من النساء ، فاصبر الى أن يدرك أن الرأي قد استقر على تسليمه الى طائفة من العلماء .

أخذ داني يخبط من جديد ثم قال : لقد ضقنا ذرعاً هنا في البيت الأبيض بذلك المدعو آدم . اننا نعمل دائماً على صيانة حقوق الفرد ،

ومراعاة أصول الدستور وما يتصل بهذا وذلك ولكن حق الشعب يأتي فوق حق الفرد حيناً ولقد حان الوقت لذلك .

قلت : يقينى أن آدم سوف يتقبل هذا من الناحية النظرية ولكنه ان يقبل أن تلزمه بهذه الأوامر فعلا . وها هو ذا يتملص منها يوماً بعد يوم ، انه يمثل حالة شاذة غاية الشذوذ ...

— على أنها لن تكون في حقيقتها أكثر مما هي عليه . ومن الآن فصاعداً سيصبح آدم أشبه بحيوان ثمين للتجارب . وقد يكون في هذه العبارة شيء من الخشونة والقسوة ، ولكن لا محيص عنها وسيشرف الجيش على تدمير تغذيته ورعايته ، وإذا دعت الحاجة فبوسعهم أن يحتفظوا به احتفاظهم بسجين سياسى ، وبهذا تستطيع لجنة الأبحاث القومية أن تجرى عليه ما تشاء من التجارب . لقد قرروا هذا وأبدوا فيه رأياً قاطعاً وسيصدر الأمر بتنفيذه اليوم .

قلت : فليكن . أما أنا فيسعدنى أن أغادر هذا البلد الذى لا يختلف عن دار مجاهين مشيدة من الرخام فى جمال وروعة ، وأرى أن اقامتى لو طالت يوماً آخر فسينتهى بى المطاف دون شك الى مصحة سانت اليزابيث العقلية لأعالج من جنونى . وعلى أية حال فانى أرى أن ليس بوسعكم ارغام مخلوق على تغيير ما يكنّ باصدار مثل تلك الأوامر الغاشمة وأخشى أن تعترضكم المتاعب ، بل الكثير من المتاعب .

فقال داني : هذه فرصة لا بد من انتهازها على أية حال . وأود لهذا أن أعرب لك عن تقديرنا الكامل لمجهودك العظيم ومساعدتك الطيبة ، وقد قرر الرئيس أن يبعث اليك برسالة شكر خاصة .

قلت : سأضعها فى اطار ثمين ليراها أحفادى ، وان كنت على ثقة بأنه لن يكون لى أحفاد يوماً ما .

كان هومر ومارج وجين بالمطبخ يمزجون الويسكى بالصودا ويتدنحون من الشراب وأخذت مارج وجين تقنعان هومر بأن يصف لهما لقاءه بالرئيس غير أن هومر لزم الصمت وأخذ يراوغهما وقد بدا كاسف البال فقلت لهم :  
— لقد فصلت اليوم ، أما أنت يا هومر ، فأمامك منصب جديد .  
— لكم وددت لو يفصلنى الرئيس أنا الآخر . ولقد جهدت فى أن أحمله على ذلك .

— لا تقل هذا يا هومر ، هل نسيت أنك الرجل الذى لا غنى عنه ؟  
— وما هو هذا المنصب الجديد ؟  
وترددت فى الجواب وأردت أن أوضح لهومر عمله الجديد فى أحسن صورة اذ لم أشأ أن تكون نهايته على يدي .  
قلت له : أولا . لا تهتم بعد الآن بالتلقيح الصناعى فقد انتهى الى الأبد وها هى العضو فای سمترنوت تصبح الأم المرتقبة الأولى فى التلقيح الصناعى .

فقال هومر : أرى أننا سوف ننقل الى عمل آخر .  
واستطردت : سيكون عملك منذ الآن مع مجلس الأبحاث القومى .

— أتعنى بل وعصابته ؟  
— أجل . وفى ظنى أن الدكتور پل هو مدير هذا المجلس .  
فقال هومر فى ثبات :

— فى وسعك أن تطلب البيت الأبيض لتحيطهم علما بعملى الجديد ، ولتخبرهم بأنى مستقيل منه .

قلت له : ليت الأمر يسير كما تخال يا هومر ، فلم يعد فى استطاعتك أن تستقيل . فانك كما أخبرتك من قبل الرجل الذى ليس بالمستطاع الاستغناء عنه .

— ماذا تعنى بقولك انه لم يعد فى استطاعتى أن أستقيل ؟  
— أقول انك أصبحت الآن والمقبوض عليهم سواء بسواء أعنى أنك  
فقدت حقوقك كمواطن وأصبحت شبيها بمائة وستين رطلا من مادة  
البلوتونيوم مثلا .

وحسبت هومر سينفجر فى ثورة صاخبة ، غير أنه بدا هادئا وقد  
ارتسمت على شق فمه ابتسامة ملائكية وأخذ يقول :  
— سيلومون أنفسهم على ذلك .

— لا تحاول الآن أن تقوم بعمل عدائى فسيكون مصير هذه المحاولة  
الفشل لأن الجيش قد وضع لحمايتك وسيتولى أمرك كله .  
— اذا شاءوا أثاروها حربا مثل كارثة بيرل هاربر ، وما من شك فى  
أنهم يريدون ذلك .

وشرب قلحا من الخمر ثم ملاً آخر . وفى الحق أن التبدل الذى حل  
بهومر كان غريبا منبعا من أعماق نفسه ، فقد فارقه خجله وغدا وهو واقف  
وكأس الخمر فى يده وشعره منتفش فوق رأسه كجمرة من نار ، غدا كأنه  
واحد من هؤلاء الايرلنديين الطائشين الذين يغشون الحانات ولا يحجمون  
عن أن يدفعوا بالسكارى جميعا الى ركن من أركان الحانة وقد طار  
صوابهم من نشوة الخمر وشدة المرح .

وحين وصل « كيب » قائد الحامية الدفاعية بالمنطقة الوسطى  
يصحبه العقيد فيلبس سمايث ، كان هومر قد بلغ الذروة فى الاستهانة  
بجميع من حوله . ولم يتسم مسلكما فى الدخول بسمة من سمات النظام  
وكانهما لم يدربا عليه وسار فى أثر كيب وسمايث بعض الضباط من رتب  
أقل مدججين بالسلاح ، يرافقهم أحد المصورين . وتقدم القائد « كيب »  
ووجهه ينضح بالعرق وينطق بالبؤس والشقاء . وقبض على يد هومر

وأخذ يهزها محييا ومرحبا ، وهنا التقط لهما المصور صورة وأخذ « كيب » يتكلم في عسر وجمود وكأنه يلقي حديثا اذاعيا يجد صعوبة في تلاوته ، وقال : عزيزى آدم أرجو أن تكون بخير يا هومر .

وقال فيلبس سمايث : انتزعوا الكأس من يده ..  
وتقدم ضابط ، وانتزع الكأس وبدأت التحية من جديد فقال القائد للمرة الثانية : عزيزى السيد آدم أرجو أن تكون بخير .  
وقال هومر : أعطنى كأسى .

فأمر القائد الملازم قائلا : رد اليه الكأس .  
والتقط المصور صورة أخرى ورد الملازم الى هومر الكأس وسأل القائد مستفسرا : كيف تجرى الأمور ؟

فرد هومر : تجرى على هواها ، تجرى اليوم على غير ما ألف عنها .  
فانبرى فيلبس سمايث يقول : أى شئ تقول يا آدم ؟  
— من اليسير عليك أن تمنح مجلس الأبحاث الوطنى ثلاث سيكلوترونات<sup>(١)</sup> ضخمة ثم تستطيع ...

ولست أظن أن هناك فائدة ترجى من تكرار ما قاله هومر لفيلبس سمايث لأن مثل هذه الأقوال يتردد في حياتنا اليومية المألوفة . ولكن الجديد فى الأمر هو صدور مثل تلك العبارات عن هومر آدم ولهذا رحى أصغى .  
اتنفض فيلبس سمايث انتفاضة الديك وهو يحاول أن يثبت شجاعته أمام رؤسياه ثم قال :

— آدم لقد ولى عهد الفوضى ، واطتت فترة العبث ، ومنذ الآن سنتلقى منى الأوامر . ولسوف تطيع .

(١) السيكلوترون Cyclotron جهاز لتوصيل طاقات من عدة ملايين من الالكترون فولت الى جزيئات مشحونة اما بروتونات أو دويترونات .

وقال القائد « كيب » مؤيدا : حقا سوف تنفذها ..

قال آدم : لا لن أطيعها .

دفع فيلبس سمايث يده الى جيبيه وأخرجها وبها ورقة طويلة ، ورقة رسمية ثم دق كعبيه احدهما الى الأخرى وشرع يقرأ بلهجة مسرحية وكأنه يطالع وثيقة حربية فقال :

— اليكم التعليمات بنصها التي أعدتها وزارة الحرب ، وأمضاها فخامة رئيس الجمهورية .

الموضوع : هومر آدم .

أولا : يعد المدني المدعو هومر آدم مادة استراتيجية من الطبقة الأولى ، مادة حيوية بالنسبة للدفاع عن الولايات المتحدة .

ثانيا : وزارة الحرب هي المسؤولة عن صيانة هذه المادة والمحافظة عليها .

ثالثا : يصير المدني المدعو هومر آدم خاضعا في جميع الأوقات للتعليمات والأوامر كلها التي يصدرها بشأنه رئيس هيئة أركان الحرب أو رئيس ادارة الجيش لتنفيذ الغرض الذي تهدف اليه الفقرتان الأولى والثانية .

رابعا : يحق لمجلس الأبحاث القومي استخدام هومر المذكور في أبحاثه بعد موافقة هيئة أركان الحرب المشتركة ، على ألا يتعارض هذا الحق مع ما جاء بالفقرة الثانية من هذه التعليمات .

وطوى فيلبس سمايث الورقة ثم دسها في جيبيه وقال :

— أخالك بدأت تدرك أنت كل شيء . ؟

قال هومر : أى شيء ؟ لا . لم أدرك شيئا .

قال فيلبس سمايث : تدرك موقفك الجديد . فهذه التعليمات في غاية

الأحكام والصرامة ، أليس ذلك يا سيدى القائد . ؟

قال القائد كيب : أظن ذلك ، فلم يعد هناك شك فيمن تكون لم



السيطرة . وليس في استطاعة مجلس الأبحاث القومي أن يفعل شيئا قبل أن يجيز ذلك رؤساء هيئة أركان الحرب المشتركة .

استغرق آدم مليا في التفكير ثم سأل قائلا :

— هل تعنى أن ذلك المجلس الذى يدعونه بالمجلس القومى لن يطلب

منى شيئا ؟

وعقب فيلبس سمايث قائلا:

— كلا . فان ما نقصد حقا هو أن يوافق رؤساء هيئة أركان الحرب

المشتركة على استخدامك قبل أن يشرع مجلس الأبحاث فى ذلك : أعنى

هيئة أركان حرب الجيش والبحرية والطيران . والمعروف أنه قبل أن يقرر

رؤساء هيئة أركان الحرب المشتركة شيئا ، يدرس ضباط أركان الحرب

فى كل فرع من فروع القوات المسلحة المشروع ثم يقدم الاخصائيون فى كل

فرع اقتراحاتهم ، هذا الى أنه لا بد أن يكون هناك تقدير للرأى العام .

وهذا ما دعانا الى انشاء قسم للعلاقات العامة ثم يجب ألا نتجاهل الحالة

الدولية . وبعد هذا لا بد من تنسيق هذه الاقتراحات كلها مع قسم اعداد

الخطط الحربية . أليس الأمر كذلك يا سيدى القائد ؟

فقال الجنرال كيب : هذا صحيح .

فسأله هومر : هلا أستطيع أن أنال اجازة قصيرة ؟

فصاح فيلبس سمايث قائلا : اجازة ؟ دعنى أذكرك أيها الشاب أن زمن

الفوضى قد انقضى الى غير رجعة . فلقد أصبحت حياتك من الآن فصاعدا

هى والآلة سواء . وأرى أن أبعث بك أولا الى معسكر من المعسكرات

الحربية لتتلقى قسطا من التدريب الأولى ، فسيفيدك ذلك حتما وهذا هو

حقا ما أنت فى مسيس الحاجة اليه . فلا بد لك أن تطرح ذلك اللين جانبا .

قال هومر : لن أفعل .

فانفجر فيلبس سمايث يقول : ماذا تقول ؟ أعلم أنك منذ الآن لا حق لك في أن تقول عن شيء انى فاعله أو غير فاعله .

قال هومر : بل هذا حقى ، واذا بقيت على سماجتك فسأضرب عن تناول الطعام .

كان فيلبس سمايث سيقول شيئاً ولكن القائد « كيب » حال بينه وبين ذلك .

ثم قال لهومر : نحن لا نبغى اثارتك يا هومر . ولسنا غير جنود تودى واجبنا كما تعلم . والآن هيا بنا .

وهكذا رحل هومر وقبل أن يخطو فيلبس سمايث ليخرج التفت الى قائلاً :

— تذكر يا سميث ان كل ما دار هنا يعد سرا من أسرار الدولة .

وثنت مارج وجهها اليه ساخرة منه وما أظنه لاحظ ما فعلت .

وفي اليوم نفسه أخذنا القطار الى نيويورك ولم تتباطأ كثيراً في مغادرة الفندق اذ كانت مارج قد دبرت كل شيء وحزمت أمتعتنا منذ الليلة السابقة فأكدت لها أن هذه المهارة في تصريف الأمور ترجع الى ما جابانا الله من حدس صادق . ولكن مارج أنكرت ذلك وقالت ان حسن ترتيب الأمور وتديبرها يرجع الى العقل السليم والادراك السديد ، وزعمت لى أنتى بسبب ما ألقى من ارهاق شديد فى عملى قد فسدت قدرتى على رؤية الأمور على حقيقتها بطواهرها وبواطنها . وقالت :

— ان الرجل المحب حين تصده امرأة فى عنف يدخل فيض من نور الى عقله ثم يسرى ويمعن سربانا فى الأنسجة الداخلية على صورة امرأة أخرى ، ثم يزداد هذا الضياء سطوعاً ولمعانا فيظنى على ذاكرته .

وحين وصلنا المحطة اشتريت الطبعة الأخيرة من احدى صحف المساء ،

وطالعتنى العناوين الآتية :

« آدم ممتنع »

« مشروع التلقيح الصناعى فى سلة المهملات » .

« الجيش يتولى أمر آدم »

« الرئيس فى صف مجلس الأبحاث القومى »

غير انه كان ثمة مقال رئيسى بالصفحة الأولى بعنوان :

« ليس هناك ما يدعو الى الذعر »

## الفصل الرابع عشر

وهكذا وجدنا أنفسنا ثانية في الشارع العاشر الغربي بالطابق الأرضي في منزلنا في نيويورك ومن ثم استأنفنا حياتنا اليومية على أسلوبها ونمطها المألوفين ووجدتني أعود لأعمل من جديد ما يزيد على ثماني ساعات كل يوم . غير أنني وجدتني راغبا في ذلك العمل ، فكان ذلك بمثابة علاج ألترمه في وظيفتي ، وتنوعت مقالاتي فشملت موضوعات شتى مثل افتتاح موسم صيد السمك واستعراض عيد الفصح في الشارع الخامس ومسابقة الأناقة بين الرجال ، واختيار العشرة الأكثر أناقة من بينهم .

تناولت البرقيات الواردة من دلهي ، وشنح كنج عن حوادث المجاعة ولم أشأ أن أخرجها في صورة أبناء وأخبار يومية وانما جعلتها على شكل قصة مسلسل أسرد وقائعها يوما بعد يوم ، وكتبت أيضا حول زيادة انتاج الخزائير ، وقلة اللحوم وعن محصول القمح والطريقة المتبعة في توزيع الخبز بالبطاقات ، وعن حاجة أصحاب مزارع القطن في الجنوب الى المعونة والمساعدة المالية ، والسوق السوداء للمنسوجات ومستوى المعيشة ، وبالجملة فقد كتبت عن موضوعات الحياة كلها ، فقد مضت عجلة الحياة تسيير ..

وقد وضعت أخبار آدم نصب عيني ورحت أفتش عنها في البرقيات الواردة اليانا من واشنطن ، واعتادت وكالة الأنباء أن تكتب عن آدم وتذكر اسمه بالحروف الكبيرة وحتى في الأيام التي كانت تخلو من أبناء عن هومر آدم كنت أعلم حق العلم أن أحد المحررين في مكتبنا بواشنطن يجلس

كل ليلة الى مكتبة فيكتب عنه مقالا على أنه واجب من الواجبات المفروضة عليه ، ويتحدث فيه عن حياته ، وعند الظهر يشرع محرر آخر ليدون على آله الكاتبة كل ما يتصل بآدم بعنوان بارز : عهد آدم الجديد .

وكنت لا أفأنا ابحث بين الصحف عن أخبار هومر آدم وأنا شديد الحرص والاهتمام كما يفعل المجرم الطليق حين يظل يقظا لا تغفل عنه ، ولا تنسد أذنه عن كل ما ينشر من أخبار حول جريمة قتل اقترفتها يده . وفي الحق لقد كان كل ما يكتب عنه مملا تافها لا جديد فيه ، وقد أخذ مجلس الأبحاث القومي يشعر بمكآته بعد أن كفل آدم وأحس أنه قد كسب المعركة التي خاضها مع المؤسسة القومية لاعادة الاخصاب ، أقول ان المجلس بعد أن عهد اليه بآدم أصبح واثقا من أن العلم سيجل ذلك اللغز الذي أعقب انفجار المسيسيبي ، وقد جند المجلس أكثر رجاله نبوغا لكي يخوضوا تلك المعمة العلمية للقضاء على العقم العالمي ، ومن أجل ذلك طلب المجلس زيادة المال المرصود له ليستطيع تحمل التبعات الجديدة .

ولما كنت قد عاصرت التجربة من قبل فقد استطعت أن أتخيل الصواوث المقبلة ولذلك لم تستبد بي الدهشة حين قرأت يوما ما فقرة واحدة في الصفحة الثانية والعشرين من جريدة « وارلد تيلجرام » موجزا أن پرسی كلوتس الذي كان يعمل من قبل في المؤسسة القومية لاعادة الاخصاب قد انضم الى مجلس الأبحاث القومي ليشغل وظيفة مدير مساعد في الجهاز الادارى . كذلك لم أعجب حين قرأت أن « نات جييلمان » وهو من الخبراء الثقة في العلاقات العامة قد ألحق بمجلس الأبحاث القومي موقدا من وزارة الداخلية التي كان قد بدأ العمل فيها منذ مدة وجيزة بعد أن ترك العمل بالمؤسسة القومية لاعادة الاخصاب ، وهو الذي شغل من قبل عدة مراكز في الحكومة أذكر منها ما يقرب من ستة .

وعلى أية حال فاني أرى أن من بين الأشياء التي ذكرتها ما ليس في الواقع غير أمور محلية ادارية عادية ، أما ما كان يثير العجب حقا فهي تلك القصص التي كانت تخرج علينا من وزارة الحرب ، فمن قائل يقول ان الوزارة أرسلت هومر آدم الى معسكر بلاندي بفلوريدا بغية أن يستفيد من أشعة الشمس ، ويستعيد حيويته اذ أن ما كلف به في واشنطن كان على حد قول الراوي مجهدا غاية الجهد ، كما كثر الحديث عن مقابلات رؤساء هيئة أركان الحرب المشتركة التي تمت خلالها مناقشة أمور كثيرة منها مناورات المناطق القطبية ، والسيد آدم الى غير ذلك من الأمور الاستراتيجية. وقد صرحت وزارة الحرب غير مرة بأن المناورات القطبية غير مقصود بها دواة بذاتها ، وما هي الا صراع مع الطبيعة وعوامل الطقس ثم انها لم تدل أبدا بتصريح عن السيد آدم . وأخيرا كانت هناك قصص عن الصعوبات التي وقعت عقبه كأداء في سبيل استغلال آدم وتلميحات تؤكد أن آدم لم يكن شيئا حيويا ضروريا أبدا ، وهو ان كان نافعا فان مجلس الأبحاث القومي لم يعد يرى وجوده جوهريا .

وذات يوم كنت أنا ومارج تتابع سباق الخيل على شاشة التلفزيون ورحت أحدثها عن هذا السباق ، وعن الخيول المشتركة فيه ، فاذا بنا نشاهد المذيع مالكولم باركنسون وهو يدس أفه في حجرة نومنا ويقول :  
— آسف يا سادة لأنني قطعت عليكم متعتكم بالبرنامج ، فقد جاءتنا الآن أخبار هامة ، غير أنني أطلب اليكم قبل تلاوتها ألا تنزعجوا فليس ثمة ما يدعو الى الذعر في خضم حياتنا الجديدة الحافلة بالأحداث . وموجز الخبر هو أن وزارة الحرب قد أنهت الى رئيس الجمهورية القضاء على السيد آدم . هذا هو كل ما لدينا الآن وسنوافيكم بالتفاصيل حين تجميعنا تباعا ولهذا يحسن أن تتابعوا مشاهدة هذا البرنامج المثير ..

لم أستطيع أن أسمع أكثر من هذا .. فأطقت الجهاز وأنا نائم : كنت أعلم هذا .. كنت أعلم أنه سيحدث .

فسألت مارج : تعرف ماذا ؟

— كنت أعلم أنهم سوف يقضون على هومر بالعمم .

— وكيف تعرف ان آدم قد أصيب بالعمم ؟ ان كل ما قيل عنه أنه

قضى عليه .

-- وكيف يمكن أن يقضى عليه بغير ذلك ؟

قالت مارج : آه .. أليس هذا بالأمر الفظيع ؟

ثم أدت مفتاح المذياع بجوار الفراش . فوجدت المذياع قد عدا عن طوره ، اذ سمعت أصواتا ترغى وتزبد وكأن أهل المريخ قد هبطوا اليه وحلوا فيه ، فأصابه الهوس والجنون ، ووددت لو اختفيت تحت أغطية الفراش .

ثم اذا به يعلن : ان وزارة الحرب قد أنهت الى رئيس الجمهورية بأن مجلس الأبحاث القومي قد أصاب آدم بالعمم ، وأن هذا قد حدث منذ بضعة أسابيع مضت وأضاف قائلاً : انهم قد تكتموا الخبر الى أن أيقنوا حقا أن السيد آدم قد أصيب بالعمم ..

وقال أيضا : ان مجلس الأبحاث القومي قد أذاع أن ما حدث لآدم كان قضاء وقدرًا ، وان وزارة الحرب تشاطر مجلس الأبحاث القومي هذا الرأي ، وأن رئيس الجمهورية يشارك وزارة الحرب وأن التبعة لا تقع على عاتق انسان بعينه .

وحملت مارج في المذياع وكأنه شيء بغيض ، كريبه ، دنس تعافه النفس ولا يستحق للمس وهمست قائلة :

— لقد انتهى الأمر .

— أى أمر انتهى ؟

— انتهى كل شيء .. انتهى كل شيء .. يا له من رجل مسكين ، جدير بالعطف والرثاء ..

قلت لأدفعها إلى الحديث :

— لا . بل ليس مسكينا ، ولا شيء من هذا .

— بل هو مسكين ، إذ أنى جين أفكر فيما وقع له اخالنا غير شرفاء وكأنا شهدنا جريمة قتل ، ولم نفعل شيئا لمنعها .  
— لقد بذلنا جميعا كل ما فى وسعنا .

فقلت مارج تسأل نفسها ولا تسألنى : هل عملنا ؟ هل عملنا حقا ما فى وسعنا ؟

وأحسست موجة من الغضب والسخط تجتاحنى وكأنها الرعشة الأولى التى تسرى فى الجسد وتسبق الحمى . لم أكن أدرى حقا سبب هذا الغضب ولا مبعثه ، وعلى من تقع تبعته ، غير انى كنت أشعر أن هناك شخصا ما شخصا مجهولا قد أضر بحياتى وحطم زوجتى . وسيطرت على رغبة ملحة فى الثأر والانتقام ، غير أننى لم أكن أعلم ممن أنتقم وليس ثمة على التحديد متهم بعينه يمكن أن نلقى عليه تهمة اصابة آدم بالعقم . ولكن بالله كيف أتقم ولماذا ؟

وعلى نحو ما اقتضب المذيع الخبر ، فلم يذكر تفاصيله ، ولم يشر الى تلك النقاط التى تقفنا على بينة من الحادث واكتفى بأن أذاع خبر القضاء على آدم — وتحطيم قواه ، ثم اندفع المعلقون من أهل الفطنة والعلم يؤكدون أن اصابة آدم هذه ليس معناها فناء البشر . ويرجعون رأيهم الى أن آدم كان قد أسهم ولا يزال بنصيب وافر فى التجارب العلمية ثم انه ليس لروسيا أن تنكر أنها تملك رجلين مغوليين قادرين على الانجاب ..



لو نظرنا الى المسألة دون أن تطير نفوسنا شعاعا أو يستولى عليها الهلع وتديرنا الأمر مليا لأمكنا القول بأن حرمان العلم من الخدمات الجليلة التي كان آدم يزمع أن يهبها للجنس البشرى ليست على قدر من الأهمية عظيم أو جليل بل لعل الموقف السياسى والحربى فى الهند الصينية يربو فى أهميته على حديث آدم ، وحديث انجاب الأطفال منه ، ثم أخذ المعلقون يفسرون الموقف فى الهند الصينية تفسيراً دقيقاً على جميع وجوهه .

ودق جرس التليفون ، وكان المتكلم هو بوجى ، الذى سألتنى عما اذا كنت قد سمعت بالنبأ ، وحين أخبرته أننى سمعته قال :

— اذن فعليك أن تعالج الناحية المحلية من قصة آدم .

— ماذا تقصد بالناحية المحلية ؟

فأجابنى بأن ثمة نواحي محلية عديدة تتطلب العناية والدراسة ، ثم ذكرنى بأن هناك كثيرين من مديرى مجلس الأبحاث القومى يقيمون بنيويورك ومن الواجب استجوابهم ومن ناحية أخرى فان آدم نفسه قد عاد الى تارى تاون وفق ما أذاعه مكتب واشنطن . وعلى أية حال فلم تكن القصة واضحة وظلت التفاصيل عن عقم آدم فى الحق سرا خفيا فى طى الكتمان ، وقلت لنفسى لا بد أن أقف على حقيقة ذلك السر ، وحين أخذت فى حلق ذقتى ثم فى ارتداء ملابسى ، بدأت الخطة تتبلور فى ذهنى ووجدت أن أول انسان ينبغى أن ألقاه هو فيليكس پل ، ولعله يكون آخرهم أيضا . جهدت فى أن أذكر المكان الذى أخفيت فيه مسدس البرونج ، وكان التذكار الوحيد الباقى من أيام القتال خلال الحرب العالمية الثانية ، وكان مسدسا جميلا فى شكله ، دقيقا فى صنعه ، أتوماتيكي الطلقات ، بلجيكي الصنع ، وظللت أنقب عنه ، وأخيرا عثرت عليه فى صوان فى الردهة ، ورأتنى مارج وأنا أضعه فى جيب سترتى فسألتنى :

— ستيفن ، لم تأخذ هذا المسدس معك ؟ فلم أحر جوابا .  
قالت : لا تكن أحمق ولا تدع الطيش يعث بعقلك فلو عثر عليه  
رجال الشرطة معك لأودعوك السجن ، وعلى أية حال فلست ماهرا في  
الرماية ولن تستطيع أن تصيب به هدفا يبعد عنك ما يزيد عن أقدام عشر .  
قلت : ان الهدف الذى أود أن أصيبه لن يكون على مسافة تزيد على  
عشر أقدام .

وحدجتى مارج بنظرة ملؤها الدهشة ، دهشة الزوجة وهى تستمع الى  
سر من أسرار زوجها يثبت خيائه لها ، وانتقاله الى زوجة أخرى دون علمها .  
وقالت : أجاد أنت يا ستيفن ؟  
— أجل .

— لن أسمح لك بمغادرة البيت ، ومعك هذا السلاح الفتاك .  
فأمسكتها من كتفيها ، ودفعتها بعيدا عنى بيد أنى أحسست بغلظتى  
وخشوتى ، فقلت لها : حبيبتى ، استمعى الى ، فلقد كنت الى هذه اللحظة  
رجلا رقيقا ، عذبا ، مهذبا ، متمدينا ، ولكنى اليوم أجد الشر يدفعنى الى  
ارتكاب جريمة أسفك فيها ..  
وغادرت البيت قبل أن تجد هى فرصة للكلام ...

يمت شطر كولومبيا ، ومن ثم قصدت الى منزل فيلكس پل ، وفتحت  
الوصيفه لى الباب فتحة يسيرة ضيقة فاستطعت أن أرى أنه متصل من  
الداخل بمزلاج ذى سلسلة . وفى مثل هذه المواقف الحرجة لا سبيل  
للإنسان الا أن يلجأ الى الحيلة ، ويصطنع الخديعة ، كنت أعرف وسيلة أعلم  
أنها لا تدل فى أغلب الأوقات على شىء غير الغباء والسذاجة ولكن لم يكن  
هناك بد منها ولا معدى عن التشبث بها فى الحال ، والمرء فى مجال الرهان  
والمقامرة يدفع كل ما يملك حين تسنح له الفرصة فى المجازفة خاصة حين  
تشدد حماسة المراهنين وتعلو قيمة الرهان . فاصطنعت الجد ، وقلت

للوصيفة : أسرعى أزيحى المزلاج وأدخلينى الى الدار قبل أن يصل محررو الصحف فهم فى طريقهم الى البيت وسوف يصلون قبل ثوان . فطرقت بعينها الى وقالت : ان يل لا يرغب فى لقاء أحد لا سيما الصحفيين .

وأزاحت مزلاج الباب وأدخلتنى ..

قلت : من الطبيعى ألا يرغب فى ذلك .

— لا أظنه يريد لقاء أحد فمن أنت ؟

— أخبريه أن السيد سميث يرغب فى لقائه لأمر ذى بال .

فاندفعت تصعد الدرج عدوا ، وأنا فى أثرها الى أن دخلنا غرفة نوم

السيد « يل » وكانت تبدو قاتمة مظلمة تشيع فى النفس الكآبة بما تحوى من أثاث عتيق الطراز ، مصنوع من خشب الجوز ووجدت « يل » جالسا فى فراشه وقد أسند رأسه الأشهب بالوسائد فحدق ببصره فى وجهى ورأيت أن احدى عينيه كانت تطرف فى شرود واضطراب ، ومنذ أن وقعت عليه عيناي ظلت عضلات وجهه تضطرب اختلاجاً .

ونظرت الخادمة الى السيد « يل » ثم الىّ ، وفهمت أنى أعرفه ويعرفنى وأنا أصدقاء فتركتنا وانصرفت .

وقال لى « يل » : كيف جئت الى هنا ؟

ان القاعدة فى الدفاع عن مجرم فى جريمة سفك فيها دما ، وارتكب فيها قتلا ، هى أن يقر المدافعون بأن كل شىء فى نظر القاتل قبل اقتراحه لجريمته، قد اصطبغ بلون أسود أو لون أحمر وعلى أية حال فان أول ما يستقر فى ذهن القاتل هو استمساكه الوحيد بمبدأ ثابت عنده وهو أن خصمه ميت — بيده — لا محالة وأنه واقف أمامه ، وأنه لا يبرح صامدا فى موقفه ، ومسدسه فى يده تفوح منه رائحة الدخان ، والحكم الذى يهدف اليه موكله هو اثبات أن نوبة الجنون المؤقت قد اعترت القاتل .. بيد أننا

لو حللنا الموقف على صورة أدق لوجدنا أن ما يحدث حقا يختلف عن ذلك الاختلاف كله ذلك لأن المرئيات في عيني القاتل تصبح غامضة مبهمة وتتحرك الكائنات أمامه في ببطء شديد وتثاقل مضم بغيض وهذا ما حدث لى . ثم انتزعت مسدسى من جيب سترتى الا أن الزناد تعلق ببطانة السترة وبدا لى انه قد مضى وقت طويل قبل أن أستطيع تخليصه واخراجه من مكانه وضغطت بابهامى على زناد الأمان فانتفج بطريقة وفي صوت لطيف قاطع حاسم ، أنه صوت تلك الطرقة ، وقلت له :

— ان ما حدث أمامك لن يرضى أحدا فوق ما يرضيني أنا ، فهو في نظرى ليس الا ضحكا ومزاحا .

قال « پل » يحلل سلوكى : أراك قد جنت وفقدت صوابك .  
فقررت أن أطلق عليه النار فى منتصف الصدر ، تحت الذقن عند ملتقى ياقة رداؤه العتيق بجلده الشاحب وبعد ذلك أكرر اطلاق النار فى المكان نفسه ، حتى استيقن تماما من موته .

وقلت له : وهكذا قضيتم على هومر آدم . لقد كنتم جد مهرة عندما صورتم الحادث بأنه مؤسف للغاية وأنه قد وقع قضاء وقدر . انه حقا حادث مؤسف .

فقال بل : كلا .. يقينا لم يكن قضاء وقدر .  
— أعلم أنه لم يكن قضاء وقدر فلقد قضيتم على آدم وعلى انسان من سكان الأرض عن قصد وسبق اصرار كما أطلق عليك الآن رصاصة من عيار تسعة مليمترات .

قال بعد أن ألقى بنفسه على الوسائد : حسنا .. هيا أطلق النار ..  
وعقد يديه الشاحبتين أحدهما فى الأخرى وقال للمرة الثانية : هيا أطلق النار لقد بلغ بى الجهد مبلغا كبيرا وليس لدى من عمل يشغلنى . وأظن أنه

لم يعد يعينى أن ألفظ أُنْقى الأخريرة فى الحال ، وأظف فى قفء الحففة  
وكل ما أرفوه أن تصفبى فى مقلل فوفى بى لأنى لا أرفء أن أقى آلام  
الموف البطف .

لم أكن أوفق منه أن فقول ما قال ( فلقل نطق بكل ما ففاب الحففة ،  
وففابى العقل ) فقلت له : أفرنى قبل كل شىء ألا تشعر بطفنك وطفة  
زملائف واخوائك وبأفر فرائمكم ضء الانسانية ؟

وآؤه « بل » وقال : ضء الانسانية ؟ لم أفا الرجل ؟ اننا لم نعمل  
للقضاء على الانسانية بل على العكس قل وقفنا حفانا لخدمة البشرية ،  
وأنت لا تصقلنى الآن لما علق بذهنك منذ ذلك الفوم من أخطاء . ولقصور  
عندك فى الاءراك والفهم ، ولذلك فأنا لا ألومك أرفوك أن طفقم وطفلق  
على النار .

وبءأت أفس بثقل المسلس فى فءى ثم امءلأت نفسى سخرفة من  
موفى وأنا أهءل ذلك الرجل الطاعن فى السن ففركت فءى طفبط الى  
فانبى وقلل :

— أنت ففر فى نفسى الحفرة أفا الرجل ، فعلى ففن ففر أن هومر آدم  
لم فصب بالعمم قضاء وقءرا فعود فنقول ..  
وقال ءكنور « بل » وصوفه ففمفز فففا : أفل . أفر أن العاءل لم فكن  
قضاء وقءرا اء هو الذى فعل ذلك بنفسه .  
— فعل ذلك بنفسه ؟ ماءا فقول ؟

— أفل انه هو الذى اقفر ما فسطفب أن فنفهى به الى الاءفار  
الفنسى .

كان ذلك اءمئالا لم فخطر لى على بال ، ففء انه كان ممكنا حقا بل  
محبفا ومربكا أو لعله كان قائما على الكفء والءس الى ءء فوفنى عن

قتل « بل » قبل أن أعرف صدق ما قاله أو كذبه فأعدت غدارتى الى جيبى مدركا فى الحال انى لن أقتل « بل » الآن أبدا وقتلت له : حدثنى عنه .

— ان هذا الأمر يمزق النفوس غيظا وغضبا ، ويجعلها تتوه فى مجاهل الحيرة ، ومن ثم ترانى أشعر بالاشمزاز من مناقشته معك ، كم أرجوك أن تقضى على الساعة ولعل هذا أفضل من ارغامى على كتابة ورقة تصف هذا الأمر الذى سيكون سببا فى أن أفقد صوابى .

— ما هو ذاك الأمر الذى يثير فى النفوس الغضب الشديد ، ويدعو العقل الى الارتباك والحيرة ؟

ووجد « بل » اننى مصمم التصميم كله على قتله وأن تنفيذ هذا رهن مشيئتى ولذلك قال مستسلما : أرى أنه من الخير أن أقص عليك كل شئ اذ ألاحظ فىك تصميما على البقاء هنا بغية أن أحدثك عنه ، ففى المقام الأول كانت ثمة عقبات تقف فى الطريق وكما لا يغيب عن بالك أننا لم نكن نود من آدم الا اجراء بعض التجارب لبضعة أيام قليلة ولكنى استشعرت فى نفسى العجز والقصور فى السيطرة على عملى وأداء واجبى ووجدت أيضا أن عملى كان لا يزيد عن حضور بعض الاجتماعات ، والادلاء برأى فى بعض المناقشات ، ورأيت أن ثمة مؤامرة كانت تدبر وتحاك فى الخفاء .

— لم تكن بالمؤامرة وانما كانت مسلكا مألوفاً .

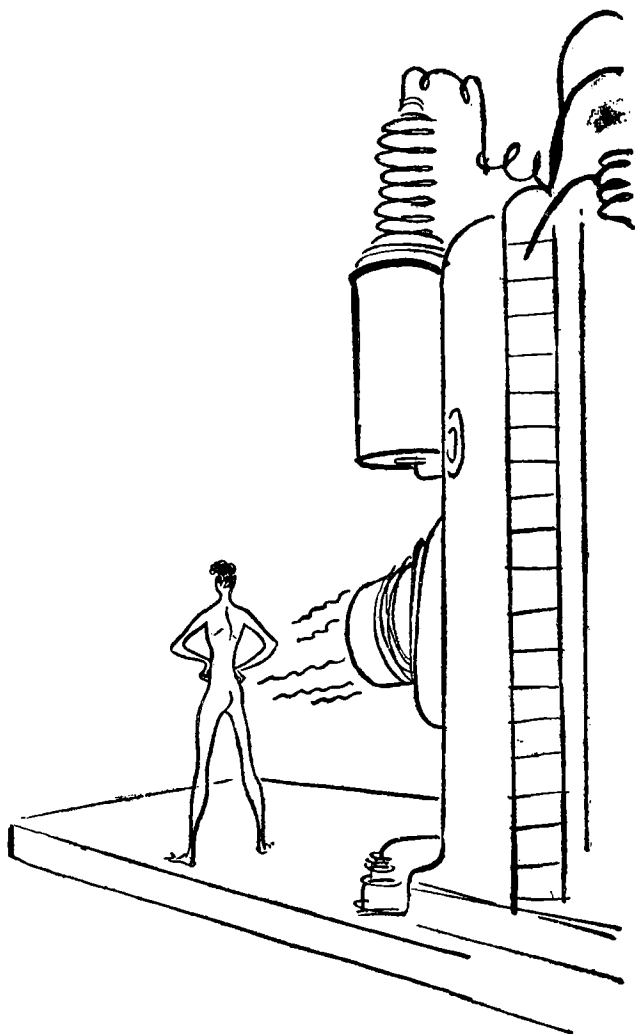
واستطرد « بل » يقول : ونشأت العقبات فى كل مكان ، وافترش الناس قارعة الطرقات ، بعد أن أجفل النوم من عيونهم حيارى لا يدرون الأسباب التى أدت الى توقف بدء العمليات .

— أعرف ما تقصده .

— ثم تدرعنا بالصبر ، وأخيرا وافقت اللجان والمجالس على الخطط التى وضعت ومن ثم سلم آدم الى المشرفين على المعامل . وكان هومر هادىء النفس يتمتع بصحة طيبة وقد راعينا الدقة فى بحوثنا والحرص فى

تجاربنا لسبب وجيه هام وهو ان معظم الآلات والأجهزة والمعدات كانت تنتج اشعاعات كنتك الاشعاعات التي أطلقت من عقالها في حادث انفجار المسيسيبي ، فكان أول ما اتخذناه من حيلة وحذر هو أننا حذرنا آدم من أن يسير في مناطق معينة ومحدودة وأن يتعد عن بعض الآلات .

— ثم ماذا ؟



— كان آدم ذكياً للغاية فراقبنا وانتظر وتمهل حتى وجدنا في شغل  
عنه بأشياء أخرى وأظن أن ذلك قد وقع أثناء حضور نفر من المصورين  
الرسميين ثم هام على وجهه وخرج على الحدود المرسومة . وفي ذلك الحين  
وجدناه قد أصاب نفسه بالعقم الكامل وأرى أنه كان سعيد الحظ إذ لم  
يمت في الحال .

— أوائق أنت ما تقول ؟

— كلنا واثقون كل الثقة . بيد أننا أجرينا كل اختبار معقول . لقد  
كانت هذه التجربة أقسى ما شهدته في حياتي من تجارب . كانت أشدها  
حيرة وأكثرها تعقيدا وأقربها الى اثاره الحنق والنفور في النفوس لماذا  
يا ترى فعل بنفسه هذا .. ؟

فأجبت : انى أجهل الأسباب التي دفعت هومر الى سلوك تلك السبيل .  
وبدأت أقدم اعتذارى للطبيب « پل » الرجل الذى هرعت اليه في  
طيش وحنق لأقضى عليه ، وكنت كلما حاولت أن أصوغ من الكلمات جملا  
مهذبة تفصح عن شعورى ، خيل لى أنها غثة تافهة المعنى وكل ما استطعت  
أن أقوله أن أبدى أسفهى الشديد لسير الأمور فى هذا الدرب الذى نم  
نحدده أو نتوقعه ، بل نزيده أو نهواه ثم ختمت حديثى متمنيا له الشفاء  
العاجل والصحة الكاملة وانصرفت .

وأخذت القطار الى تارى تاون فى المساء ومنها ركبت سيارة أجرة الى  
بوابة روزمير . وعند وصولى علمت أن رجال الصحافة قد سبقونى الى  
هناك ؛ عرفت ذلك من آثارهم فقد كانت هناك كومة من مشاغل التصوير  
التي استخدموها لمقاة على الدرج ، وفيما أنا أدق الجرس ، أخذت  
أتساءل : ترى هل أخبرهم هومر بحقيقة ما حدث ؟ غير أنى أيقنت أن هومر  
قد أبى أن يعترف بالحقيقة ولعلمهم قد أوجزوا له المعلومات الضئيلة التي



يمكنه أن يدلى بها قبل أن يبرح واشنطون وأن الأمر قد حدث قضاءً  
وقدرا ، وأنه ليس غير عارض يدعو الى الأسف الشديد .

قصدت الى كوخ هومر آدم ، وفتح لى الباب واستقبلنى صائحا وهو  
يطوقنى بذراعيه الطويلتين النحيلتين وقال : مرحبا بك يا ستيف . لقد  
كنت أتساءل متى أراك . انى أشعر بالسعادة لرؤيتك .

ثم صاح مناديا مارى ايلين وأخبرها بحضورى الا أنها اعتذرت لحظات  
لانشغالها بتغيير لفائف طفلتها قائلة انها ستهبط الينا فى الحال .

وقال هومر يشرح : بعد أن تخلينا عن العمل فى الحكومة ، آثرنا أن  
ندع مسز بريندج تعودنا مرتين من كل أسبوع .

قلت له : حسنا .. انها لفرصة مواتية أن نكون بمفردنا لتحدثنى عن  
الأسباب التى دعتك الى فعل ما فعلت بنفسك يا هومر .

فأسرع هومر الى الجلوس لأن ساقيه الطويلتين الرخوتين اللتين  
تشبهان ساقى الكركى لم تخلقا لحمله فى ساعات الشدة ، وقال : وكيف  
عرفت ؟ لقد كنت أرجو ألا يعرف أحد عن الأمر شيئا . ولقد أكد لى  
الجميع أن الأمر سوف يظل سرا ذلك لأن شيوعه سيؤدى الى كثير من  
المتاعب وسوف يلقى التبعات على كثيرين وأنا بطبعى لا أحب أن أسبب  
المشاكل لأحد .

— لا تخف فلن تسبب مشاكل ، لقد جئت الآن من عند الدكتور  
« پل » وكنت على وشك أن أطلق النار عليه لأنى كنت أرى أنه هو الذى  
قصد أصابتك بالعقم ولكنه قال لى انك أنت الذى أصبت نفسك .

— حقا أنا الذى فعلت ذلك بنفسى .

— ولكن لماذا ؟ هل كنت تنوى العودة الى كاتى ؟

فحملق هومر فى الدرج وقال محذرا : لا تتكلم هكذا بصوت مرتفع

فان ماري ايلين لا تعرف أن ثمة علاقة خطيرة قد نشأت بين كاتي وبيني وأخشي لو سمعتك تذكر اسم كاتي أن تتوهم شيئا جلا وتقع فريسة للهواجس والظنون .

— حسنا . سأحرص الحرص كله .

قلت مستجيا وأنا أعجب من جهل هذا الرجل البسيط العادي .  
فقال بصوت خفيض ، ولكنه خشن أجش : لم تكن كاتي هي السبب .  
— لقد ظننت من حديثك أنك ما زلت حاقدا على النساء ولعلك قد فعلت ما فعلت بدافع الانتقام منهن في شخص كاتي .

— كلا .. فقد استطعت التغلب على ذلك ، ألم تقل أنت لى ان الانسان يخدع مرة واحدة في حياته ؟

وتذكرت ما قاله الأستاذ « پل » عن المتاعب التي صادفها في تجاربه ،  
فقلت هل تراك ضقت بالتأجيل بعد التأجيل ؟

— كلا . فلقد اعتدت التأجيل منذ أن كانت مؤسسة اعادة الاخصاب تتولى أمري .

قلت له وقد تولاني الضيق : اذن ما السبب ... ؟  
راح هومر يداعب باصبعه خصلات شعره ، فعلمت أنه كان يعاني صعوبة في التعبير عن نفسه ثم قال أخيرا :  
سأخبرك بالحقيقة : لقد فعلت ذلك بدافع من نسي .

— من نفسك ؟

— لقد أردت أن أصبح مثل غيري من الناس ، لقد كنت طوال حياتي أنزع الى هذا وهانذا أشعر بأني واحد مثل سائر الناس والرجال ، فلأول مرة أجدني انسانا بكل ما تحمله هذه الكلمة من معان . وأنت يا ستيف أعلم من غيرك بي ، وانني كنت أختلف أشد الاختلاف عن

سائر الناس في صباى ومراهقتى وابان مرحلة الرجونة والنضج ، ولكنى  
الآن لا أختلف عنهم في شيء .

وحاولت أن أرتب الفكرة في رأسى فقلت أسأله : ومتى استقر رأيك  
على أن تفعل هذا ؟

— لست واثقا من ذلك الثقة كلها . فمثل هذا القرار لا يصل  
اليه الانسان الا بعد جهد وكد ، ولا بد من أن يقف ويقعد ويعلو ويهبط ،  
ويقلب الأرض ويجعل عاليها سافلها ؛ ثم يزيل ما أمامه من عقبات  
وعندما يتحقق أمله في الوصول الى ذلك يصبح هذا القرار ملكاً له  
وحده ، مقصورا عليه ولا يشاركه فيه أحد . ولقد وصلت الى قرارى  
الأخير عندما اصطحبني الدكتور « بل » الى معامل مجلس الأبحاث القومي ،  
فقد أيقنت حينئذ أنني اما أن أعقم نفسى واما أن أتحرر ، ولا أدرى  
ما الذى حفزنى الى أن أقرر هذا في تلك اللحظة ، لعلها الآلات هى التى  
دفعتنى الى ذلك ؟

— الآلات ؟ أتعنى أن الآلات هى التى هيأت لك الفرصة لتفعل  
ما تريد ؟

— كلا ، لست أقصد ذلك حقا . لقد شعرت بالكراهية لتلك الآلات  
العملاقة الدقيقة الصنع ، ذات القدور التى تشبه البطون ، والخراطيم  
والأذرعة الطويلة المركبة فيها ، كلها بدت أمامى حية متحركة ، مختالة  
فخورة . وكانت تشبه الى حد كبير تلك الآلات التى رأيتها في بيت فلوم  
فاشدت كراهيتى لها ، وأردت أن أعطلها عن العمل ، لأنى أحسست  
أنها كانت تنتظرنى فاقدة الصبر ، وفجأة أيقنت أن هذه الآلات ستغدو  
معطلة بلا فائدة ، فقررت أن أسير في مجال الاشعاعات وأظن في أشعة  
جاما أولا .

— انى مصدق كل ما تقوله يا هومر ، وهو عندى معقول ، ولكنى أحمد الله على أنه ليس بيننا طبيب واحد مختص فى طب النفس ينصت اليك وأنت تروى هذه القصة .

— وانى جد سعيد لأنك مصدق لما أرويه ، لقد تخلصت من متاعبى ياستيف وأصبحت حياتى طبيعية كحياة غيرى من الناس ....  
ومن الغريب أن هومر كان يستعذب ترديد عبارته الأخيرة وبدا كأنه زميل جديد قد وقع عليه اختيار الادارة والزملاء ليكون عضوا فى كلية لاهوت ، فأحس بسعادة مفاجئة غير متوقعة بعد قضاء عطلة طويلة موحشة ، موغلة فى الوحدة .

وهبطت مارى ايلين على الدرج تحمل على صدرها ذرية آدم ، طفلة الوحيدة ، وجعلت أدير فى رأسى فكرة غريبة مفترضا أن اليانور هذه قد جاء بدلا منها ولد ذكر ، فماذا كان يحدث لهومر وماذا يكون شعوره .  
وعندما أفصحت لهومر عن هذا الرأى أخذ يحمد الله أن جاءته بنت ولم يرزق بولد والا لكان مقدرنا على هذا الولد أن يخوض متاعب جملة فى حياته كما فعل أبوه من قبل .

وتحدثت مارى ايلين فقالت : انه كان من الواجب عليها أن تحزن لما أصاب هومر من متاعب وآلام ، الا أنها لم تحس بالحزن أو الأسف من أجله وعله هذا كما قالت : أنا نيته ، الا أنها عادت فاعتذرت عن موقفها هذا وتمنت أن تأتى الأيام بكل ما يبشر بالخير ويدعو الى الاطمئنان على حال زوجها وسألتنى عن أخبار المغوليين ، فقلت ان انسانا ما لا يعلم عنهما شيئا ، ثم وعدتنا بالزيارة فى فرصة قريبة فى صحبة زوجها هومر بعد أن تنتهى مسز بريندج من أداء واجبها فى المنزل ، فعبرت لها عن سرورنا حين نلقى أعز أصدقائنا فى بيتنا .

واختتمت حديثها تفصح عن آمالها في أن تكف الحكومة والصحافة عن اثاره الضجة حول أسرتها الصغيرة ليستطيعوا أن يستأنفوا حياتهم في سعادة ، وهناءة فهدأتها بقولي انه خلال أسبوع أو أسابيع قليلة ستنتشع الغيوم وتسود حياتهم السكينة والهدوء .

وبدأت الطفلة اليانور في الصراخ والبكاء ، فقالت أمها انها جائعة وحملتها وصعدت بها الى الطابق العلوى لتطعمها في غرفتها ، ورجاني هومر وتوسل اليّ ألا أنشر في الصحف شيئا عما حدث في معامل مجلس الأبحاث القومي حتى لا ينتهز الفرصة انسان فيثير المتاعب وتعاوده أحزانه وأشجانه من جديد . بيد أنى أفهمته أن مصير هذه القصة الديوغ والانتشار ان عاجلا أو آجلا وان ظلت طى الكتمان في الوقت الحاضر ، وعلى هذا أعطيته وعدا بالصمت .

اتصلت بعد ذلك تليفونيا برئيس التحرير ، ثم عدت الى منزلى ويبدو اننى قد أخطأت التقدير عما ظننت أن المخاوف سوف تستولى على زوجى مارج خلال زيارتى للدكتور « پل » فلقد وجدتها في المطبخ تعد صنفا من الطعام ، وترسل صفيراً لتدخل على نفسها البهجة والسرور ، وما ان رأنتى حتى قالت : قبل أن تخطو الى جوارى ، أعد غدارتك الى مكانها من الصوان وانزع عنها الزفاد بعد أن تتأكد من خلوها من الطلقات .

وسألتها : ألا تريدان أن تعرفى هل قتلته أم لا ؟

— أعلم أنك لم تقتله .. ولقد تذكرت أنى لم أخبرها عن وجهتى قبل

مغادرتى البيت فسألتها : من هو الذى لم أقتله ؟

— عجباً . انه الدكتور « پل » بالطبع ومن كنت عازما على قتله سواه؟

لقد اتصلت بالدكتور « پل » بعد أن غادرت أنت منزله مباشرة وأخبرنى أنك كنت عنيفا معه ولم تكن للاحا ذكيا ، وأن رأيه فيك على العموم أن بك

ميلا الى المساندة والمهادنة ، وعزوا عن ايذاء الأذى بأحد .

ولما قصصت عليها ما كان من أمر هومر ، قالت : هذا ما ظننته من حديث  
« يل » معي .

وبعد العشاء بدأت الاذاعة تصيح وتولول حول الكارثة الجديدة .  
ولكنها مع ذلك لم تكف عن اذاعة موسيقى شجية الأنغام تبث في النفوس  
التفاؤل ثم راحت تقول ان هومر ليس الوحيد من نوعه في العالم ثم عادت  
من جديد تتحدث عن المغوليين ، وفي بضع ساعات قليلة أصبح الرجلان  
المغوليان الشغل الشاغل للشعب الأمريكي .

وحين سئل وزير الخارجية عن الموقف الخاص بالمغوليين أجاب بأنه  
شديد الثقة في حسن سلوك الروس ، أولئك الحلفاء المخلصين وانه موقن  
بأن اتحاد الجمهوريات السوفيتية لن يمضى طويلا في اخفاء هذا السر  
وأنه سوف يعهد بالرجلين الى هيئة الأمم المتحدة ، وأذكر أنه قال هذه  
العبارات بحذافيرها « كيف يتأتى للأمم المتحدة ، أن تكون فوه مسنسة  
تعمل لصالح الجنس البشري ، ما لم يكن لها حق الحصول على موارد  
الثروة لكل دول العالم ؟ » .. حقا لقد رأيت سديدا بارعا في تعبيره ولكن  
كيف لم يخطر ذلك بباله من قبل ؟

ثم راح يعدد المساعدات التي قدمتها الولايات المتحدة خلال الحرب  
الى روسيا ثم أخذ يروي قصة شراء الأسكالا من الروس ليذكر الناس بأن  
العلاقات الودية كانت وما زالت رائد الدولتين الى أن قال : ان جوهر  
الشيوعية يهدف الى الصالح العام للانسانية جمعاء وأن الرجلين المغوليين  
ليسوا الا مواطنين عالميين قبل أن يكونا روسيين .

وجاءت أبناء من شينج كيانج تشير الى أن المغوليين قد يكونان من

الصين لا من روسيا وتطلب احالة الموضوع الى مجلس الأمن وفي الحال  
أذاعت لندن أنها ستؤيد الصين وتصوت الى جانبها .

غير أنه قبل أن ينتصف الليل وردت رسالة من موسكو تنفى فيها  
الحكومة الروسية علمها بوجود هذين المغوليين القادرين على الاخصاب  
وأن هذه القصة محض اختلاق من الدول الرأسمالية ، وأنها حلقة جديدة  
من سلسلة المغامرات المعادية للشيوعية .

وأدرت مفتاح المذيع ، فأخذ المذيع يتحدث عن مزايا عقار من  
العقاقير المساعدة على الهضم والتي يجب أن يسير عليها الناس بعد سن  
الخامسة والثلاثين ، وكان رأيى فى هذا الاعلان السخيف أنه يفقد الشركة  
المنتجة له فرصة اجتذاب عدد من العملاء ممن هم دون هذه السن ، وأبليت  
مارج رأيها فقالت انه حقا سخيف كما أرى لأنى قد تخطيت الخامسة  
والثلاثين واتهمتنى بأنى أكره كل من يذكرنى بعمرى الصحيح .

فقلت لها ان ثمة سببا آخر يدفعنى الى السخبط على ذلك الاعلان ، بيد  
أنها قالت ان الاعلان فى ذاته لا بأس به وهو مقبول فى الوقت الحاضر خاصة  
بعد أن انتهى آدم وبعد أن ظهر أن قصة المغوليين كانت خداعا ووهما  
وأن كل انسان سيتقدم به العمر فيتجاوز الخامسة والثلاثين الى ما بعدها .

ولكن هذا الحديث لم يرق لها ، لأنها ظلت مستيقظة تضم رأسها بين  
يديها على حين رحت أنا فى سبات عميق وقد حسبت أن الناس فى كل مكان  
قد أطفأوا النور فى بيوتهم على غير المألوف وناموا فى فراشهم مبكرين  
فى تلك الليلة .

يقينا لقد انقطع الصراخ فخيم الهدوء على الطرقات ونشر الليل سكونه  
على الكائنات .

## الفصل الخامس عشر

وبعد أن استقر آدم في بيته ، وبعد أن ظهر ما في قصة المغوليين من زيف ، وبعد أن أخفق مجلس الأبحاث القومي ، وبعد أن أفلس مشروع إعادة الاخصاب أصبح الموقف مظلماً أسود داكن الظلمة مثله في ذلك مثل النشرة الحربية البريطانية في اليوم السابق لدنكرك .

ومضت الحياة مرة أخرى تسير ، ومضى الانسان يعمل وفقاً لما ألفه ولما تمليه عليه حياته كما كان من قبل ، كأن شيئاً جديداً لم يقع تحت الشمس ، حقا ان العالم قد ينحدر الى نهايته ، ولكن الناس بدأوا يأنفون ذلك .

وكنا نسمع على ألسنة الناس شعاراً شائعاً يقول « لا تكثرث بالدنيا » ، وأقبل الناس على كتاب عنوانه « الحياة تبدأ في سن الأربعين » فكان أكثر الكتب رواجاً ، وكانت النساء أشد الناس قاطبة حساسية وتأثراً كلما مر يوم لا تشرق فيه طلعة طفل . كن يقتربن وشيكا من سن لن يسمح لهن بأن تشنف آذانهن أصوات الأطفال . لقد أنشأن الجماعات ، وألفن النقابات وطلبن الكونجرس والحكومة بأن يعمل شيئاً ، أى شيء يستطيع انسان أن يعمل .

وبدأ كل انسان يكون لنفسه فلسفة جديدة هي جزء من فلسفة بوجي الذي كان لا يفتأ يرددتها : لقد كان تهديداً من السماء وانذاراً من القدر ، ذلك الانفجار الذي وقع في الميسيسيبي ، بل لقد أنذرنا القدر قبل الانفجار بأمد طويل ، ولكن من منا ألقى بالا لهذا الانذار .

ودارت عجلة الحياة ، ولم يمت أحد كمداً ، وسار كل شيء سيراً



مألوفاً ، وأعلنت الغرفة التجارية في ميامي أنها تعد الترتيبات لأضخم موسم ، وأن المقاطعة لن تتعرض في الشتاء التالي لعبث العصابت والمغامرين ، وكانت شركات الطيران ما زالت تفتح خطوطاً جديدة تطير الى باريس والقاهرة ، وكثر انتاج جوارب النايلون ، وان لم يعد أحد يهتم بالمبتكرات الحديثة ، وزالت أزمة المساكن بمعجزة ، وخلاصة القول أن كل شيء قد أصبح مألوفاً الا في مسكني فقد فارقه هدوءه المعتاد .



وفي بادئ الأمر ظننت أن مرجع ذلك السلوك الشاذ من مارج هو الصدمة التي تلقتها بعد مأساة هومر ، إذ أنها كانت قد وقعت في غرامه الى حد بعيد ، وكان شأنه معها وتأثيره عليها شأن الرجال الضعاف الشخصية مع النساء الناضجات المكتملات ، فجذب اليه كل ما فيها من غرائز الأثرة والتسلط على نحو ظاهر جلي ، ذلك الى أنها كانت شديدة الثقة في تجارب التلقيح الصناعي ، عن اقتناع بذلك أثر حديثها مع مارية أوستنهايمر ، ولقد تقبلت اصابة هومر بالعقم دون تأثر أو انفعال .

حقا لقد تغيرت مارج تغيرا لا حد له وساءت طباعها وضاق صدرها ، فأصبح ألقه شيء يثيرها ، وكنت أعتقد أن سبب تغيرها هو ما حدث لهومر ، واحساسها بأنها قد ربطت الى الأبد بزيجة مجدبة ..

واقبل نظام حياتنا العائلية رأسا على عقب ، وأصبحت تلك المناسبات اليسيرة المألوفة التي يستمتع بها الزوجان ، وتربط بين قلوبهما وكأنهما انسان واحد ، أصبحت في نظرنا بغيضة لا تشيع فينا البهجة ، أو لعلنا افتقدناها كلها فلم تعد تشرق في افق حياتنا . وعلى الرغم من أنها أشياء يسيرة في مظهرها فانها ذات قيمة كبيرة في أثرها ومعناها ، منها تلك النكات المرحة التي تدور بين الزوجين ، أو الاتفاق فيما بينهما على من يسبق الآخر في اعداد قهوة الصباح أو يحضر الصحف ، نعم غابت تلك المرات الهينة من حياتنا اليومية ، ومما زاد الأمر سوءا وملأني بالهم والأسى انفجارى المتكرر غاضبا لاستخدامها شفرة الحلاقة الخاصة بي دون علمي أو استئذاني .

لقد جرت المشاجرة على شفرة الحلاقة على هذا النحو : فما أكاد أبدا في حلاقة ذقني حتى أتبين أنها قد أخذتها سرا واستخدمتها قبلي ، فكنت أنفجر غيظا لذلك وأسب نفسي وأستمطر عليها اللعنات لأنها لا يجدر

بها أن تدس أنفها في شيء يخصني ، وتطلع عليه ، وتأخذه خفية وتستخدمه وتفسده كما فعلت دوما بشفرات الحلقة التي كانت تزيل بها شعر ساقها. ركنت كلما طلبت منها أن تكف عن هذا ، وأنه يجب عليها أن تخصص شفرات لنفسها ، قالت أن ما تشتريه من شفرات ليس حادا قاطعا مثل هذه التي أستخدمها فأقول لها : ان هذه الأشياء من أخص خصائص الرجل . وينتهي الأمر بأن أهدد وأتوعد بشراء ماكينة كهربائية للحلقة لتترك هي هذه العادة المردولة ، وهكذا تبدأ هذه المشاجرة كلما دعت الظروف الي أن أفتش عن شفراتي للحلقة .

وذات يوم حين كنت أقوم بعمل تحقيق صحفي للدعاية لمعرض أدوات كهربائية تقدم اليّ والى زملائي الصحفيين أحد أصحاب المعارض وأهدى كبل واحد منا ماكينة حلقة بالكهرباء . وعندما رأتها مارج في يدي وهي تثز قبل أن أضعها على وجهي انفجرت مارج باكية وقالت : أيها الرجل القاسى الفظ : انك لم تعد تحبني .

— أنا لا أحبك ؟

— أجل .. فلقد دأبت سنوات طويلة على تعذيبي بتهديدك ووعيدك بشراء ماكينة حلقة كهربائية ، وها أنت ذا تنفذ رأيك وغرضك لا لشيء الا لتبرهن على مقدار احتقارك لى .

وانتهى ذلك المشهد المؤلم بأن ألقيت بالآلة الجديدة في سلة المهملات. وبدأت عليها ظاهرة أخرى وهي الأرق طوال الليل ، رغم أنه كان من عاداتها السابقة النوم العميق ، كما لو كانت قد تلقت صدمة شديدة فوق رأسها ، ومن ثم اعتادت كذلك أن تصحو أربع مرات أو خمسا خلال الليل، ثم توقظني وهي تلكزني ، أو تصفعنني في الظلام وتطلب مني أن أحضر لها بعضا من الفول السوداني ، بل لقد كانت أحيانا تنهض لتقول انها غير واثقة

إذا كان باب الشقة محكم الاغلاق أم لا . هل لى أن أضيف أنها كانت  
تطلب منى أحيانا أن أجيئها بيضة نيئة ؟

ولعل أسوأ ما طرأ على طباعها هو تلك الغيرة الشديدة التي تملكها ثم  
شكها في أعمالها كلها . لم يسبق لمارج أن كانت غيورا ، ومن العبث  
والسخف أن تكون زوجة الصحفي غيورا ، وكذلك زوجة الطبيب ،  
فالساعات غير المنتظمة التي يقطعها الصحفي في عمله اليومي ، ومهمته التي  
تفرض عليه الانتقال من مكان الى آخر ، كل هذا يزوده بحصانة من الأدلة  
والبراهين التي تقطع بطهارة ذيله ، وبرأته من أن تنتهمه زوجته بوجوده  
في مكان بعينه ، أو مع شخص معين ، وإذا طاشت زوجة بشكها في زوجها  
الصحفي دفع بها ذلك الشك وتلك الغيرة الى ما يشبه الجنون ثم هي  
لا محالة فاشلة في اثبات تهمة عليه . ولكن مارج لم تكن حقا غيورا بقدر  
ما كانت تعاني صراعا في باطن نفسها من الشك في زوجها أو في نفسها ..

لم يسبق لمارج كما قلت أن كانت غيورا ، أما الآن فما أكاد أعود الى  
البيت حتى تنهال على بأسئلتها المخرجة عنها تظفر باعتراف يثبت خيائتي .  
فكانت تفتش في أعوام زواجنا المنصرمة عن حوادث تافهة لم أعد أذكرها  
وعن فتيات لم يعد لهن أو حتى لأسمائهن بقاء ولا ذكر في مخيلتي الواهية  
كخيط العنكبوت ، فتتخذ منها ومنهن أدلة ادانة على خيائتي . وهكذا  
كانت تثور فترميني باتهامات طائشة ، وأشهد منها مناظر مؤذية قاسية .  
وكانت مرة تطالع في مجلة ، وفجأة نحتها جانبا وقالت لى : لعلك لازلت  
على اتصال بمساعدتك جين زايتير التي كانت تعمل معك في نيويورك .  
أليس كذلك .. ؟

قلت لها : أجل . لقد كانت أكبر عون لى في عملى فهي فتاة رائعة ،  
ممتازة .

— اسمع يا ستيف لقد سبق أن وصلت حبلك بجبلها أليس كذلك ؟  
فواجهت ذلك الاتهام فى الحال أقول : أعيرينى سمعك يا مارج . لم  
تقم أبدا علاقة بينى وبين جين زايتر أكثر من أنها كانت مساعدتى فى عملى ،  
وكانت صلة طيبة لا تشوبها شائبة . فإذا شئت أن تحركى خواطرك السوداء  
هذه ، فهيا أخرجى من أعماق ذاكرتك فتاة أخرى غير جين زايتر المسكينة .  
فقلت فى زهو : حسنا . أراك قلقا عليها . لقد ربطت بينكما صلة  
مشينة . أليس كذلك ؟

وكدت أنفجر غيظا وكمدا ، وأخذت أذرع الغرفة جيئة وذهابا لأخفف  
حدة التوتر عن أعصابى . ثم قلت أسكن من دمعها : انك تعلمين يا مارج  
كما أعلم أن جين لم تكن تقيم معى وأنها كانت تبيت ليلتها فى غرفتها ،  
الخاصة وحدها . هيا أغربى عن وجهى .

— هذه هى حالك معى . تنهرنى وتصرخ فى وجهى كلما واجهتك  
باتهام لا تقوى على تفسيره وإثبات حسن نيتك ، انك غير قادر بهذا  
الضجيج المصطنع على أن تخفف عن ضميرك وطأة الجرم .

ومن المؤكد أننى ضقت ذرعا بهذه الحياة وبزوجى مارج وبتحرياتنا  
البوليسية وارتياحنا فى سلوكى . فلزمت الصمت وارتديت قبعتى وانصرفت  
وآثرت الانفراد والوحدة . وقد أدركت أخيرا أننى كنت أغادر المنزل الى  
عملى مبكرا وأعود متأخرا كما كنت قد تعودت . وسرت الى أن وصلت  
الشارع الخامس ، ثم عرجت على ميدان واشنطن ، ووجدت مقعدا خاليا  
فجلست عليه وحاولت حصر انتباهى لأفكر فى أمرى .

ورحت أحدث نصى بأننى اذا أطلقت العنان لتلك النوبات التى تجتاح  
أعصابى فسوف أتحطم غما ، وقد أصل عما قريب الى الوقوع فى مآزق  
عصيبة مع مارج ، وقد يتلو ذلك الطلاق على الرغم من أنه يستحيل علينا

الانفصال بعد مرور عيد الفصح . ثم أخذت أفسر سلوكها معي ، ووضعت  
نفسى فى موقف المشاهد المحايد لأصدر حكما عادلا عليها ، وبدأت خاصة  
بعب بارز فيها وهى الغيرة والشكوك ، فخلصت الى رأى بين ، وهو أنها  
مريضة بقواها العقلية ، وكل ما تفعله يدل على ذلك .

وكان هذا أشق رأى أنتهى اليه فى حياتى ، وأقسى نتيجة يهدينى اليها  
تفكيرى المكدود ، ولم أكن أدرى أن إصابة واحد من الأحياء بالجنون أشد  
وبالا من المرض الذى يدهم الجسد ، فاذا ما طار صواب انسان حبيب اليك  
واختل ميزان عقله فقد مات فى نفسك ، وانمحي حبك له — كما يحدث  
مع الوفاة — وفى كلتا الحالين لا يصبح هذا الانسان شيئا مذكورا ، بل  
يستحيل جثة هامة . ووجدت أن على أن أقف على مرضها وأشخصه كى  
أعرضها بعد ذلك على الأطباء الاخصائيين فى الأعصاب . وقبل أن أخطو  
خطوة واحدة فى هذا السبيل رأيت أن أستشير مارية أوستنهايمر والطبيب  
تومى طومسون ففى وسعهما أن يدلانى على أحسن وسيلة لا تثير  
الاضطراب فى نفس مارج .

وقبل أوتى الى بيتى توقفت عند مخزن أدوية ، واتصلت تليفونيا  
بمارية وسردت عليها القصة كاملة دون انفعال يكدرنى ، وتبين لى من  
خلال الأسئلة التى وجهتها لى عن مارج أنها تشفق عليها ، لقد رثت لحالها  
وأبدت استعدادها للحضور فى الحال مع تومى متعلقة فى ذلك بقضاء وقت  
طيب معنا فى بيتنا والاستمتاع بلعب البريدج .

وعندما أبت الى فراشى تلك الليلة حاولت أن أتذكر كل ما أعرفه عن  
أسرة مارج فوجدت أن والديها كانا سليمى العقل ، بيد أنى لم أصل الى  
أية معلومات تتصل بأجدادها ، وألقت أن هذا لا يجدى ولا ينفع .  
وفى الليلة التالية جاءت الينا مارية وتومى ، وكان ذلك مساء الثلاثاء

كعادتهما في المجيء للعب البريدج وقضاء السهرة ، وان جاءا في الحقيقة لمراقبة مارج مراقبة دقيقة متصلة قد تبلغ ساعات ، وبدأت السهرة في أنسر ودعة ، ثم تطورت الى ليلة حافلة مشهودة .

بدأنا اللعب ، وأخذنا نتحدث في موضوعات شتى كمشكلة ترانسلفانيا ومنشوريا ، ولو لم يكن من العار لتحدثت معهما في التلقيح الصناعي . ولاحظت أن مارية وتومى يراقبان مارج ويرصدان حركات يديها ونظرات عينيها كما لو كانت نزيلة مستشفى ، وكانا يوجهان لها عن غير قصد بعض الأسئلة في سياق الحديث ، أسئلة غير مترابطة أو متجانسة .

وقد ظهرت مارج على طبيعتها طوال الساعة الأولى أو قريبا منها وفجأة رمت بأوراقها على المائدة ، وقالت :

— أريد خيارا مملحة .

فصاح بها تومى قائلا : ماذا تقولين ؟

وكررت مارج طلبها قائلة : أريد خيارا مملحة والا فسوف أجن . اذهب يا ستيفن وأتني بخيار مملح من محل البقالة .

قلت في استنكار : كفى سخفا يا مارج ؟ هل تقطع اللعب من أجل نزوة طارئة ؟

— أنت تكرهني يا ستيفن ، ولكنى أريد الحياة .

وقطعت على الحديث مارية في هدوء وهي تقول : يجدر بك يا ستيفن أن تذهب وتأتى لها بما طلبت ..

فأسرعت الى الدكان وأحضرت الخيار .

وعند عودتي قالت مارج : لا تقطعها يا ستيف . أريدها كاملة . وناولتها الخيارا ، وظننت أنها ستلتهم كل ما معى منه في الحال ،

ولكنها قضمت قضمة واحدة ، ومضغت كسرة صغيرة ثم تركتها ولم تنل منها شيئاً بعد ذلك .

قلت لها ساخطاً على ما فعلت : هل هذا كل ما تريدن ؟

— هذا يكفيني . دور من هذا في اللعب ؟

ونظرت الى تومي ومارية فوجدت علامات الحيرة والفرع مرتسمة على وجهيهما ، ولا سيما مارية التي سألت مارج بصوت جهلت في أن يكون هادئاً :

— هل تشعرين يا عزيزتي بين آونة وأخرى برغبة ملحة لنوع خاص من الطعام ؟

قلت : نعم ، وهي لا تكاد تجد هذه الرغبة الا مع أحلك ساعات الليل .

فهتفت بي مارج : صه .. ألا يبقى سر خفى في بيتي ؟

ولم يقل تومي شيئاً ، بل أخذ يوزع الورق من جديد ، بينما ظلت مارية تراقب مارج بعين فاحصة فيها تعبير عن الحيرة ، ولكنها لا تخلو من الحنان الذي ظل يضيء وجهها الصغير الأسمر .

وانقضى ما يقرب من نصف ساعة ثم قامت زوجتي من مكانها ، وارتدت

معظمها كمن يتهيأ للخروج الى السوق وهي تقول :

— أسمحون لي ببضع دقائق ؟

قلت : الى أين تذهبين يا مارج ؟ وفي بيتنا أصدقاء يلعبون البريدج .

— كلا يا ستيفن .. لا تتعب نفسك . سأذهب وحدي ، فمن العسير

عليك أن تخرج لقضاء حاجة .

— خبريني يا مارج ماذا تريدن عمله في الخارج ؟

لقد كنت أخشى ان هي خرجت ألا تعود . وعادت الى ذاكرتي قصص

عديدة كنت قد كتبتها عن زوجات كن ينهضن ويتركن اللعب أو الشراب



ثم يتوغلن في السير الى بايون أو نيوجرسى أو بيرمنجهام ، وقد أصبن بفقد  
الذاكرة فقدانا كاملا لا يدرك كنهه .

وقالت مارج : سأخرج لشراء بعض الليمون ، فانى أشعر برغبة ملحة  
في الليمون .

— أليس لدينا ليمون بالثلاجة ؟

— كلا . لقد التهمته كله .. عشرات منه ..

وقالت مارية وكأنها تردد تميمية أو تعويذة لساحرة .

— خيار وليمون ، ليمون وخيار !

عندئذ أمسكت مارية بذراع مارج قائلة : أريد الاتفراد بك لحظة في  
غرفة النوم يا عزيزتى .

قالت مارج : ولكنى أريد ليمونا .

ودخلتا الى غرفة النوم . وبعد فترة سألت طومسون وأنا مطمئن الى

كل ما حدث ، لأنه سوف يعطى مارية وتومى فكرة صحيحة عن حالة مارج .

-- والآن ما رأيك يا تومى ؟

هز تومى كنفيه الكبيرتين ومال بذقنه على صدره وقال : لى رأى لم

ينضح بعد .

— ألا تعتقد أنها مصابة باضطراب عقلى ، ودليلنا على هذا المرض هذه

النزوات الجامحة في طلب الطعام وشعورها بالغيرة . وبالطبع لن تتاح لك

فرصة في أن تراها وهى تنهال على بوابل من الاتهامات ، فهى لن تشرع

في ذلك الا بعد انصرافكم . على أية حال ان منظرها يثير الشجن .

هز تومى رأسه قائلا : أرى ان مارج ليست مجنونة ، بل هى محطة

الأعصاب . ان ثمة شيئا يصرع عقلها الباطن أدى الى ظهور هذه الأعراض ،

وفي الحقيقة لا أكاد أفهم السبب اللهم الا ..

قلت : الا ماذا ؟

وقال تومى فى غلظة :

— انس ما قلت ..

وهنا أطلت مارية برأسها من باب غرفة النوم وطلبت من تومى أن يذهب إليها لحظة ، وأحسست باضطراب صوتها وهى تتكلم ، فدخل تومى ثم أغلق الباب وراءه . ومن ثم بدأت الوسوس تتنابى وتلح على فى عنف .

وأخذت أحدث نفسى وأنا جالس أنتظر وحدى ، لعل الأمر بالغ الخطورة ، أو لعلها تتوقع حدوث شىء ما ، ولذلك استدعت تومى ليتشاورا ويتبادلا الرأى ، أو لعل صرخة مخيفة طرقت أذنى لست أدرى . وظلا فى غرفة النوم وقتا طويلا على الرغم من أنهما لم يمضيا أكثر من ربع الساعة . وحين خرجا من الغرفة كنت أسير جيئة وذهابا وكأس الشراب فى يدي ، ويدي ترتعش .

وكنت أسمع على التحديد أصواتا صادرة من غرفة النوم بدت لى كأنها ضحكات مارية أوستنهايمر ولكن .. ولكن لم لا تكون تأوهات صادرة عن مارج المسكينة ، فها هى ذى تعود مرة أخرى الى الضحك يتبعها تومى ثم مارج ، ثم خرج الجميع يظلمهم الصمت ، الصمت العميق ، ويسيرون فى صف أحدهم وراء الآخر كما يخرج المحلفون من غرفة المشاورة . مارية فى المقدمة ثم تومى ، ومارج أخيرا ..

آه .. ليتنى أتذكر على وجه الدقة ما كانوا يفعلون وهم خارجون : أيبكون أم يضحكون أم يضحكون وييكون فى نفس الوقت .. وتقدم صفهم الصغير الى وطوقنى تومى بذراعيه وهو يقول : أبشر يا ستيف ،

فستضع مارج لك غلاما اللهم الا اذا كنت أنا ومارية قد أنسينا ما تعلمناه  
وفقدنا ما تتمتع به من سعة طيبة .

وأذكر أنى رحت أحملق فى الزجاج المتناثر من القدح الذى سقط من  
يدى وفاقيع الصودا التى تجمعت حول شظاياها ، واذا بتومى يمسك بى  
على حين صاحت مارج قائلة : ستيفن . ستيفن . ماذا بك ؟

قال تومى : انه أشبه بالثور عافية كما ترين ، أحضرى له قدحا آخر .  
فجرعته وأخذت أنظر الى وجوههم لأتأكد أنهم غير مازحين وأخذت أردد  
طويلا كلمة « مستحيل » ، ثم انطرحت جالسا لأفكر فى هدوء . رحت  
أقلب صفحات الماضى فى سرعة عجيبة ، وحين سألت مارية عن المدة التى  
مضت منذ حملت مارج ، قدرتها بشهرين أو فوق ذلك بقليل . وشرعت أحصى  
الشهور على أصابعى ، حتى انتهيت الى أن مارج كانت فى ذلك التاريخ مع  
هومر آدم فى واشنطن ، وما كدت أصل الى هذه النتيجة حتى صاحت  
بى مارج : لا .. لا .. انى أدرك ما يجول بذهنك ياستيف سميث ، ولكنك  
مخطفىء يالك من مرتاب دنىء ..

قلت : اذا لم يكن هومر ، فمن يكون اذن ؟

قالت وهى تلف ذراعيها حول عنق تومى وتقبله فى فمه : هو .

قلت : لا .. ليس تومى ، فكلانا يفتقر الى شىء واحد ، انك لن  
تستطيعى خداعى يامارج فأنا أعرف أنه هومر ، ولست ألومك ، فلقد  
كنت دوما تتوقين الى طفل ، ولم يكن أمامك الا أن تسلكى هذا السبيل .  
قالت : يالك من غبى أحمق . لا أظنك قد فهمت حتى الآن .

قلت : طبعا لم أفهم شيئا . ارشدينى بربك الى ذلك الزوج الذى  
يفهم شيئا من مثل هذه الأمور الجارية .

قال تومى : هل أفسر له ما غمض عليه ؟



قالت مارج : لا . بل دعنى أنا أفسر له بنفسى كل شىء ، وان كنت  
أعتقد أن ليس له أن يعلم شيئاً ، وكان الأجدري بى أن أدعه على اعتقاده ،  
بأن هومر هو السبب .

قلت : بل أخرجى كل ما فى جعبتك ، فما عدت أنكر شيئاً .  
قالت : فى الحق أن الفضل كله يعود الى دواء الطيب طومسون المقوى ،  
أعنى تلك الأعشاب البحرية التى لها فعل السحر العجيب .

ففرقت في موجة طويلة من الضحك ثم قلت ساخرا : ولكن لم يسبق لى أن شربتها .

قالت مارج : بل تجرعتها يا عزيزى ، اذ سقيتك منها زجاجة كاملة . هل تذكر ذلك اليوم الذى شعرت فيه بالاعياء عندما كنا بواشنطن ؟ لقد صببت لك قدرا من الدواء فى كل كأس شربته ، ثم صببت لك ما تبقى من الزجاجة فى قهوتك صباح اليوم التالى .

فصرخ تومى يقول : رباہ .. لقد كان عليك ألا تسقيه غير نقطة واحدة فى اليوم فحسب ، ألا تعلمين أنه تركيب قوى المفعول يا مارج ؟ قالت : أعلم ذلك ، ولكنى كنت على وشك أن أغادر نيويورك بعد أيام قلائل ، فلم أجد بدا من أن أسقيه ما فى الزجاجة كله .

وفى الحق لقد شعرت وقتها بذلك الضيق والغيظ الذى يشعر بهما الانسان حين يكتشف أن هناك من يتلاعب بطعامه أو شرابه خفية ، فصحت غاضبا : « غير أنك بعملك هذا كنت على وشك أن تقضى على . ومن اليوم سأستأجر موظفا يتذوق طعامى من قبل أن أتناوله فى مسكنى » .

فقالت : ولكنك ما زلت حيا ترزق . وحسبك أنك ستصبح أباً ... ورويدا رويدا بدأت أستوعب تلك الأحداث ، ولا غرو فالعقل البشرى محدود الطاقة لا يستطيع أن يتقبل مثل هذه العجائب المتتالية دفعة واحدة . وبعد فترة وجيزة رحلت أهدى تومى شاكرا ومهنئا بالتوفيق الذى أحرزه والنجاح الباهر الذى أصابه دواؤه العجيب .

ويبدو أنه كان مستغرقا فى تأملاته وأنا أحدثه اذ راح يقول بصوت حالم ، وكأنه يحدث نفسه .

— ترى هل سقته الزجاجة كلها مرة واحدة ، أم كانت تمزجها بالقهوة

أو « البليلة » ترى هل هي فلتة من فلتات الطبيعة ومعجزة لن تتكرر ؟  
ترى هل حدث الحمل قضاء وقدرًا من تلقاء نفسه ؟  
ترى هل حدث هذا نفسه مع زملائي في المستشفى ؟  
فصاحت به مارية : في وسعك أن تؤجل تأملاتك الى الغد ، أما الآن  
فهاأنذا أمام نصر رائع :

وهنا سألتني مارج : ألا تنوى أن تقبلني ياستيف ؟  
اندفعت نحوها وتلاقت شفتانا في قبلة طويلة لقتت نظر مارية وتومي ،  
وظلا يرمقانا في عجب ، ثم قالت مارج في عذوبة : أو من حقا أنتى كنت  
طوال الشهرين الماضيين آتى ما آتى عن غير روية ، ولكن يا عزيزى ألا ترى  
أنتى كنت مسيرة لا مخيرة ، والآن وقد أدركنا السر الخفى فيقيني ألا موجب  
للقلق .

قلت : أرى أن أتصل بالصحيفة لأزف لها الخبر .  
فصاحت مارية محذرة : لا .. لست أرى هذا الرأى ، ومع أنتى متأكدة  
كل التأكد من كل ما قلته الا أن هناك احتمالًا للخطأ يسيرا قد يقع فيه  
أى انسان ، وسنجرّب فى الغد تجربة أخيرة على أرنب من الأرانب وبعدها  
يمكنك أن تروى قصتك باطمئنان .

وقنعت بهذا الرأى ، وان كنت لا أكاد أذكر حقا ما جرى بعد ذلك ،  
بيد أنتى لا أنسى أن مارية التفتت الى تومي قبل خروجها وسألته ، وكان  
الأمر يتصل بشيء مألوف :

— هل كنت تتجرع مزيجك من الأعشاب فى نظام يا تومي ؟  
فرد عليها قائلا : طبعًا .

فقلت وهى تتأبط ذراعه ، وقد صعد الدم الى وجهها :

— اذن يحسن بنا أن نعجل بالزواج يا تومي فانى .. خائفة ..

\* \* \*

## الفصل السادس عشر

أعتقد أن البقية الباقية من القصة جزءا من التاريخ أكثر منها جزءا من رواية شخصية . فقد جاء النبأ في مساء الأربعاء بنجاح تجربة الأرنب ومن ثم اتصلت ببوجي رئيس التحرير ، وقلت له : ان لدى خبرا هاما ، فقال لى :

-- لقد آن الأوان كى أستمع خبرا جديدا ، فانى بدأت أشعر بالملل والسأم للمرة الأولى فى حياتى ، وذلك منذ أن ابتلى العالم بالعمم . قلت : منذ الآن لن تحس بالسأم فالخبر هو أنى سأضع طفلا .

قال بوجي مذعورا : أنت ؟ ان كان هذا الخبر صحيحا ، فانى على استعداد لأن أهجر مهنتى .

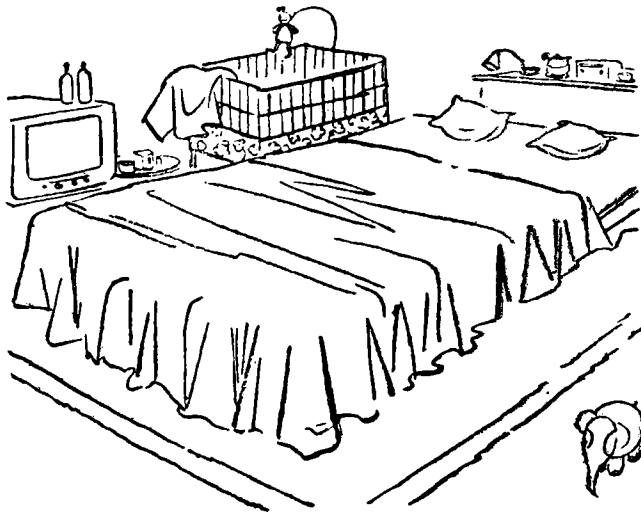
قلت مصححا : أقصد مارج هى التى ستضع الطفل ..

قال فى حدة وقد راودته الشكوك نفسها التى راودتنى حين علمت بالحقيقة لأول مرة : ومن أبوه ؟

— أنا ..

ثم رويت له ما حدث .

كان بوجي صحفيا من الطراز الأول . من أجل ذلك فسرعان ما تنبأ بكل الاحتمالات التى دارت بذهن تومى طومسون ، وقال انه من الجائز أن لا يكون الحادث غير فلتة من فلتات الطبيعة ، أو معجزة لن تتكرر مع



الأيام . واستطرد قائلاً : أعتقد أنه يجدر بنا ألا نفيض في الخبر ، وان  
نكتفي بنشره دون تعليق .

ولكن الخبر أثار دويًا عظيمًا دون شك ، في العالم كله رغم أنف بوجي  
رئيس التحرير .

ويبدو أن الرأي العالمي قد استراح إلى هذه النتيجة ، ولا غرو فقد  
كشف الطبيب تومي طومسون عن عقاره المقوى العجيب المركب من  
الأعشاب البحرية ، ذلك الترياق الذي يعيد الحياة توالى بويضة الرجل  
المنوية المشلولة ، إذا ما تناوله المرء في جرعات معتدلة غير مميتة ، ودون  
إضافته إلى السوائل التي يدخل الكحول أو الكافيين في تركيبها . وبعد  
فترة وجيزة من الوقت أتاحت الفرصة للمرضى في المستشفى العام وأصدقاء  
تومي أن يجربوا العقار الجديد فأصبحوا أكفاء أصحاب جنسيا .

وقد تولت الحكومة الأمريكية إنتاج العقار الجديد ، وعهدت إلى فلبس



سمايث — الذى أصبح قائدا يشار اليه بالبنان ، عهدت اليه بالاحتفاظ بأسرار الدواء الجديد حتى لا تتسرب . وفي الحق لقد كان منصبا خطيرا ، فقد حاول الروس مرارا سرقة أسرار العقار ، بل لقد أقروا رسميا بأنهم قد وقفوا على سر تركيبه ، وشاع أن الحكومة الأمريكية قد بدأت تعد العدة لجعل دواء الدكتور طومسون العجيب فى متناول كل رجل فى العالم ، بما فى ذلك سكان الحدود المغولية ، وان كان هذا الخبر لم يتأيد بعد .

وكانت كل هذه المشروعات التى وضعت لانتاج عقار الطبيب طومسون على نطاق عالمى لم تصل بعد الى مرحلة التنفيذ لما صادفها من عقبات ، ولذلك فقد عهد الى مجلس الأبحاث القومى ومشروع إعادة الاخصاب بالتعاون مع خيرة العلماء من كلتا المؤسستين برئاسة آبل بنفرى لدراسة هذه الأهداف وتحقيقها .

وحيثما تسير الأمور فى طريقها المرسوم ، فى هدوء واتزان يصبح من اليسير على عقول الناس هضمها وتمثيلها ، ومن ثم كانت مسائلنا الداخلية ظاهرة واضحة للجميع . أما عن المشكلة الخارجية فهناك فئة من الناس نادى بوجود اشراف الأمم المتحدة على العقار ، غير أن الحكومة اعترضت على ذلك قائلة : ان نفع الدواء قد بلغ مبلغا جعل اسناد هذه المهمة الى الأمم المتحدة ، تلك المنظمة الصغيرة التى لم تشب بعد عن الطوق ، عبثا ! أى عبث !

قالت الحكومة : حسب الهيئة الاشراف على منازعات الحدود بين الدول وما الى ذلك ؛ أما أن تحاط علما بسر تركيب دواء الطبيب طومسون فهذه هى كبرى الكبائر .



# مكتبة بغداد

الدار القومية (مصر)  
يونيو ١٩٦٥

الطبعة الثانية  
كاملة منقحة

الثنى  
٢٠  
١٩٦٥